

كتاب ديوان صبابه سيح سطر ١٥

٥٢٧



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للعاشقين باحكام الغرام رضا وجنبهم اللوم في حب من
يهوونه فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا فمنهم من عاشق ومحب صادق ذي نحب
ودام الوصل فاستمتعوا اقساما صبرا فاعيى نيله فقضى احمد حمد من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى وسبب ذكر محبوبه ان كان تهاميا في حجاز اوشاميا
في نوى طورا يمانيا اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعدنان واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد شهادة من اصبح موته لبعده اقرب
من حبل الوريد وقال لعاذله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما
فلو ان بي ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم واشهد ان محمدا عبده
ورسوله شهادة من اخلص في موالاته وتبرا من الاثم حين تولى محبوبه
بخاتم ربه وبرهانه صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين يحبهم و
يحبونه ويقفون عند ما امرهم به ولا يتعدونه ما درت ناقة وهام عاشق
اما بعد فان كتابنا هذا كتاب حوى اخبار من قتل الهوى وصار بهم في الحب من كابد

مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل تشبب فيه بالرباب وزينب فهم ما
تعرف بسيماهم قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر واصبحوا من علة الهوى على
قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم ما بين قتيل وشهيد
وشقي وسعيد على اختلاف طبقاتهم واشكالهم وتباين مراتبهم
واحوالهم وغير ذلك مما تصبح به اوراقه يانعة الثمر وتمسي به صفحاته
في كل ناحية من جهاتها قمر واذا نظرت الى الوجود باسرها شاهدت كل
الكائنات ملاحا على ان جماعة من العصريين عابوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب
ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا فربع كتابنا هذا بذكر ليلى العامرية معمور وهو
بالنسبة الى ما الفه الشعراء محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا
الكلام وانشد في تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام فمؤلف طوق
الحمامة بالنسبة الى حجليه محجل وصاحب منازل الاحباب من عرف المحل فات
دون المنزل وعذرت طفيلا في الحفالة يسري فيصبح دوننا بمراحل
فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال فان
قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم نعم في الجمن

نعم في الخمر معنى ليس في العنب ● واحسن ما في الطاووس في الذنب ●

ودع كل صوت بعد صوتي فانني ● انا الطاير المحكي والاخر الصدا ●

وكم ترك الاول للاخر ● ولا اعتبار بقول الشاعر ●

نقل فوادك حيث شئت من الهوى ● ما الحب الا للحبيب الاول ●

كم منزل في الارض يالفه الفتى ● وحنينه ابدا لاول منزل ●

وقد اسقط في يديه وقيل في الرد عليه ●

افخر بآخر من كلفت بحبه ● لا خير في حب الحبيب الاول ●

اتشك في ان النبي محمدا ● ساد البرية وهو آخر مرسل ●

وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم ●

كذب الذين تحدثوا ان الهوى ● لا شك فيه للحبيب الاول ●

ما لي احن الى خراب مقفل ● درست معالمه كأن لم يؤهل ●

فرد حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور

كذب الذين تحرصوا في قولهم ● ما الحب الا للحبيب المقبل ●

افطب في الطعم ما قد ذقته ● من مأكل او طعم ما لم يؤكل ●

قال ديك الجن ايضا حين بلغه قول الحبيب

ارغب عن الحب القديم الاول ● وعليك بالمستأنف المستقبل ●

نقل فوادك حيث شئت فلن ترا ● كهوى جديد او كوصل مقبل ●

وقال ابو البرق وسلك بينهما حادة الانصاف وبقول عبد الاعز الاثر احسن في المقال حيث قال ● نادوا على المعنى فكل محسن ● والحق فيه مقالة لا تجهل ●

الحب للمحبوب ساعة وصله ● ما الحب فيه لآخر ولاول ●

على انني لم احمد ما في منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل ● ولا تحملت على مصنفه فوا عجبا من قلبي المتحمل ● ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التاليف مواهب ● وان الناس فيما يعشقون مذاهب ● ومعلوم ان الجنون فنون ● وكل حزب بما لديهم فرحون ● ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته متدحرج ● وبيوته من بحر دها في لجج ● لا ابيح بما فيه من منازل الاحباب لساكن ● ولا امكن عاشقا من المرور بتلك الاماكن ● اغار اذا انست في الحي انة ● حذارا وخوفا ان تكون لحبه ●

حتى برز المرسوم الشريف السلطاني الملكي الناصري ● ادام الله نشر اعلامه ● ولا اخلا كنانة من سهامه ● ما نفذت مراسيم سهام المقل ● وتثنى قوام الحبيب الذي طاب به الزمان واعتدل ●

فبادرت الى تجهيزه وسبكه ابريزه حسب الرسوم الشريفة من غير تسوف
ولا تكليف ولم ابح زهره مشوره لغير حضرته الشريفة من الانام لانه كان
كلما يصلح للمولى على العبد حرام لاجرم انه جا منظره السعيد نزهة للنظر
وملك الواقف على بابه ان السعادة لتلحظه النظر فهو للسلطان بستان
وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق وللمهجور نجوم وللنديم
فهوم وللناسي تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد
وللاديب الماهر مثل ساير وللمحدث قصص وللحاسد غصص وللفقيه
تنبيه وللنجيب بالفهم تشبيه

قال الشاعر

تبادر بالبدر منه بوادره • وتحلو له عند المرور نوادره
فقيه له في كل يوم وليلة • حبيب ملم او نديم مسامره
ولي فيه نظم ان مصنوع نثره • ففي طيه حلو الكلام ونادره
ولي فيه منثور غدا في نظامه • وعرف ثناه مشرق الروض عاطره
ولي فيه من سحر البيان رسايل • اذا ما جفاني احور الطرف ساحره
ولي فيه اسرار الحروف لانه • ينقطه دمعي فتبدو سرايره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره • خدودي اذا ما خط فيها دفاتره

تمد مدادا الدمع اقلام هدبه • فدمعي حبري والسواد محابره
خدمت به ديوان الصبابة عاملا • فاسر قلبي من سباني ناظره
فلولا الهوى ما مات قبلي عاشق • ولا عمرت بالعامري مقابره
وفي غزلي ذكر الغزال ومربع • يطارحني فيه الحديث جآذره
انزهه عن وصف خدر عبيره • ومنزل قفر من عنه اباعره
تجر قوافيه معان عذابها • جرير كعيدا وثقفه جرايره
يشيب بها فود الوليد لانه • يسير وجنح الليل سود ظفايره
ولست ارى يوما بمارة جلجل • سوى ما عرادارت عليه دوايره
اذا ما نسي ذكرى حبيب ومنزل • فاني لمن اهواه ما عشت ذاكره
اجاور في سفح المقطم جيرة • فيا حبذا المحبوب حين نحاوره
فيا طيف من اهواه طرفي ان عفا • اتهجر بالله ام انت زايره
وحقك لو سامرته بعض ليلة • لساهرت صبا مات في الحب ساهره
يملك شوق للسهد لطرفه • فيجري به كالحاجري محاجره
ويا ليته طيف من خيالك طارق • فيطرق جلالا كانك حاضره
وبي من نحيل الغصن درج قوامها • اذا بات في الروض النضير يناظره

اذا اقبلت في الحلي والطيب قيل لي ● حبيبك بستان تضيع ازاهره
فان رمت فيها وهي غضبا التفاته ● ثنت عطفها نحو الغزال تشاجره
اسر ما القاه من حر هجرها ● وقد حميت يوما علي هواجره
تحصنت في حصن الهوى عن عواذلي ● وبات لقلبي حش همي تحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلي ● لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندما ● يشاهدها يغضي ويطرق ناظره
الى الغصن خد كالشقيق اذا بدا ● وشعر كجنح الليل سود عوادره
لئن طاب غزلي في هواها فانني ● ومدحك بمن عز في مصر ناصره
مليك يهز المدح اعطاف قده ● كما اهتز غصن طار في الجو طايره
مليك تريه قبل ما هو كاين ● بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا ● جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما سار كالبدر كالدجا ● واولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم ● يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة ● بشير توالت بالهناء بشايره
مليك اسود الغاب تحذر باسه ● لان ملوك الارض طرا تحاذره

تروعهم شهب السما وبروقه ● وما هي الا اسمره وبواتره
اذا اتنوع الاشكال حال اجتماعهم ● فاني ضمير لم يدنس فيه صامره
واني كماة لم يرعهم بنهاله ● واني مكان ما علته منابره
واني قصيد بحرها لم يرق له ● وغايص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر القصايد خمسة ● وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما ● تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم لي فيه مرقص حول مطرب ● بتثنيه في الحي يطرب نادره
ولو لم يكن مثل السكر دان ما عضا ● بحضرته يوما تطيب حواضره

نعم الفته على اسم مولانا السلطان على الوجه المتروج

وتوليت عمله لاجله نجاء كما قيل عمل الروح للروح ●

اهيم بمن هام الحبيب بحبه ● الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وسلكت فيه الاختصار والاقتصار على النوادر القصار لانه كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار ووضع له نجاز وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وحدثوا باحسن ما تحفظون وخذوا من كل شي طرفا

فانه من جهل شيئا عاداه وسميته ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه بها
ويعلم ان لم اكن انا للصبابة منها ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها انى والله قلما يبرح المطيع هواه
كلفا ذا صبابة وجنون ورتبته على مقدمة وثلثين بابا وخاتمة
اما المقدمة ففى ذكر حد العشق واشتقاقه وما قيل فى وسمه
ورسمه وعلاماته ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه وذكر
اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ونحو ذلك

الباب الاول فى ذكر الحسن

فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال

الباب الثانى

فى ذكر المحبين الظرفا من الملوك والخلفا

الباب الثالث

فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع

الباب الرابع

فى ذكر من نظر اول نظرة فاحترق من حب الحبيب بجمره

الباب الخامس

فى ذكر تغيير الالوان عند العيان من صفرة ووجل
وحمرة وخجل وما فى معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان

الباب السادس

فى ذكر الغيرة وما فيها من الحمية ووقوع من ديك الجن

الباب السابع

فى ذكر افشاء السر والكتمان عن ابناء الزمان

الباب الثامن

فى ذكر مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه

الباب التاسع

فى ذكر الرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل

الباب العاشر

فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه

الباب الحادى عشر

فى ذكر قصر الليل وطوله وخصائصه وفصوله وما فى معنى ذلك

الباب السادس والعشرون

في ذكر طبيب ذكرى حبيب

الباب السابع والعشرون

في ذكر طرف يسير من المقاطيع الفايقة والاغزال الرايقة مما
اشتمل عليه ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك

الباب الثامن والعشرون

في ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات
الجمال وما في بعض ذلك من فكر موالاتهم ووصف آلاتهم

الباب التاسع والعشرون

في ذكر من ابتلى من اهل هذا الزمان بحب النسا والغلمان

الباب الثلاثون

في ذكر من اتصف من الظرفا باحسن الاوصاف

خاتمة الكتاب

ففي ذكر من مات في حبه وقدم على ربه من غني
وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وبيان طلوبهم واجل ذكرهم

اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت منه في باب وخرجت من باب ومن
هنا اشرع في ذكر ما يجلب الراحة لمن اوح الحشى يكون عند المطالعة
كالطليعة للجيش **المقدمة** في ذكر رسم العشق ووسمه ومدحه وذمه
وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري او اضطراري ويشتمل ذلك
على خمس فصول في رسم العشق ووسمه وما قيل في اسمه
اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجرد بحره
المتلاطم ومده وما للناس فيه من الكلام البائن المتباين اذ فيهم
من التبس عليه فسماه باسم سببه او باسم ما تؤول اليه وغير ذلك
مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعزيم الظاهر
قول الشاعر يقول اناس لو نعتّ لنا الهوى ووالله ما ادري لهم كيف انعت
فليس لشيء منه حدٌ احده وليس لشيء منه وقت موقت
فمن حدوده المليحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس
الذي اخذ عن اصحاب سليمن بن داود عليهما السلام فيما ذكره صاعد
في كتاب الطبقات طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمى ثم يتربى ويجتمع
اليه مواد من الحرص وكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج

والتمادي في الطمع والفكر في الاماني والحرص على الطلب حتى يؤديه
ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء
والتهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع
فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم
حتى يؤدي ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات
غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق
روحه فيبقى اربعة وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو
حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وتنضم عليها
القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال
لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري واذا كان ذلك كذلك
فان زوال المكروه عمن هذه حالة لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفا له
الا بلطف تدبير العليم وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه
يتهيا بالتلطف فيه بزوال سببه فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر
وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء
فهذا هو الداء العضال الذي يعجز الاطباء عن معالجته ومنها قول افلاطون

افلاطون الآخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية
متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل تام بنصال الهيكل الطبيعي
يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طبايعه حتى
يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي ويؤديانه الى الداء العضال
ومنها قول ارسطوطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره
العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم
حبك الشيء يعمي ويصم وقول الشاعر وكنت بريء عيب ذي الود كله
ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا وقول الآخر
وعين السخط تبصر كل عيب وعين اخي الرضا عن ذاك عميا
وقول الآخر
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا
ومنها ما عليه ابو علي ابن سينا وغيره من الاطبا العشق
مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط
فكره على استحسان بعض الصور والشمايل وقد يكون معه شوق
جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة

عن طلب ذلك العشق من شخص مخصوص • وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية
والهام شوقي أوجبها الكريم الله تعالى على كل ذي روح ليحصل به اللذة العظمى التي
لا يقدر على مثلها إلا بتلك الألفة وهي موجودة في الأنفس بقدر
مراتبها عند أربابها فما أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته
من الخلق ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين
زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا مع الأخرى كونها بخبر
إليهم عنها بصورة لفظ • وقال الأصمعي سألت أعرابية عن
العشق • فقالت جل والله عن أن يرى • وخفي عن أبصار الورى
فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى
وإن تركته توارى • وقال بعضهم الجنون فنون والعشق
فن من فنونه • واحتج بقول قيس
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم • العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه • وإنما يصرع المجنون في الحين
وقيل لأبي زهير المدني ما العشق فقال الجنون والذل وهو
داء أهل الظرف • وقيل لأبي وايل الأوضاحي ما تقول

ما تقول في العشق فقال إن لم يكن طرفا من الجنون فهو عصارة من السحر
وقالت أعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك • وقال المأمون
ليحيى بن أكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها
نفسه فقال له ثمامة اسكت يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق
أو محرم صاد صيدا وأما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل
يا ثمامة قال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وسالك مسالكه
لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جارية ملك الأبدان وأرواحها
والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها قد أعطي عنان طاعتها
وقوة تصرفها وتوارى عن الأبصار مدخله • وعمي عن القلوب مسلكه
فقال المأمون أحسنت يا ثمامة وأمر له بألف دينار • وهذا القدر
كاف في معرفة العشق ورسمه إن شاء الله تعالى • والله أعلم

الفصل الثاني في أسبابه وعلاماته

أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على أسباب العشق النفسانية
وعلاماته الجسمانية على أن هذا النوع الأخير كثير والمتصفية
من المحبين جم غفير وسنورد من ذلك ما يعذب وروده ويخفق لقلب العاشق

بنوده ان شاء الله قال بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان و الفكر
وسببه البدني ارتفاع بخار ردي الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك كثير
ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفاني
في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب واكل الطيور المسموعة
تورث العشق وقال ايضا في الخلاصة من علامته تحافر البدن خلا
الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين جفافها
الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كانها تنظر الى شيء لذيذ ونفس كثير
الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لا سيما عند اسماء وصفات
مختلفة فانها اشد عند اختلاف النبض وتغيير الوجه فهو وقال
اراطيس الفلكي للعشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعا وذلك اذا
اشتركوا في اصل المولد واجتمعوا او تناظروا من اشكال محمودة ووقع سهم
العشق والمحبة في بيت احدهم وكان رب البيت وصاحب الحد ناظرا اليه
او كانت الكواكب المذكورة ناظرة من اشكال محمودة او متقارنة فزحل
يهيج الفكرة والتمني والطمع والهم والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون
وعطارد يهيج قول الشعر ونظم الرسائل والملح والجلايد ونميق الكلام

والتذلل والتلطف والزهرة تهيج العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث
في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازلة التي تبعث على
الشوق والغيلمة وتدعوا الى الطرب وسماع الاغاني وما شابهه وقال
بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر في برج واحد او متناظرين
من تثليث او تسديس فمتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما
تكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد او يتناظر السهمان من تثليث
او تسديس بعد ان يكون نظر صاحبهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان
هذين المولدين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة
وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فيجلب المنفعة ما بينهما المحبة
والمودة ويمتزجان ويويد هذا قول الحراوي قال

ولكن ارواح المحبين تلتقي • اذا كانت الاجساد عنهن نوما •
واحسب وجنا من الاصل واحد • ولكنه ما بيننا متقسما •
ولو لم يكن هذا كذا ما ألمت • له لا يحتى بالغيب لما تاالما •

ومن علاماته اغضاء عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه
نحو الارض وذلك من مهابته وحيائه منه وعظمته في صدره

ولهذا تستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم بل يكون خافض
الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال ادب نبيه صلى الله عليه وسلم
في ليلة الاسرى ما زاغ البصر وما طغى • وهذا غاية الادب فان
البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ما هو رايه •

ومنها اضطراب يد المحب عند رؤية محبوبه او عند سماع اسمه
كما قيل • وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى • فهيج اشواق الفؤاد وما يدري
• دعا باسم ليلى غيرها فكانما • اطار بليلى طايرا كان في صدري

• ومنها انه يستدعي سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في اخباره
ويحب اهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه
فيا ساكني اكناف دجلة كلكم الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وقال اخر

احب لحبها السودان كلها احب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه •
والانصات لحديثه اذا حدث • واستغراب كلما ياتي به ولو انه
عين المحال وتصديقه وان كذب • وموافقته وان ظلم • والشهادة له

وان جار • وابتاعه كيف سلك والاسراع بالسير نحو المكان الذي هو فيه
والتعمد للقعود بقربه والدنو منه • واطراح الاشغال الشاغلة عنه
والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته •
والتباطي في المشي على القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع
به قبل ذلك حتى كانه هو الموهوب له • وهذا قبل اشتغال نار الحب •
فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبذله سؤالا وتضرعا كانه ياخذ
من المحبوب • حتى كانه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة
يقولون للنبي عليه السلام في الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله • كما قيل
• يفديك بالنفس صب لو يكون له • اعز من نفسه شيء فداك به

ومنها الانبساط الكثير الزايد • والتضايق في المكان الواسع والمجاذبة
على الشيء ياخذه احدهما وكثرة الغمز الخفي • والميل والتعمد لمس اليد
عند المحادثة • ولمس ما امكن من الاعضاء الظاهرة • وشرب ما ابقى
الحب في الاناء • قلت ومنها تقبيل نعله في غيبته • وقد رايت
من فعل هذا فعنفته عن ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم
ما في هذا من اللذة ثم اني وجدت هذا المذكور بمكة • وارسل معي كتابا

الى محبوبه فقلت له كيف امكن الصبر بان يذعن عمرو • فانشد

وبالله مني جانب لا اضيعه • وللهو مني والخلاعة جانب •

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

امر على الديار ديار ليلى • اقبل ذا الجدار وذا الجدار •

وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديار •

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولا سيما اذا كانت المحبة محبة مشاكلة ومناسبة وكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام او يريد ان يتكلم به فيتكلم المحب به بعينه • وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه • قلت وقد اتفق هذا غير مرة للسلطان الملك الناصر احمد لما كان بالكرك مع محبوبه الشهيب • فانه كان يمرض لمرضه ويصح لصحته • اخبرني بذلك من لا ارتاب في قوله ممن كان في خدمته ملازما له • واما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير • فمن ذلك ما حكي عن ابي نواس انه مرض فدخل عليه بعض اصحابه يعودونه فوجدوا به خفة قال فانبسط معنا وقال من اين جئتم قلنا من عند نان جارية الناطفي فقال اوكانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت فقال والله لو انكرت علتي هذه ولم اعرف لها سببا

[illegible]

غير اني توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من احب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا ان يكون الله عافاه منها قبلي ثم دعا بدواة وكتب الى عنان

اني حممت ولم اشعر بحماك • حتى تحدث عوادي بشكواك •

فقلت ما كانت الحمى لتطرقني • من غير ما سبب الا بحماك •

وخصلة كنت فيها غير متهم • عافاني الله منها حين عافاك •

حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك في • هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك •

ومنها انه اذا سئل عن امر اجاب بخلافه وكثرة التثاوب والتمطي والكسل اذا نظر الى محبوبه • ونكت في الارض بابهام رجله وهذا كثير ما يقع للنساء • وعضها على شفتها السفلى واظهار محاسنها لمن تهواه انها ترى ذلك بعض اهلها وتنظرها الى اعطافها ووضعها الحديث في غير موضعه ايا بك اعني واسمعي يا جاره ومنها الانقياد للمحبوب في جميع ما يختاره من خير وشر فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب في طلبه اشد من اجتهاده • وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المستحسنة بالغ المحب في تطلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة او صناعة اجتهد في تعلمها ان امكنه ذلك

والمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال
والبلية كل البلية ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صغر من كل خير
فيحمله حبه على التشبه به • وفى اخبار العشاق ان عاشقا عشق
السراويلات من اجل سراويلات معشوقته فوجد فى تركته اثنى عشر حملا وفرده
من السراويلات ذكره الصبرى • وعشق اخر الهاونات من اجل صوت هاون
محبوبته فوجد فى تركته عدة آلاف منها وقد وقفت من هذا على كثير
والجنون فنون •

الفصل الثالث فى مراتبه واسمائه

اقول بهذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقها • واسمائها
واشتقاقها • على اختلاف لغاتها • واتفاق رواتها • ومن المعلوم ان الشئ
اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالبحر والرمح • والخمر • والسيف •
والداهية • والمحبة المحرقة • وما ادراك ما هيه • وضعوا له اسماء كثيرة
وكان عنايتهم به بحسبه • ولا شئ يعدل اعتنائهم بالحب الذى يسلب اللب •
فاول مراتب الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس
المحبوب قال الشاعر • انا الذى زعمت فوادك ملها •
خلقت هواك كما خلقت هوى لها • ثم العلاقة وهى الحب اللازم

اللازم للقلب • قال الشاعر • ولقد اردت الصبر عنك فعاقنى •
علق بقلبى من هواك قديم • وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب
قال الشاعر [ثم الكلف] وهو شدة الحب • واصله من الكلفة • وهى المشقة يقال كلفه
تكليفا اذا امره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق
ويتغافل عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها • وقيل هو ماخوذ
من الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم • والكلف ايضا لون من السواد
والحمرة وهى حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل من المقدار الذى اسمه
الحب • وفى الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة انواع
الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعى
الى الفساد وهو امر هذه الاسماء وقلما نطقت العرب وكانهم ستروا
اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده
فى شعرهم القديم وانما اولع به المتاخرون ولم يجئ هذا اللفظ فى
القرآن ولا فى السنة الا فى حديث ابن داود الظاهرى كما ياتى بيانه •
وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون فى عفاف الحب
ودعاويه وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشق كفرح العشق

وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقه تخضر ثم تدق وتصفر قال
الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت
لزج فسمي العشق الذي يكون من الانسان للزوجته ولصوقه بالقلب
وقال ابن الاعرابي العشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلو بالذي
يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ميدان العاشقين والعشيق
يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة
عاشقة وامرأة عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم ثم الشغف
قال العزيزي في غريب القرآن شغفها حبا اصاب حبه شغاف
قلبها والشغاف غلاف القلب يقال هو وجع القلب يقال هو حبة القلب وهي علقة
سوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق
من شغفات الجبال اي رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة اذا ذهب
به الحب اقصى المذاهب واما الشعف بالعين المهملة هو احراق الحب القلب
قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا
شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج اعني مثل الشعف في الاحراق
فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا المه واحرق جلده ويقال

هوى لاعج محرق الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته فهذا هو الهوى
المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد
من عشق او حزن ثم التتيم فهو ان يستعبده الحب ومنه تيم الله اي
عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى ومنه
رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم ثم التدليه
وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اي حيره ثم الهيام
وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام
بالكسر الابل العطاش وقوم هيم اي عطاش والصبابة رقة الشوق
وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذي يتبعه
الحزن واكثر ما يستعمل في الحزن والكلف لا تكاد تستعمله العرب في الحب
وانما ولع به المتأخرون وانما استعمله العرب في المرض والشجو حزن
تبعه هم وحزن والشوق سفر المحب الى المحبوب قال في الصحاح
الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشيء وقد جاء في السنة
واسألك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واختلف في الشوق
هل يزول بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب

فاذا وصل اليه انتهى السفر • قال • والقت عصاها واستقر بها النوى •
كما قر عينا بالاياب المسافر • وقالت طائفة بل يزيد ويشتد لقول
الشاعر • واعظم ما يكون الشوق يوما • اذا دنت الخيام من الخيام •
قالوا ولان الشوق هو حرق المحبة والتهاب نارها في قلب المحب وذلك مما
يزيد بالقرب والمواصلة • والصواب ان الشوق الحادث عند اللقا
والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب • قال ابن الرومي •
اعانقها والنفس بعد مشوقة • اليها وهل بعد العناق تداني •
والثم فاها كي تزول صبابتي • فيشتد ما القى من الهيمان •
كان فؤادي ليس يشفي غليله • سوى ان يرى الروحين يمتزجان •
والبلابل الهم ووسواس الصدور والبلبال جمع بلبلة يقال بلابل
الحب وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح به الحب والشوق
اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة
المحب اسرى الى محبوبه قال الزاجر • اني سابدي لك فيما ابدي •
لي شجنان شجن بنجد • وشجن لي ببلاد الهند • وقال آخر •
تحمل اصحابي ولم يجدوا وجدي • وللناس اشجان ولي شجن وحدي •

والوصب الم الحب ومرضه فان اصل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكمدة
تغير اللون والارق السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون
اصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره
فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا والود خالص المحبة والحب
والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة والخلة توحيد
المحبة فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبوبه وهي مرتبة لا تقبل المشاركة و
لهذا اختص بها من العالم الخليلان ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام • قال
الله تعالى • واتخذ الله ابرهيم خليلا • وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الله اتخذني خليلا • كما اتخذ ابرهيم خليلا • وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا • قيل انما سميت
خلة لتخلل المحبة جميع اجزاء الروح قال
قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا •
وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل • وقال محمد حبيب الله وابرهيم خليل الله •
وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين • وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا صلى الله عليه وسلم

خليلا تحصل من نعام الحب العام على الخاص والعام كما يقال

حللت بهذا حلة ثم حلة • بهذا فطاب الواديان كلاهما •

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام

الولوع • والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين وا كثير عزة

قضى كل ذي دين فوفى غريمه • وعزة ممطول معنى غريمها •

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسما آخر غير هذه اضربت

عنها خوف الاطالة والمحبة ام هذه الاسما كلها • وقيل الشوق جنس والمحبة

نوع منه لا ترى ان كل محبة شوق • وليس كل شوق محبة • وخالف ذلك صاحب المنظوم

والمنثور • فقال زعموا ان العشق والهوى انه هوى الشيء فيتبعه غيا

اورشدا • والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد

والذي يهوى الامر محب وللناس في حد المحبة كلام كثير فقيل هو الميل الدائم

بالقلب الهايم وقيل هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب

على عدد الانفاس كما قال المتنبي • يراد من القلب نسيانكم •

وياء بي الطباع على الناقل • وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام

كما قيل • ومن عجب اني احن اليكم • واسأل عنهم من لقيت وهم معي •

وتطلبهم عيني وهم في سوادها • وتشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي •

وقيل هي حضور المحبوب عند المحب دايما • كما قال الآخر •

خيالك في عيني وذكرك في فمي • ومثواك في قلبي وانت تغيب •

وفي اشتقاقها اقوال قيل هي مشتقة من حبه وهي سويداه و

قيل ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هي

مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم • وقيل من حباب الماء

الذي يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك

اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء

الذي تسميه المصريين الزير • ما احسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ملغزا في كوز الزير وفيه اعتراض تشبيه • وحسن نظم زينه وذي اذن بلا سمع

له قلب بلا قلب • اذا استولى على حب • فقل ما شئت في الصب •

الفصل الرابع في مدحه وذمه

اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه • وترياقه

وسمه • فكم مدحه عاقل • وذمه متغافل • هيهات فات من ذمه

المطلوب • ومن اين للوجه المليح ذنوب • فمن خصاله المحموده وفضايله

بعض العلماء وهو مصنفه او ما يعلمه الا الله عند الله
اشتقاقها من فعلها ههنا الحبة غليان القلب وقيل
من حب الماء

الموجودة مما قاله العلامه قدامه العشق فضيلة تبعث الحيلة • وتشجع
الجبان • ويسخي كف البخيل • ويصفي ذهن الغبي • ويطلق بالشعر
لسان المعجم • ويثبت حزم العاجز • وهو عزيز • تذل له عز الملوك • و
تضرع له صولة الشجاع • وهو داعية الادب • واول باب تفتق
به الأذهان والفطن • ويستخرج به دقائق المكالمة والحيل •
واليه تستروح الهمم • وتسكن نوافر الأخلاق والشيم • تمتع جليسه
ويونس اليفه • له سرور يجول في النفوس • وفرح تسكن في القلوب •
قيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق • فقال الحمد لله الان رقت
حواشيه • ولطفت معانيه وملحت اشاراته • وظرفت حركاته • وحسنت
عباراته • وجادت رسائله • وحلت شمائله • فواظب على المليح
واجتنب القبيح • وقيل للآخر كذلك فقال لا بأس بذلك اذا عشق لطف
وظرف • ودق • ورق • وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا •
فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا • وقد صدق فيما قال
العباس بن الاحنف • وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى •
ولا خير فيمن لا يحب ويعشق •

وقال الاخر

قال •

وما سرني ان خلي من الهوى • ولو ان لي ما بين شرق ومغرب •

وقال الاخر •

ولا خير في الدنيا بغير صبابة • ولا في نعيم ليس فيه حبيب •

وقال الاخر

اسكن الى سكن تلذ به • ذهب الزمان وانت منفرد •

وقال الاخر

اذا لم تذق في هذه الدار صبوة • فموتك فيها والحياة سواء •

وقال الاخر

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر • حبيبا ولا وافى اليك حبيب •

وقال الاخر

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها • فيما مضى احد اذا لم يعشق •

وقال الاخر المتنبي

وعذلت اهل العشق حتى ذقته • فعجبت كيف يموت من لا يعشق •

فقلت • انا مضمنا لقول المتنبي هذا مع زيادة التوريه •

إن تم تسألوا اماذا لقيت من الهوى • فانا الذي ما رشفه وعرفته •
خالفت في رشف الرضا وطعمه • وعدلت اهل العشق حتى دقته •

وحكي ان الملك بهرام جود كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دني النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة • فاعلم الملك بهرام جود بذلك ففرح وارسل الى التي قيل له انه عشقها ان تتجنى عليه وتقول له لا اصلح الا لشريف النفس عالي الهمة لملك او عالم فلما قالت له ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك • وتولى الملك فكان من خيرهم فاثبت ذلك في حكمته الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم • قالوا والعشق المباح مما يوجر عليه العاشق • كما قال شريك • وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا اعظمهم اجرا • قالوا وارواح العشاق عطرة لطيفة • وابدانهم ضعيفة • وارواحهم بطيئة • الانقياد لمن قادها • تماشي كنها الى سكنت • وعقدت حبها اليه • وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد في العقول • وتحرك النفوس • وتطرب الارواح • وتجلب الافراح • وتتشوق الى سماع اخبارهم الملوك فمن دونهم • ويكفي العاشق المسكين

الذي لم يذكر مع الملوك • ولا مع الشجعان الابطال • انه يعشق ويشتهر بالعشق • فيذكر في مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم وتدور اخبارهم وتروى اشعاره ويبقى له الشعر ذكرا مخلدا • ولولا العشق لم يذكر له اسم • ولا جرى له رسم • ولا رفع له راس • ولا ذكر مع الناس •

قال المرزباني • سئل ابو نوفل هل سلم من العشق احد قال نعم الجلف الجافي الذي ليس له فضل ولا عنده فهم • واما من في طبعه ادنى ظرف ومعه ديانة اهل الحجاز وظرف اهل العراق فلا يسلم منه •

وقال بعضهم لا يخلو احد من صبوة الا ان يكون جافي الخلقة ناقصا او منقوص البنيه او على خلاف تركيب الاعتدال •

قال

فوا عجبا للدهر لم يبق مهجة • من العشق حتى الماء يعشقه الحجر •
ويكفي العاشق انه يرتاح للمعروف • واغاثة الملهوف • كما قيل

ويرتاح في المعروف في طلب العلا • لتحمد يوما عند ليلى شمايله •

وقال ابو المنجاب • رايت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله • فيقذف في قلبي وينغلق الصدر •

• فلا يقتضي ما في فؤادي من الهوى • ومن فرحي بالحب او ينقضي العمر •

فقلت يا فتى ما لهذا البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال
بلى والله ولكن الحب ملأ قلبي فتميت المنى والله ما سرني ما يقلبني منه
ما فيه امير المؤمنين من الملك • واني ادعوا ان يثبته الله في قلبي عمري
ويجعله ضجيعي في قبري • درايت بر ولم ادر • هذا دعاي وله قصة
وفيه رغبت فيما يعطي الله ساير خلقه ثم مضى قلت ذكرت هنا
ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعري
ما يعجبك فيها واولها مرار • وآخرها خمار فقال والله لكن بينهما
نشأة لا ابيعها بخلافتك يا امير المؤمنين • وانشد

• ان يكن اول المدام كريهاً • او يكن آخر المدام صداعاً •
• فلما بين ذا وذاك هبات • وصفها بالسرور لن يستطاعا •

واما ما جاء في ذمه وشر اين سمه

فاكثر من ان يحصر فلم تر الغني صعلوكاً • والمالك مملوكاً • كما قيل

• ظل من فرط حبه مملوكاً • ولقد كان قبل ذلك مليكاً •
• تركته جاءه دو القصد صبا • مستهاماً على الصعيد تراكاً •

الابيات وهي لبعض ملوك اندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني
هذا الكتاب ان شاء الله تعالى • وكم من عاشق اتلف في معشوقه
ماله وعرضه ونفسه • وضيع اهله ومصالح دينه ودنياه • ووقع
فيما ياباه • والعشق يجذب النفوس الى الردى بالطبع واحدى لمن
لا يعشق • قالوا ولم عاشق هرب من الحب الى موضع التلف ليتخلص من
التلف بالتلف • وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر • قال كنت
بالثغر فنودي بالنفير • فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه
بين يدي • فالتفت الي • وقال انت دعبل • قلت نعم قال اسمع مني • ثم انشد

• انا في امري رشادي • بين حب وجهاد •
• بدني يغزو عدوي • والهوى يغزو فؤادي •

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله • قال فوالله ما خرجت الا هارباً
من الحب • ثم قاتل حتى قتل • وقال الواوا •

• بسبيل الهوى وعز • وحلو الهوى مر •
• وبرد الهوى حر • ويوم الهوى دهر •

وقال الآخر العشق مشغلة عن كل شاغلة • وسكرة العشق ينفي سكرة الوسن

وقال عبد المحسن الصوري

وكان ابتداء الذي بي مجونا • فلما تمكن امسى جنونا •
وكنا نظن الهوى هيّنا • فلاقيت منه عذابا مهينا •

وقال محمد اليزيدي

كيف يطيقوا الناس وصف الهوى • وهو جليل ما له قدر •
بل كيف يصفوا الحليف الهوى • عشق وفيه البين والهجر •

وما احسن قول عبد الله بن اسباط القيرواني •

قال الخلي الهوى محال • فقلت لو ذقته عرفته •
فقال هل غير شغل قلب • ان انت لم ترضه صرفته •
وهل سوى زفرة ودمع • ان لم ترد جريه كففته •
فقلت من بعد كل وصف • لم تعرف الحب اذا وصفته •

تنبيه الهوى اكثر ما يستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى
فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هي المأوى •
وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا • ومنه الحديث لا يؤمن احدكم
حتى يكون هواه تبعا لما جئت به • قال ابن عباس الهوى اله معبود •

وقرأ افرأيت من اتخذ الهه هواه • فتخلص من هذه الآية الكريمة والحديث
ان الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو في الخير والصلاح • وهوى
مذموم وهو في الشر والفساد • وفي كتاب التسهيل في فضايل البرماني •
ان بعض الصوفية قال انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه الى النار •
قلت لو قال يهوي لصاحبه الى الهاوية لكان انسب • وقال بعضهم
الهوى الهوان زيدت فيه النون • كما قيل

فسألتها باشارة عن حالها • وعلى فيها للوشاة عيون •
فتنفست صعداء وقالت ما الهوى • الا الهوان ازيل عنه النون •

قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه قيل اخلد الى الارض
اي سكن الى الارض ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه ارضية سفلية لا سمائية
علوية وبحسب ما يخلد العبد الارض من الارض يهبط الى السماء • قال سهل
قسم الله الاعضاء من الهوى لكل عضو منه حظا فاذا مال عضو منها
الى الهوى رجع ضرره الى القلب • وللنفس سبع حجب سماوية • وسبع حجب ارضية •
فكلما دفن العبد نفسه ارضا ارضا • سما قلبه سما سما • فاذا دفن النفس تحت
الثرى • وصل القلب الى العرش • وحاصل القضية ان النفس والهوى •

إصل كل بليه • وفيه ذل كل نفس ابية • وقد قال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
للمؤمن ان يذل نفسه • قال الامام احمد في تفسيره ان يتعرض من
البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه • وقال
اخضع وذل لمن تحب فليس في شرع الهوى انف تشال وتعقد •

وقال الاخر

ما يكن اهل القبور حتى قبورهم • عليها تراب الذل دون المقابر •

وقال شيخ شرف الدين ابن الفارض رحمه الله تعالى •

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل • فما اختاره مضنى به وله عقل •
وعش خاليا فالحب راحته عنا • فاوله سقم وآخره قتل •

الفصل الخامس

في اختلاف الناس فيه فهو اختياري او اضطراري اقول
هذا الفصل عقدناه لما تقدم ذكره • واسفر كالصباح سفره
اذ للناس فيه كلام من الطرفين • وتبختر بين الصفين • فقائل بانه
اضطراري • وقائل بانه اختياري • ولكل من القولين وجه مليح
وتدبر جيح • ونحن نذكر من ذلك ما يعم به الانتفاع • ونتكلم في طوله وعرضه

بالباع والذراع • فمن ذلك ما قاله القاضي ابو عمرو بن محمد البوقاني في كتابه محنة
الظراف • العشاق معذورون على كل حال • مغفور لهم جميع الاقوال والافعال •
اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار • بل اعتراهم على جبر واضطرار • والمرء
انما يلام على ما يستطيع من الامور • لا في المقضي عليه والمقدور • وقد جاء
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم • ان الحامل كانت ترى يوسف عليه السلام
فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته اباختيار منها كان ذلك ام باضطرا
ر لا بل باضطرار • وفقد اقتدار • هذا مما لا يشك فيه ذو لب •
ولا يختلج خلافه في قلب • قلت وجاء في قوله تعالى فلما راينه
اكبرنه اي راينه في اعينهن كبيرا • وقيل حضن في الدهش وقال
ابن عباس ايدين وامنين من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن
يقطعن الاترج • ولم يجدن الما لجراحهن لاشتغال قلوبهن بحسنه •
وقال وهب كن اربعين امرأة • فمات منهن تسع وجدا بيوسف
وكمدا عليه صلى الله عليه وسلم • وما احسن قول بعض بني عذرة • وقد قال له
بعض العرب ما بال احدكم يموت عشقا في هوى امراة الفها انما ذلك
ضعف نفس ورقة وجود تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال والله

لو رأيتم الحواجب الزج • فوق النواظر الدعج • تحتها المباسم الفلج • لاتخذتموها
اللات والعزى • وقال الفضيل بن عياض • لو رزقني الله دعوة مجابة
لدعوت الله ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية •
وروى ابو السائب المخزومي وكان من العلم والدين بمكان متعلقا باستار
الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين • وقو قلوبهم واعطف
قلوبهم قلوب المعشوقين • فقيل له في ذلك فقال والله الدعاء لهم
افضل من عمرة من الجعرانة • وانشد •

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى • للعاشقين يبيت يا هجر •
ماذا تريد من الذين جفونهم • قرحى وحشو قلوبهم جمر •
متبلدين من الهوى الوانهم • مما تجن قلوبهم صفر •
وسوابق العبرات فوق خدودهم • درر تفيض كأنها قطر •

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر الفتح
ابن خاقان على قوله من ابيات •

ايها العاشق المعذب صبرا • فخطايا اهل الهوى مغفوره •
زفرة في الهوى احط لذنب • من غزاة وحجة مبروره •

قلت وقد بالغ في هذا الكلام • حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قيل في التمثيل •
بيت على انني راض بان احمل الهوى • واخلص منه لا علي ولا ليا •
والظاهر ان الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعي رضي الله عنه في ان الميت
عشقا من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي في باب العفاف
ان شاء الله تعالى فاعلم ذلك • وقال التميمي في كتابه امتزاج الارواح •
سئل بعض الاطباء عن العشق • فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم •
ولا بحرصهم عليه • ولا لذة لاكثرهم فيه • ولكن وقوعه بهم كوقوع
العلل المدنفة والامراض المتلفة • لا فرق بينه وبين ذلك • وقال المدائني
لام رجل رجلا من اهل الهوى فقال لو كان للذي يهوى اختيار لاختار
ان لا يهوى • قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه
وفي هذا قول المؤمل •

شف المؤمل يوم الحيرة النظر • ليت المؤمل لم يخلق له بصر •
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم • والله لا عذبتهم بعدها سقر •

حكي انه نال لما تمنى لانه عمي بعد قوله هذا • وقال ابو محمد ابن حزم
قال رجل لعمر ابن الخطاب • يا امير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها

فقال عمر رضي الله عنه ذلك ما لا يملك • وقال كامل في سلمى

• يلومونني في حب سلمى كأنما • يرون الهوى شيئا تمنيته عمدا •

• ألا إنما الحب الذي صدع الحشا • قضاء من الرحمن يبلو به العبدا •

وقال الشيخ شمس الدين بن القيم الجوزية • وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وإنما أرادوا به التمثيل فإن العشق من تحميل ما لا يطاق والمراد بالتحميل هنا التحميل القدري لا الشرعي الأمري انتهى • وقال عبد الله بن طاووس في قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا فقال إذا نظر إلى النساء لم يصبر وذكره عند سفيان بن سعيد في تفسيره • وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لأزالوه من نفوسهم • ومن هنا تبين خطاء كثير من العاذلين ويظهر أن عذلهم في هذا الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه وما ألطف قول بعضهم

• يا عاذلي والأمر في يده • هلا عذلت وفي يدي الأمر •

وإنما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب في انصباب دمع العاشق الصب • وذهب جماعة من الأطباء إلى أنه اختياري لا اضطراري • وقد تقدم في حد العشق ما ذكره ابن سينا وغيره أنه مرض وسواسي •

وسواسي جلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل وهنا تصريح منهم في أن الإنسان هو المختار للعشق بتسليط فكرته الواقع في بحار كرته قالوا ولأن المحبة إرادة قوية والعبد يحمد ويذم على إرادته ولهذا يحمد مريد الخير وإن لم يفعله ويذم مريد الشر وإن لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وأخبر أن عذابهم أليم • ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى • ومحال أن ينهى الإنسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة المطبقون على لوم من يحب ما يتضرر من محبته وهذه فطرة فطرة الله تعالى عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا أملك قلبي لم يقبلوا عذره • قلت والقول الصحيح الذي ليس فيه رد ولا عنه محجوب صد الفصل في ذلك هو أن العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفوذ الطباع وغير ذلك فمنهم من إذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين يوسف عليه السلام وقد كان لمصعب بن الزبير دارا انه المرأة حاضنت لحسنه وفيه يقول الشاعر •

إنما تصعب شهابين الله • قد تجلت بنور الظلماء •

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته • ولم يعرف فعله من عمامته •

قال الشاعر •

فما هو الا ان يراها فجاءة • فتصطك رجلاه ويسقط للجنب •

وهذا وامثاله عشقه اضطراري • والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس •
ومنهم من يكون اول من عشقه الاستحسان للشخص ثم يحدث له ارادة
القلب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة •
ثم يصير خلة • ثم يصير هوى • ثم يصير عشقا • ثم يصير تتيما • والتتيم
حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق • ثم يزيد التتيم فيصير ولها •
والوله الخروج عن حد الترتيب • والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله
مبدا عشقه اختياري • لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا
النوع ايضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر •
العشق اول ما يكون مجانة • فاذا تمكن صار شغلا شاغلا • ولهذا
قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه بحق من العشق هزله
جد • وجده هزل • اوله لعب • وآخره عطب • قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق • فلما استقل به لم يطق •

رأى لجة ظنها موجة • فلما تمكن منها غرق •

قال صاحب روضة المحبين • وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول
السكر اختياري • وما يتولد عنه اضطراري • فمتى كان السبب واقعا باختياره
لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره • ولا ريب ان متابعة النظر •
واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب • ولهذا اذا حصل
العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته او جاريته
ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما في قصة
مغيث وبريرة المشهورة • وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة
او اختياريا تارة • وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون
ادعا من قال انه اضطراري مطلقا او اختياري مطلقا غير مقبول عند ذوي
العقول **اقول** والى هنا انتهى الكلام على هذا الفصل
الذي طاب زمانها • واعتدل ظهر بها في وجه الورد حمرة الخجل •
وما بعدها الا الدخول في الابواب على الوجه المقترح والاتيان
بما فتح الله • ومن دق باب كريم فتح •

الباب الأول

في ذكر الحسن والجمال • وما فيهما من تفصيل واجمال •

اقول هذا باب عقدناه للكلام على الحسن واقسامه والحبيب وكلامه ولاسيما
اذا ابتسم من حبب • واضطرب عن ثغره بالضرب • وتساوى في حسنه في الحال
ماضيه ومستقبله • هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين هما الظاهر والباطن •
والظاعن والقاطن فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة والجود
والشجاعة • والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب • ووجهه الذي
فاق البدر بلا غيبة الشمس عند المغيب • نعم ذلك سمت البدر وشمامته • وقول
لحده الذي ازداد به حسنا من زاد الله في حسناته • فلذلك قيل الحسن
الصريح • ما استنطق الافواه بالتسبيح • وقيل بل هو

شيء به فتن الورى غير الذي • يدعى الجمال ولست ادري ما هو •

قلت وهو الصحيح لانه لا يدرك كنهه ولا يعرف شبهه حتى كانه نكرة لا تعرف
ومجهول لا يتعرف ولذلك قال بعضهم الحسن معنى لا تناله العبادة ولا يحيط
به الوصف وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذي يظهر انه
لهذا المعنى قيل للساما حسنا • قال بعضهم في سوداء مليحة •

يا رب سوداء تجلى بحسنها • ماذا يعيبون فيها وكلها حسنات •

وقلت انا

ووجه زال رونقه فاضحت • محاسنه بلحيته عيوب •
بليل الخط بالشاما ابتلي • فما حسناته الا ذنوب •

وقيل الحسن امر مركب من اشيا • واضاءة وصباحة وحسن تشكل
وتخطيط ودموية في البشرية • وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها •
واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة • وليست في الحسن بدليل ذلك •
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه • اذا تم بياض المراة في حسن شعرها فقد تم
حسنها • وقالت عائشة رضي الله عنها • البياض شطر الحسن • وقالوا في الجارية
جميلة من بعيد مليحة من قريب • فالجميلة التي تأخذ ببصرك جميلة
فاذا دنت منك لم تكن كذلك • والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها
زادتك حسنا • وقيل الجميلة السمينة من الجميل وهو الشحم • والمليحة
ايضا من الملحة وهو البياض • والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه •
وقال بعضهم الظرف في القد • والبراعة في الجيد • والرقة في الاطراف و
والحضر والسان كله في الكلام • واحسن الحسن ما لم يجتلب بتزيين •

يجسمها بهيجة
في الجيد
قوله والبراعة

قال امرؤ القيس • وجدت بها طيبا وان لم تطيب •

وقال الآخر

ان المليحة من تزين حليها • لا من غدت بحليها تتزين •

وقال بعض اهل اللغة العرب: تقول الحلاوة في العينين • والملاحة في الفم • والجمال في الانف • والظرف في اللسان • ومثله قول الحسن رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع اي اذا دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما احسن قول بعضهم • البدن فيه الوجه والاطراف • وفي الوجه المحاسن والله الاستشراف كالملاحة في العين • ونكته الملاحة الدعج وكالحسن في الفم • ونكته الحسن الفلج • وكالطلاقة في الجبين • ونكته الطلاقة البلج • وكالرونق في الخد • ونكته الخد الوجنه • ونكته الوجنه الضرج • ومما يستحسن من المرأة طول اربعة اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها • وقصر اربعة يديها ورجلها ولسانها وعينها • والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذل ما في بيت زوجها ولا يخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها • وبياض اربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها • وسواد اربعة اهدابها وحاجبها

وعينها وشعرها • وحمرة اربعة لسانها وخدها وشفتها مع لعس واشراب بياضها بحمرة • ودقة اربعة انفها وبنانها وخصرها وحاجبها وغلظة اربعة ساقها ومعصمها وعجزتها وما هنالك • وسعة اربعة جبينها وجبهتها وعينها وصدرها • وضيق اربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنها وما هنالك • قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفة المذكورة جميعها فما كان خفها ان تقال في حقها بيت لو ان عزة حاكمت شمس الضحى • في الحسن عند موفق لقضى لها

وحكي ان يعصود ملك الصين اهدى الى كسرى انوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وقتلا لا اجمالا • فبعث كسرى اليه بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع تضرب اهداب عينها خدها كان من اسنانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها طفاير تجرهن اذا مشت

فصل • قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسميه يوسف هذه الامة • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت امرؤ قد حسن الله

خلقك فاحسن خلقك • وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشينها بقبح فعله وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل • وقد نظم بعضهم هذا المعنى واحسن في المقال • فقال

يا حسن الوجه توق الخنا • لا تبدلن الزين بالشين •
ويا قبيح الوجه كن محسنا • لا تجمعن بين قبيحين •

ولما كان الجمال محبوبا من حيث هو آء النفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه • وقد سئل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم • مثل السيف فقال لا بل مثل القمر • وفي صفته صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه • وكما كان قال شاعره حسان بن ثابت •

متى يبد في الداجي البهيم جبينه • يلح مثل مصباح الدجى المتوقد •
فمن كان او من قد يكون كاحمد • نظام لحق او نكال لمعتدي •

وكان ابو بكر الصديق رضي الله اذا رآه قال •

امين مصطفى بالخير يدعوا • كضوء البدر زايله الظلام •

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير •

لو كنت من شيء سوى • كنت المضيء لليلة البدر •

ونظرت اليه عايشة رضي الله عنها يوما • ثم تبسمت فسألها م ذاك فقالت كأن ابا كبير الهذلي انما عناك بقوله •

واذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل •

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم • من الحسن في الذروة العليا • وروي ان بعض الصحابة لقي راهبا فقال له صف لي محمدا كأني انظر اليه • فاني رأيت صفته في التورية والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير • فوق الربعة • ابيض اللون • مشربا بالحمرة • جعد ليس بالقطط • جمته الى شحمة اذنه • صلت الجبين • واضح الخد • ادعج العينين • اقنى الانف • مفلج الثنايا • كان عنقه ابريق فضة • وجهه كدارة القمر • فاسلم الراهب • وكان صلى الله عليه وسلم • مع هذا الحسن قد القيت عليه المحبة والمهابة • فمن وقعت عليه عيناه احبه وهابه • فقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا • وكان احسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ومعنى • وهكذا كان يوسف الصديق عليه السلام •

قال ربيعه قسم الحسن نصفين فبين ساده ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن
بين ساير الناس • وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم • انه راى يوسف
ليلة الاسرى • وقد اعطى شطر الحسن • وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يستحب ان يكون الرسول حسن الوجه • حسن الاسم • وكان يقول اذا بردتم
الى بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم • وقد روى الخرايطي من حديث
ابن جريج عن ابن ابي مليكة • يرفعه من اتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله
في موضع غير شاين له فهو من صفوة الله من خلقه • وقال وهب قال
داود يا رب اي عبادك احب اليك • قال مومن حسن الصورة قال
فاي عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصورة • ويذكر عن عايشة
رضي الله عنها • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من اصحابه
على الباب فجعل ينظر في الماء ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم
فقالت يا رسول الله وانت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل
الى اخوانه فليتهيا من نفسه فان الله جميل يحب الجمال • وقال
معاويه لرجل وقد دخل عليه وراى في وجهه ما يكرهه مما يمكن ازالته
ما يمنع احدكم اذا خرج من منزله ان يتعاهد اديم وجهه

فصل قوله تعالى • لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم • اي في احسن تعديل لقامته وصورته وحسن هاته منتصبا
تناول ماكوله بيده مرتبا بالعقل الكامل لها بهم • وعلى هذا حكاية
الرشيد لما خلا بزوجه في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني احسن من
القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا
يقع عليه طلاق فقيل له ما خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم
وكفتاني من هو اعلم منا وهو الله تعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم • وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشا
انه هو الصوت الحسن • ولهذا قال ابو نواس •

قد كان بدر السماء حسنا • والناس في حبه سواء •
زاده ربه عذارا • تمم به الحسن والبهاء •
لا تعجبوا ربنا قدير • يزيد في الخلق ما يشاء •

حكي عن بعض النساء انها كانت تكثر صلوة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها
تحسن الوجه وانا احب ان يحسن وجهي • وحكي ان المامون استعرض
جيشا فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فراه الكنا فامر باسقاطه

فقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت فصاحته وهذا الرجل
لا ظاهر ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو
منظور والآخر من جهة نفسه وهو مجرد ولهذا ما يتلازمان وكذلك
فرع اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس اولاً الى الهيئة البدنية حتى
قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس مردية وقد
قال عليه السلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله
يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفوائد ويدل عليه قوله تعالى
وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله
لم يخلق الصور مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها
ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبعا للخليقة
ناسبا مطردا واصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله تعالى نبيا
قط الا بهر اهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته اول نظرة
رايته احسنهم صورة واتقنهم بنية فهو اول مرتبة واعلا منقبة
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود
الحدق تنبيه قال الامام فخر الدين الرازي في اسرار التنزيل

ما ملحته حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة افضل
منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن
السيرة من مطالب الحكمة ومنها ان يوسف عليه السلام اجتمع له حسن
الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع من البلاء
منها ان اباه كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن في اسر الرق
ومراودة امراة العزيز وادخل السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك
حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال انك اليوم لدينا مكين امين
ولم يقل صبيح مليح فلذلك دل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة
ومعلوم ان حسن الصورة لا يبقى الا اياما قلائل واما حسن السيرة فانه
لا يزول ابدا ولا تنقل نتيجته قلت وممن حصل له الاذى بسبب حسن
نصر بن حجاج وذلك ان عمر رضي الله عنه مر ليلا فسمع امراة تقول
هل من سبيل الى خمر فاشربها ام هل سبيل الى نصر بن حجاج
فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم فراه احسن الناس وجها وله شعر

شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال له لا تساكني في
بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر
فلما ودعه قال له يا امير المؤمنين لقد شممتني قتل نفسي فقال
عمر كيف ذاك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال
عمر ما ابعدت لكني اقول ما قال شعيب عليه السلام ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله وقد اضعفت لك يا
نصر عطاك ليكون ذلك عوضا لك • اقول ذكرت بحلقه شعره
فكان احسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك وهو لطيف في بابه •

• حلقوا راسه ليزداد قبحا • غيرة منهم عليه وشحا •
• كان صبحا عليه ليل بهيم • فمحوا الليل وابقوا صبحا •

• وما احسن قول السراج الوراق في مليح قلندري •

• عشقت من يقنه قرقف • وما له اذ ذاك من شارب •
• قلندريا حلقوا حاجبا • منه كنوز الخط من كاتب •
• سلطان حسن زاد في عدله • فاخذا ان يبقى بلا حاجب •

31

وقول ابن سنا الملك في ضعف وعلاقته في الاول واهية •

• حكيت جسمي نحولا • فهل تعشقت حسنك •
• وكان جسمي مضنا • فصرت كلك جفنك •
• ونلت ذلك الله حسنا • والله اتلك انك •

فصل وقد تقدم ما يستحسن من المرأة فلنذكر هنا ما قالت
الشعرا في تشبيه تلك الاعضاء بالحروف لانهم اكثروا من ذلك واحسنوا
فيه فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم
بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة المطفوة بالسين •

• ومن احسن ما قيل في ذلك قول محاسن الشوا •

• ارسل فرعا ولوى هاجري • صدغا فاعيى بهما واصفه •
• فخلت ذا من خلفه حية • تسعى وهذي عقرب واقفه •
• ذي الف ليت لو صل وذي • واو ولكن ليست العاطفه •

• وقال آخر وهو لطيف •

• يس طرتها وصاد عيونها • اني اعوذها بسورة طه •

وقال ابن مطروح

قالت لنا الف العذار بخده • في ميم مبسمه شفا الصادي

وقال ابن ضعاده

صنم الجمال فصاده من عينها • والنون حاجبها بخال تنقط

والميم فوها والحروف ثلاثة • مكتوبة والصبر عنها كشط

وقال آخر

لا تقولي لا فمكتوب على • وجهك المشرق نورا نعم

بحروف خلقت من قدرة • ما جرى قط عليها قلم

نونها الحاجب والعين بها • طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين احمد بن الحجي رحمه الله تعالى

ان صدغ الحبيب والفم والعارض • منه واو وصاد ولام

هي وصل بين المحاسن لما • تم حسنا وبالعذار التمام

غير ان اداة وصل وداع • فيه يقضي افتراقنا والسلام

وقلت انا

حبيب تعالى فرق جبينه • وقال تواصى دمعه ما يقوم

وخط عذاري اعجم الخال لامه • ولم ادر ان اللام في الخط تعجم

وقلت ايضا

ترنوا الي بعين نون حاجبها • كالقوس يصمي الرمايا وهي مرنان

وقلت ايضا في عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء في تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان

فكم الف بها امسى • رشيق القامة النضرة

وكم شين بحاشية الكتاب • بخالها طرة

وعين اصبحت في العين • مثل العين والنفرة

وقال ايضا في تقريظ ورد علي من بعض الاحباب من رسالة افتتحها

بقصيدة فيها

رفضت النوم بعدك يا علي • فلا تعجب لدمعي ان توالى

ووافاني كتاب منك عال • حكت الفاته السمر الطوالا

وكم شاهدت من خط ولكن • شاكله ما رأيت له مثالا

لئن امست به الالفات قطعا • فكم وصل تضمن الوصالا

وكم الف به للوصل لاحت • كغصن البان لينا واعتدالا

تعانق لامها طورا يمينا • وآونة يعانقها شمالا

ظننت اللام فيه عذار خد • وخلت النقط فوق الخد خالا •
وامسى طالع الطاآت فيه • يعلم لينه الغصن الكمالا •

وقال القاضي الفاضل من رساله كتبها الى موفق الدين خالد بن القيسراني وقد وقفه على رسالة كتبها بالذهب جا منها فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمايم • ومن لامات بعدها يحسبها المحب على عناق قدودها النواعم • ومن صادات نقعت غلل القلوب الصوادي والعيون الحوايم • ومن واوات ذكرتنا في حسنه الاصداغ من العطفات • ومن ميمات دنت لافواه من ثغرها لتنال جنى الرشفات • ومن سيناه كانها التناشد في تلك المغفو • ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بانحناء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التي تخفق لخفقان الاجنحات كالطيور • وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين • وخالد فيها خالد • وتحيته فيها المحامد • وبين نضرت في ذهب ذايب والنحو نضرت في حبر بارد •

الباب الثاني
في ذكر المحبين الظرفا من الملوك والخلفا

اقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا واطولهم باعا واطيبهم عيشا • واكثرهم طيشا • وارقهم شعرا • وادقهم فكرا • واقربهم رجوعا • واكثرهم بالحبيب ولوعا • اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك • واحقهم بالنوم على تلك الارايك • وذلك بحسب ما سولت لهم نفوسهم • ورتبه لهم جليسهم • كما قيل •

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدي •
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم • ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي •

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا • ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهداء • وسياتي حكايته في باب العفاف لنشاء الله تعالى • ومنهم من اصبح دونه في العفاف • واقام سالف محبوبته مقام السلك • ومنهم من خلع العذار • واصبح بقول شاعر في العقار •

شعر دع عنك لومي فان اللوم اغراء • وداوني بالتي كانت هي الداء •

فجمع بين ذات العقود • وابنة العنقود • ولكن مع صيانة • ورجوع الى ديانة • فهو ان طال به المجلس اختصر • وان جنى على محبوبه اعتذر •

كما قيل

إن أكن قد جنيت في السكر ذنبا • فاعف عني يا راحة الأرواح •
أي عقل يبقى هناك لمثلي • بين سكر الهوى وسكر الراح •

ومنهم من لعب بالراح اللذة المحظورة • واخرج به وجهة الحبيب من
صورة إلى صورة • فجاري الندم في الجريال • وسما إلى الحبيب سمو حباب
الماء حالا على حال • فافضى به ذلك إلى هلكه • وفساد ملكه • كما
اتفق للأمين بن الرشيد وغيره • قال الربيع قعد الأمين يوما
للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض • فوقع في ثمان مائة
قصة فوالله لقد أصاب فما أخطأ • وأسرع فما أبطأ • ثم قال يا ربيع
ألا أحسن التدبير والسياسة ولكن وجدت الآس • وشرب الكاس •
والاستلقاء من غير النعاس • أشهى إلي من مقابلة الناس • وكذلك خلع
قبله الوليد بن اليزيد • وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والأمراء من آثر
راحة النفس على تعب السياسة • وما أحسن قول البستي •

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا • فاحكم على ملكه بالويل والحزن •
أما ترى الشمس في الميزان هابطة • لما غدا وهو برج اللهو والطرب •

والذي أراه طلاق ما ذهبوا إليه بالصريح • ومفارقة الجمع على وجه مليح •

ومن هنا نشرع في ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك • وأصبح مع كونه مالكا
كالمملوك • وهم في ذلك لشدة البأس على خلاف ما عليه الناس • وذلك
لأن العشق وأصحابه طبقات • ومنهم من لا يطيب له العشق إلا بالذل
وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين في المحبة • كما قال الشيخ
الشرف ابن الفارض رحمه الله •

ولو عز فيها الحب ما ذل في الهوى • ولم يك لولا الذل في الحب عزتي •

ومنهم من يرى توحيد المحبة وعدم الشرك كما قيل •

ليس في القلب موضع لحبيبين • لا ولا أحدث الأمور اثنان •
فكما العقل واحدا ليس يدري • خالقا غير واحد رحمان •
فكما القلب واحد ليس يهوى • غير فرد مباعد أو مدان •
وكذا الدين واحد مستقيم • وكفور من عقده دينان •
هو في شرعة المحبة ذو شرك • بعيد من صحة الإيمان •

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشرك في المحبة كالرشيد
وغيره كما يأتي في بابه لم يكن محبا حقيقة • وهذا الغالب على الملوك
لكثرة ما لديهم واختلاف القول عليهم كما قيل

تنقل فلذات الهوى في التنقل • ورد كل صاف لا تقف عند منهل •
فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود الفضة و
القناطير المقنطرة من الذهب والفضة • نعم قد يعشق الملك العظيم •
فلا تذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه • وانما اكثر ما يظهر
من اما الملوك ان يصفوا محبوبهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام
• ملك الاندلس وقد تقدم ذكرها •

ظل من فرط حبه مملوكا • وقد كان قبل ذاك مليكا •
تركته جآذر القصر صبا • مستهاما على الصعيد تريكا •
يجعل الخد واضعا فوق ترب • للذي يجعل الحرير اريكا •
هكذا يحسن التذلل بالحر • اذا كان في الهوى مملوكا •

• وقال الرشيد رحمه الله وقد عشق ثلاث جوارى •

ملك الثلاث الانسات عناني • وحللن من قلبي بكل مكان •
مالي تطاوعني البرية كلها • واطيعهن وهن في عصياني •
ما ذاك الا ان سلطان الهوى • وبه قوين اعز من سلطاني •

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء العرب •

عجبا يهاب الليث حد سناني • واهاب لحظ فواتر الاجفان •
واقارع الابطال لا متهيبا • منها سوى الاعراض والهجران •
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى • زهر الوجوه نواعم الابدان •
حاكمت فيهن السلو الى الصبا • فقضى بسلطان على سلطاني •
فابحن من قلبي الحمى وتركنني • في عز ملكي كالاسير العاني •
لا تعذلوا ملكا يذل للهوى • ذل الهوى عز وملك ثاني •
ما ضر اني عبدهن صبابة • وبنو الزمان وهن من عبداني •

قلت وكم مثله من ملك قاهر • وسلطان قادر • تذلل لهيبته
الاملاك • وتذعن لسطوته سيوف الفتاك • هدم الهوى اركانه
واذل عزه وسلطانه • فقصر جفنه في الليالي الطوال • واوقعه مع
عقيلة الحسن في اسر الاعقال • فقال

• اما يكفيك انك تملكيني • وان الناس كلهم عبيدي •
• وانك لو قطعت يدي ورجلي • لقلت لها رضى بالله زيدي •

قيل هما للمأمون • وقيل للمهدي • وقال الشيخ اثير الدين
ابو حيان • كان السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله

احد ملوك الاندلس حميد حسن السياسة متظاهرا بالدين رايته مرارا بغرناطه وانشدته شعرا وحضرت عند الانشاد من الشعرا ومن شعره

فمن الابيات

ايا ربة الخدر التي اذهبت نسكي • على كل حال انت لا بد لي منكي •
فاما بذل وهو اليق بالهوى • واما بعز وهو اليق بالملك •

وقال الملك الظاهر غازي في مملوكه ايبك الجمدار •

ايا مالك مملوك لظبي اغيد • ومن العجايب مالك مملوك •
وانا الغني واننى من وصله • من البرية معدم صعلوك •
ولكم سفكت دما بسيفي عنوة • ودمي بسيف لحاظه مسفوك •

وقال الملك الاشرف في مملوكه وكان خازن داره دوبيت •

افدي قمرا اتحاد فيه الصفه • بسحر ابدى وهو امين ثقة • ط ط
ماذا عجب يحفظ مالي ويرى • ذو حي تلفت به ولا يلتفت •

وبقية ماله من الاقاطيع ذكرتها في الباب الاول من نقل الكرام في مدح السقام • وذكرت فيه ايضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما بان فيها عنه من حسن الستر وهي من اغرب ما يحكى عن الملوك • وقال

وقال الملك تميم •

بالله جد لي بوعد صدق • وخل هذا الدلال عنكا •
ولا تدعني اظل اشكوا • مثل محياك ليس يشكا •

حكي عن المامون انه غضب على جاريته غريب المغنية وكان كلفا بها فاعرض عنها واعرضت عنه ثم اسلم الغرام واقلقه الشوق حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فانشا يقول

• تكلم ليس يوجعك الكلام • ولا يودي محاسنك السلام •
• انا المامون والملك الهمام • ولكني بحبك مستهام •
• بحقي عليك ان لا تقتليني • فيبقى الناس ليس لهم امام •

فقالت يا امير المومنين • والدك امير المومنين هرون الرشيد اعشق منك حيث يقول • ملك الثلاث الانسات عناني • الابيات الثلاثة المتقدمة وتمام الحكاية وهي حكاية مليحة ذكرتها في كتاب الكردان • وراى المامون ايضا غلاما مليحا الاحمين يوسف فقال ما اسمك • فقال فتح فقال المامون

يا فتح يا فاتح البلواي • ويا عليما بطول شكواي
الحمد لله لا شريك له • مولاي عبدي وانت مولاي

فبلغ احمد لذلك فوهب له الغلام • قلت فكان كما يقال كلما يصلح للمولى على العبد حرام • وقعد والد الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على راسها فاشار اليها ان يقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه • قبلته من بعيد فاعتل من شفتيه • وناولها القرطاس فوقعت تحته • فما برحت مكاني حتى وثبت عليه • فلما قراء ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها واقام معها اسبوعا لا يدري بمكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقه • كانما قلبهما قلب
روحاهما روح ونفساهما • نفس كذا فليكن الحب

وحكى ابو جعفر • قال بينما محمد زبيدة يطوف في قصر له اذ مر بجارية سكرى وعليها دراعة تسحب ذيالها فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين انا على ما ترى ولكن اذا كان في غد فلما كان الغد مضى اليها فقالت يا امير المومنين ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج

ماشتر از ترنجي صح

وخرج الى مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشي وابو نواس فامر بهم فادخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار • قال مصعب زاير

متى تصحو وقلبك مستطار • وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما • فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت • كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب

اتعذلني وقلبك مستطار • كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي • بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها • لالمسها بدا منها نفار
وقلت لها عديني منك وعدا • فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مستصا اجابت • كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس

وخود اقبلت في القصر سكرى • ولكن زين السكر الوقار
اتت تخطو ابا ارداف ثقال • وغصن فيه رمان صغار

وقد سقط الردا عن منكبيها • من التخميش وانحل الازار •
فقلت الوصل سيدتي فقالت • كلام الليل يمحوه النهار •

فقال له ويلك اكنت مطلعا علينا او ثالثنا في القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما في نفسك فعبرت عما في ضميرك فامر له باربعة آلاف درهم ولصاحبيه مثلها •

وذكرت ههنا ما قلت في ابن نهار •

اقول لموعدي نورا بليل • بدا كالبدر فيه ثم غابا •
كلام الليل يا ابن نهار زبد • اذا طلعت عليه الشمس ذابا •

وقلت فيها ايضا

ابيت ديان الجفون من الكرا • وابيت اسمر فيك مع سماري •
وتلوم ان اصبحت في يوم الجفا • مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

وحكي انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الفتيان وكان المتوكل يحبه حبا شديدا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقي من شهوته وكان قد اسن فاحضره وسقاه الى ان سكر وقال لشفيع اسقه وسقاه وحياه بورده وكانت على شفيع ثياب موردة

فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتجمش اخص خدمي بحضرتي فكيف لو خلوت به ما اخرجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة وكتب •

وكالوردة الحمرا حيا بوردة • من الورد يمشي في قراطق كالورد •
تمنيت ان اسقى بعينيه شربة • تذكرني ما قد نسيت من العهد •
سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة • خليا ولكن من حبيب على وعد •

ثم دفعها لشفيع فاعطاها للمتوكل فاستملحها وقال احسنت والله يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي يا شفيع الا انت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان شفيع يكتب على طرازه الايمن

بدر على غصن نضير • شرق الترائب بالعبير •

• ويكتب على طرازه الايسر •

خط صحيفة وجهه • في صفحة القمر المنير •

ومن غريب ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبيا بحبابة جاريته فخلا يوما في لهوه معها وقال لاكذبن قول من قال ما صفا لاحد عيش واحضر حاجبه وقال له لا تاذن لاحد علي ولا تعلمني

بجبر ولو كان فيه ذهاب مدة اليوم وأقام معها في أمنع حال فتناولت
رمانا فشرقت به فماتت لوقتها فعرض عليه ضرب من الوله أحال
بينه وبين الصبر ومنع دفنها حتى سأله جماعة من بني أمية في دفنها
ولاطفوه في ذلك حتى أمر بدفنها وقلت فيها •
فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى • فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد •
حكى أنه لم يقم بعدها إلا سبعة أيام ومات أسفا عليها
وقيل فعله هذا في عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته في نفل الكرام في
مدح المقام في الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزمشاه •
لما مات مملوكه فلج ومنع من دفنه • فكان يحمل معه في محفة وكلما حضر
بين يديه طعام قال احملوا هذا إلى فلج • فقال له بعض الأمراء
أيها الملك فلج قد مات فضرب عنقه • فلا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم • وتمام الحكاية مذكور في الكتاب

الباب الثالث

في ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع إلى الحب في

قوله هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل أن يرى فتم عليه ما تم

لما جرى من دمعه ما جرى فأصبح لا يقر له قرار بعد أن كان قرير العين و سهد •
على عينيه بما لم يريا فكان كمن كلف أن يعقد بين شعيرتين • كم ليلة
رقص فيها على السماع • وجمعه سهر من لياليها • مثنى وثلاث ورباع •
فهو أعلى طبقة ممن عشق باللمس • أو غيرها من الحواس الخمس • والظاهر
أن ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الأمر • أو تعارف سابق
في عالم الذر • كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس • وأحسن
في الاقتباس • محبة ما عرفت الدهر سلوتها • تجري مع النفس وتسري مع النفر •
وما لها آخر لكن أولها • تعارف سابق في حضرة القدس •
في عالم الذر ناجاني البشير بها • أهلا بمنيتها طهرا من الدنس •
أشهى إلى القلب من من علي وجلا • ومن يجال لها في الأعين النعس •
قوله لمشاكلة بينه وبين المحبوب إلى آخره • فيه إشارة إلى أنه لا يحد
اثنان متحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في بعض الصفات لا بد
من هنا ولهذا اغتم أبقراط حين وصف له رجل من أهل النقص أنه
يحبه فقال ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه • ويؤيد هذا قول
النبي صلى الله عليه وسلم • وقد سئل عائشة عن امرأة كانت تدخل على

نساء قريش فتضحكهن قدمت اليه المدينة فنزلت على امراة تضحك
الناس بها على من نزلت قالت على فلانة المضحكة فقال
الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف • وانشد طرفة •

تعارف ارواح الرجال اذا التقوا • فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال ابو الهذيل العلاف لا يجوز في دور الفلك ولا في
تركيب الطبيعة ولا في القياس ولا في الحس ولا في الممكن ولا في
الواجب ان يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا البر
الذي ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت •
فقد راينا من احب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك
اجوبة احسنها ان يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة عرضية
فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب
كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظر غرضه فانه يحبه لغرضه منه
كما بين الرجل وامراته الذين لكل منهما غرض مع صاحبه والقسم
الثاني محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذا

فهذا لا يكون الا من الجانبين ولا بد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه
لوجد عنده من محبته نظير ما عنده او فوقه او دونه وهذا مما لا بد
منه • وذكر بعضهم ان بعض المحبة ثلاثة اشياء • اما رؤية صورة • او
سماع نغمة • او سماع صفة • فهذه الثلاثة هي اصل ينبوع المحبة • اذ
لا يخلو احد من ان يستند الى شيء منها كما قيل

ثلثة اسباب لحب علاقة • وحب تملق وحب هو القتل •

واحوال الناس تختلف في ذلك • فمنهم من يحب بمجرد الوصف دون
المعاينة فيفنى فيمن وصف له وما رآه كما قيل

فاتني ان ارى الديار بطرفي • فلعلي ارى الديار بسمعي

اخذه القاضي الفاضل • فقال

• عللوني من الشام بذكرى • ان قلبي اليه بالاشواق •
• مثله الذكرى لسمعي كاني • اتمشى هناك بالاحداق •

وقال بعض الحكماء • ان الله عز وجل جعل القلب امير الجسد وملك
الاعضاء فجميع الجوارح تنقاد له • وكل الحواس تطيعه فهو مدبرها
وبارادته تنبعث • ووزيره العقل • وعاضده • ورائده العينان •

وطليعته الاذنان • ومما في باب النقل سواء لا يكتمانه شيئا • ولا
يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما
اشد ضررا السمع ام البصر قال هما للقلب كالجناحين للطاير لا ينهض الا
بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص احدهما فتحامل بالآخر على تعب
ومشقة • قيل فما بال الاعمى يحب وما راى والاصم يحب وما سمع
فقال لذلك • قلت ان الطاير قد ينهض باحدى جناحيه ولا
يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه • يقال
اوله السماع ثم النظر كما ان اول الحريق الدخان ثم الشرر حكي
عن ابي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم افهم معانيها ولكن • شجت كبدي فلم احمل شجاها •
فكنت كانني اعمى معنى • يحب العاينات ولا يراها •

وقال ابن طاهر قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال نعم
من قول بشار بن برد •

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة • والاذن تعشق قبل العين احيانا •
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم • الاذن كالعين توفي القلب ما كانا •

قلت والظاهر ان بشارا اخذ قوله من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه •
يعقوب الخرمي فقال

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها • يا للرجال لصبوة العميان •
فاجبتها نفسي فداؤك انما • عيني واذني في الهوى سيان •

وقال بعضهم الحب انما يتولد بالقلب في الذكر وانشد •

يزهدني في حب عبدة معشر • قلوبهم فيها مخالفة قلبي •
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى • فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب •
وما تبصر العينان في موضع الهوى • وما تسمع الاذنان الا من القلب •

وقال الحضرمي وقد صدق فيما نطق انما احست الحواس الخمس
بواسطة توسطها النفس • وقد قال الخليل بن احمد

ان كنت لست معي فالذكر منك معي • يرعاك قلبي وان غيبت عن نظري •
العين تبصر من تهوى وتعشقه • وناظر القلب لا يخلو من النظر •

وقال مظفر بن ابرهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى •

قالوا عشقت وانت اعمى • ظبيا كحيل الطرف المى •
وحلاه ما عاينتها • فتقول قد شغلتك وهما •

وخياله بك في المنام ... فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤاد ... وأنت لم تنظره سهما

ومتى رأيت جماله ... حتى كساك هواه سقما

وبأي جارحة وصلت ... لوصله نثرا ونظما

والعين داعية الهوى ... وبه يتم إذا اسما

فأجبت إني موسوي ... العشق إنصاتا وفهما

أهوى بجارحة السمع ... ولا أرى ذات المسمى

وقال الآخر

أيا من لامني في حب من لم يره طرفي ... لقد أفرطت في وصفك لي في القلب بالضعف

فقل لن تعرف الجنة ... يوما بسوى الوصف

وما أحسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن أيوب

وإني امرؤ أحببتكم لمكارم ... سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقا ... بأبناء أيوب فأنت الموفق

قلت أنا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه

وفيه زيادة حسنة مطلعها

وحياة وجهك وهو بدر مشرق ... قلبي عليك كما علمت واشفق

يا من إذا ما لاح آنس عذاره ... امشي ولي بالغصن عيش مورق

ما لاح خدك بالعذار مكاتبا ... إلا ظننت بأنه لي معتق

كم ذا قصدت على السماع بذكره ... والأذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية أن من الناس من يعشق على السماع ويقضي في محبة من لا رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها والحديث في الصحيح قاله صاحب الواضح المبين ومنهم من يحب أثر آثاره كما يحكى أن رجلا عشق أثر كف امرأة في حائط فلما أيس من صلاحه تركوه مات ومنهم من يحب في النوم شكلا لا يعرفه فيهيم فيه كما قيل

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت ... أطلعة الشمس كانت أم هي القمر

أظنها العقل أبداها تدبره ... أو صورة الروح أبدتها لي الفكر

أو صورة مثلت في النفس من أملي ... فقد تحير في إدراكها البصر

إذ لم يكن كل هذا فهي حادثة ... أتى بها سببا في حتفي القدر

ومنهم من يعشق باللمس قبل وهو رأس الشهوة ومنهم من يعشق بالشم

كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره • كذاك يعشق أيضا الأنف والأذن •

ومنهم ومن أخبرني انه دخل الحمام ورأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم من هي فأخذها واقام عنده زمانا واصابه من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف

كما قيل •

تلفت بشعرة وسمعت غيري • يقول سلمت من تلفي بشعرة •

ومنهم من يعشق جنية رآها في نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على رغمه كما حكى ابو الفرج الاموي • ان جعفر بن ابي جعفر المنصور كان يعشق امرأة من الجن حتى كثر ولهه بذلك فصار يصرع في النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر خليعا ماجنا ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال فاي مصلحة فيه واي غاية لم يبلغها في الفساد قال ويلك باي شيء هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها وداته اصحاب العزائم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا

عان

ومن شعره فيها •

يا بنة الجني في الحي حللت • دارس الآيات عاف كالحلل •

قلت هذا الذي يقال في حقه الجنون فنون • ومثل هذا ما اخبرني به صاحبنا جمال الدين عبد الله قال قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح وقع بين الانس والجن لقوله تعالى • وشاركهم في الاموال والاولاد • لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم • في ذكرها ينخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب في ذلك الجن • وقيل مما للعبد المحسن الصوري •

باي فم شهد الضمير له • قبل المذاق بانه عذب •

كشهادتي لله خالصة • قبل العيان بانه رب •

وما احسن قول الآخر

اهيم الى العذب من ريقه • كما هيم العاشقين العذيب •

شهدت عليه وما ذقته • يقينا وكم مثل العيب عيب •

وقال بشار بن برد

يا طيب الناس ريقا غير مختبر • الا شهادة اطراف المساويك •

وقال المتوكل الليثي

وثغر لها طيب واضح • لذيذ المقبل والمبسم •
وما ذقته غير ظن به • وبالظن يقضي على الحاكم •

وقال امرؤ القيس

كأن مدامة صهباء صرفا • ترقرق بين راووق ودني •
تعل به الثنايا من سليمى • فراسة مقلتي وصرع ظني •

وقال ابن حمديس الصقلي

وما ذقت فاها ولكنني • نقلت شهادة عود الأراك •

وقال البها زهير

فتنت به حلوا مليحا تحدثوا • يا عجب شيء كيف يحلو ويملح •
وقد شهد المسواك عندي بطيبه • ولم أر عدلا وهو سكران يطفح •

وقال ابن النقيب

قالوا فلانا يصوغ كذبا • يكسوه من لفظه طلاوة •
حلو حديث فقلت من لي • لو أنه صادق الحلاوة •

قلت وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين

ومما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام إلي وأجلسني معه ففاتحته في شيء من القراءة فإذا هو فيها ما هو ففاتحته في شيء من النحو فوجدته ماهرا فيه ثم في أشعار العرب واللغة فإذا هو كامل في جميع ما يراد منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل وقت أتفقده وأزوره قال فأتيت في بعض الأيام إلى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه من جيرانه فقالوا إنه مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت إلى بابه فطرقته فخرجت إلي جارية وقالت ما تريد فقلت أريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزا ما يعطي لأحد الطريق إليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت إلي وقالت بسم الله فعبرت إليه فإذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي مات ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال فكأني بك

وقد ظننتا ني رايتها فقلت في هذه منحسة ثانية • ثم قلت وكيف عشقت
من لا رايته فقال اعلم اني كنت في الطواف واذا رجل عابر وهو يقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة • ردي علي فؤادي اين ما كانا •

فقلت في نفسي لولا ان هذه ام عمرو وما في الدنيا مثلها ما قيل
هذا الشعر فعشقتها • فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يتغنى
وينقص • اذا ذهب الحمار بام عمرو • فلا رجعت ولا رجع الحمار •
فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت في العزا ثلثة ايام قال الجاحظ

فعادت عزيمتي وقربت همتي • على ترك الدفتر بحكاية ام عمرو •

• الباب الرابع •

في ذكر من نظر اول نظرة • فاحترق من خد الحبيب بجمرة •

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اوقعه النظر في الضرر المؤدي الى
السهر • اذ هو داعية الارق • وزيان الحرق • كم دعا الى الجماع •
المحرم بالاجماع • فهو سم مسموم • وفعل مذموم • وفي مبداه
يمكن استدراكه • واسيره حتى يرجى فكاكه • فاذا تكرر ادى ما صورته
كيت وكيتا ما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل •

كل الحوادث مبداها من النظر • ومعظم النار من مستصغر الشرر •
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها • فتك السهام بلا قوس ولا وتر •
والمرء ما دام ذا عين يقلبها • في اعين الغيد موقوف على الخطر •
يسر مقلته ما ضر مهجته • لا مرحبا بسرور جاء بالضرر •

قولي وفي مبداه يمكن استدراكه الى اخره • وذلك ان الرجل
تمر به المراة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا
لطبعه فتتحرك نفسه وتنبعث همته من اول نظرة فاذا تكرر
نظره اليها ازداد حبه لها • وان جلس حتى يراها صار الذي به اضعاف
ما كان فاذا نظرت اليه نظرة بها جرى من هوى وعلتها شجة من اعجابه
افتتن بجمالها • ووقع في اسر خيالها • ودخل في اسر العاشقين • وهذا مما يؤيد
قول من ذهب الى ان العشق اختياري لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه
المقدمات • وكان يمكنه حسم هذه المادة بعد النظرة الاولى • اللهم الا فيما
ندر كما تقدم في ذكر النسوة اللاتي راين يوسف عليه السلام • فمنهن من اول
نظرة • وكان يقال النظر من المحب موت عاجل • ومن المحبوب سهم قاتل •
وكان يقال رب عشق غرس من لحظة • وحرب من لفظة وكان يقال من اطلق

طرفه اكثر اسفه • وكان يقال من كثر لحظاته دامت حسراته • وقال اعرابى
العشق بدوه النظر ونماوه المزاوره ونماؤه الوصل • وفتكه الهجر وحصاده التجنى •

• وقال الصورى •

• غرست الهوى باللحظ ثم اخترته • واهملته مستانسا متسامحا •
• فلم حتى اينعت شجراته • وهبت رياح الوجد لوافحا •
فامسيت استدنى من الصبر عاريا • عليك ويستدعى من القوم نازحا •
وقال الاصمعى كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون
قد جاءت قد جاءت • فتحرك الناس فقمت معهم فاذا جارية قد وردت
الماء • ما رايت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقها • فلما رات كثرة
التشوق الناس اليها ارسلت برقعها فكانه غمامه غطت شمسا • فقلت
لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشات تقول
• وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر •
• رايت الذى لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر •
ثم نظر اعرابى اليها وقال انا والله ممن قل صبره • وانشد
• او حشية العينين اين لك الاهل • ابالحزن حلوا ام محلهم •

• وقال السهل •

• فوا اسفى ارض اخرجتك فاننى • اراك من الفردوس ان فتش الاصل •
• ففى خبرنا ما طعمت وما الذى • شربت فى من ابن استقل بل السهل •
• لان علامات الجنان مبينه • عليك وان الشكل يشبهه الشكل •
اقول هذا والله هو السحر الحلال • والعذب الزلال • قد اشتمل
على مذهب السحر الكلامى • والبدو السامى • فكانى بها • وقد ذكرت له
الاهل • ووصفت من حملها وخدها الحزن والسهل • هنالك يأتيها
سعيا على الراس لا سعيا على القدم • ويكون وجناتها الجمر احب اليه من حمر النعم •

وينشد

• ايدنى مكان البدر ان افل البدر • وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر •
• ففيك من الشمس المنيره ضوءها • وليس لها منك التبسم والثغر •
حكى انه دخل اصفهان مغنى وكان يتغنى بهذين البيتين وهما
• سماعا يا عباد الله منى • وكفوا عن ملاحظة الملاح •
• فان الحب اخوه المنايا • واوله شبيه بالمزاح •
قلت وفى هذا دليل على ان العين هى التى تجلب الحين •

وإذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما لصاحبه والحكم بينهما • وهي لما كانت العين رايدة • ومحبة القلب ذايدة • وهذه لها لذة النظر • وهذا له لذة الظفر • كانا في الهوى شريكي عنان • وفرسي رهان • فلما وقعا في الشبهة دون الحرق • واضر بصاحبهما الارق • فقال القلب يقول ادجانى • لطرفه الجانى •

• تمتعتما يا مقلتي بنظرة • واوردتما قلبي أمر الموارد •

• أعيني كفا عن فؤادي فانه • من البغي سعي اثنين في قتل واحد •

• وقال المتنبي •

• وانا الذي اجتلب المنية طرفه • فمن المطالب والقتيل القاتل •

وقال الآخر

• عوقبت قلبي وجنا ناظري • ورب ما عوقب من لا جنا •

وقال الآخر

• نظر العيون الى العيون هو الذي • جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا •

• ما زالت اللحظات تغزو قلبه • حتى تشحط بينهن قتيلا •

وقال الآخر

• يا من يرى شوقي يزيد • وعلي اعيت طبيبي •

• لا تعجلن فهكذا • تجني العيون على القلوب •

وقال ابن مهرك

• جرحت بلحظي خد الحبيب • فما طالب المقلة الفاعلة •

• ولكنه اقتص من مهجتي • كذا الديات على العاقلة •

فلما سمعت العين انشاده • وفهمت مراده • اشارت اليه • واخذت في الانكار عليه • فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم • واخرس يتكلم • أليس من الخبر الذي شاع وذاع • انك الملك ونحن الاتباع • ترسلني فما تريد كالبريد • وتعقب ذلك بالتهديد • اما سمعت قول ابي هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده • فان طاب الملك طابت جنوده • وان خبثت خبثت جنوده • وقول سيد الانام عليه الصلاة ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد • واذا فسدت فسد لها سائر الجسد • فبين ديني ودينك ادداك كما بين عماي وعماك • وقوله علام الغيوب • فانها لا تعمى الابصار • ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال • قالت في الحال •

انا ما بين عدوين • هما قلبي وطرفي •
ينظر الطرف ويهوى • القلب والمقصود حتفي •

وقال الآخر

يقول قلبي لطرفي اذ بكا جزعا • تبكي وانت الذي حملتني الوجعا •
فقال طرفي له فيما يعاتبه • بل انت حملتني الامال والطمعا •
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه • كلاهما بطويل السقم قد قنعا •
ناديتهما كبدي لا تتعبا فلقد • قطعتما بما لاقيتما قطعا •

وقال الآخر

عاتبت قلبي لما رايت جسمي نحيلا • فالزم القلب طرفي وقال كنت الرسولا •
فقال طرفي لقلبي بل كنت انت الدليلا • فقلت كفا جميعا تركتماني قتيلا •

قلت هذا كما يقال تفاتنين صعا عين وقال الآخر

فوالله ما ادري انفسي الومها • في الحب ام عيني القريحة ام قلبي •
فان لمت قلبي قال عيناك ابصرت • وان لمت عيني قالت الذنب للقلب •
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي • فيارب كن عونا على العين والقلب •

قيل والحال الذي بينهما يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد

كما ورد الخبر عن سيد البشر لا تزال الخصومة يوم القيمة بين الخلايق حتى يختصم الروح والجسد • فيقول الجسد للروح انت الذي حركتني وامرتني ونهيتني • والا فانا لم اكن اتحرك ولا افعل شيئا بدونك فيقول الروح له وانت الذي اكلت وشربت وتنعمت فانت الذي تستحق العقوبة فيرسل الله تعالى اليهما ملكا يحكم بينهما • فيقول مثلكما مثل مقعد بصير • واعمى يمشي دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام • فقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئا فقال المقعد تعالى • واحملني فانت تمشي وانا اتناول • فعلى من تكون العقوبة فيقول عليهما وكذلكما انتما •

في ذكر سحر الجفون • ونبل العيون • فمن ذلك قول بشار وهو اغزل بيت • قالت العرب فيما حكاه ابن خلكان

• انا والله اشتهي سحر عينيك • واخشى مصارع العشاق •

وقال شيخنا علامة الحافظ شمس الدين ذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حبوس انه قال اغزل ما اعلم • قول عبد المحسن الصوري •
بالذي الهم تعذيبي • ثنايا ك العذابا • ما الذي قالته عيناك • لقلبي فاجابا •

قال وممّا اغزل من قول جرير • ان العيون التي في طرفها حور البيتين

وانشد صاحب المرقص • والمطرب للعزّي •

لو لم ترامت باللحظ قال العدا • ما قيمة السيف الذي لا يقتل •

وقال ابن سهل الاشبيلي في مطلع موشحه •

يا اللحظات للفتن • في كرها او في نصيب •

ترمي وكلي مقتل • وكلها سهم مُصيب •

وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك رحمه الله تعالى •

بابي اهيف اذا رمت منه • لثم ثغر يصدني عن مرامي •

قد حمى خده بسور عذار • فقلنا اضحت عليه مرامي •

في وصف العيون الضيقة • قال ابن البنيه •

يصد بطرفه التركي عني • صدقتم ان ضيق العين بخل •

وقلت ايضا من قصيدة •

من بني الترك لين العطف قاسي • القلب سهل القياد صعب المراس •

ضيق العين وهو من صفة البخل • فان كان جاد ضد القياس •

جذب القوس فاكتست وجنتاه • ثوب ورد طرازها من اس •

ورمى من قوسين سهمين هنا • في فؤادي وذاك في القرطاس •

وقال ابن قرناص

علقته تركيا يسبي القلوب بعينه • لا يرتجي الجود منه بالوصل من ضيق عينه •

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته •

بهت العذول وقد راى الحاظه • تركية تدع الحليم سفيها •

فثنى الملام فقال دونك والاسى • هذا مضايق لست ادخل فيها •

وقال صفي الدين الحلي

لي منهم اذا رشا قابلته • كادت لواحظه بسحر تنطق •

ان شاء يلقاني بخلق واسع • عند اللقا نهاه طرف ضيق •

حكى الخرايطي عن بعض العلويين قال بينا انا واقف على الحسن بن هاني وهو ينشد

ويلي على بخل العيون • النهد الضمر البطون •

الناطقات عن الضمير • لنا بالسنة الجفون •

فوقف عليه اعرابي ومعه بنيه فقال اعد علي فاعاده عليه فقال يا ابن اخي ويلك انت ويحك من هذا ويلي انا وانت ويل ابني هذا وويل هذه الجماعة وويل جيرانهم كلهم • وقال سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة • من اجلها قيل للاغماد اجفان •

وقال الرشيد الدين الفارقي •

ان في عينيك معنى • حدث النرجس عنه •

ليت لي من غصنه • سهما ففي قلبي منه •

وقال محمد بن العفيف التلمساني •

لحاظك اسياف ذكور فما لها • كما زعموا اشبه الاداامل تغزلوا •

وقوله ايضا •

يا عاشقين حاذروا مبتسما عن ثغره • فطرفه الساحر قد تكلم في امره •

يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره • وقوله ايضا

قضاة الحسن ما صنعي بطرف • تمنى مثله الرشا الربيب •

رمى فاصاب قلبي باجتهاد • صدقتم كل مجتهد مصيب •

وقلت انا من قصيدة •

ثغار السمر منها حين تبدوا • كغصن البان من خصر البرود •

باطراف من الحناء حمر • والحاظ كبيض الهند سود •

وقلت ايضا •

الت لواحظه على اهل الهوى • ان لا يرى قتلا بغير مهند •

يرنوا وصارم لحظه في جفنه • ماضي الفرند ولم يمس الا بمشهد •

واذا تجرد للمحب فلا تسل • عن سيف جفن كالحسام مجرد •

وقلت ايضا •

غزال غزاني بالحاظ لانه • اذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم •

تكلمني الحاظ بسيوفها • ولم ير قبلي ميتا يتكلم •

وقلت ايضا •

تسل سيوفا من لواحظ طرفها • ولكنها من عادة الجفن غامد •

تجردها والدمع كالنيل سائح • فما ينثني الا وسيحان جامد •

وقلت ايضا

رنوا التي بعين نون حاجبها • كالقوس تصمي الرمايا وهي مرمان •

امير حسن على الاتراك حاجبه • على المحبة في مصر سلطان •

واما الحور قد اختلف الناس فيه فقال ابو عبيد الحور ان يشتد بياض العين في شدة سوادها • وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض • وقال ابو عمرو الظبية الحوراء السودا

العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس وانما يكون في الوحش

واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب • وابو عبيد لانهم انما

يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري الدرمك

الشديد البياض • وقلما يتفق بياض العين الا مع شدة سوادها •

الا ان بياضها مع الزرقة ليس هنالك مع النقا وقد اكثروا الشعرا

في وصف العين بالحور والسواد • وقل في شعرهم وصف العين الزرقا •

على انه جاء في حديث عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه و

انه قال الزرق في العين يمن • وقال بعض العرب •

• احبك ان قالوا بعينيك زرقة • كذاك عتاق الطير زرق عيونها •

ومن هنا اخذ العبدي قوله وقد قال له معوية انك احمر

فقال والذهب احمر • فقال انت ازرق • فقال والبازي ازرق •

الباب الخامس

في تغير الالوان عند العيان

من صفرة وجل • وحمرة خجل • ومما في معنى ذلك من عقد اللسان •

وسحر البيان • **اقول** هذا باب عقدناه لذكر تغير الوان المحبين •

[illegible]

51

اذا اوقعت العين في العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ قال له

الحاجر الحاين وقد نصب الاطباء على ذلك وجلوا من اصفرار المحب

واحمرار المحبوب • سواد كل حالك • وانا اورد هنا ما قالوه بنصه وعقبه

بذكر الوان الحسان • باحسن بيان • واوضح تبيان • هذا مع ما نجر

في ذيل ذلك من التفصيل بين السمر والبيض • ووقوع بحث السمان من

الشعور والارداف في الطويل العريض • واختم ذلك بفصل

في ذكر ما يعتري المحب من خفقان قلبه وطيران لبه • فاقول

وبالله التوفيق • قال بعض الاطبا سبب اصفرار وجه العاشق

الفزع • فان الدم لا ياوي مع الفزع • وربما نظر المعشوق الى العاشق

فجاءه • ويضطرب قلبه • وتشتعل الحرارة ثم تخمد • فاذا خمدت برد

الناموس • فاذا برد الناموس جمد الدم • واستحال اللون الى السواد •

والخضرة ثم يتسعر فيصفر • **واما** احمرار وجه المعشوق من الخجل •

والخجل عرض من حركة ناموس القلب فيحيل الدم ويلطفه في ارق

مكان من القلب والوجه • وذلك عند معالجة الحرارة العرضية

ومجاهدتها الدم لما يندفع • فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الناس •

فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه
الرقيق البشرة الصافي الأدم اذا خجل يحمر واذا فزع فيصفر • ومنه
قولهم • ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر

• حمر خلط صفرة في بياض • مثل ما حاك حايك ديباجا •

وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة وصفرة
لونه يولدها الفزع والبوس والغم والسقم • واما احسن الالوان فانه
الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه • وافضل الياقوت
وافخره الاحمر واجود الذهب احمره • وافضل العسل الذهبي والياقوتي •
وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها وهي حرباجها • واكرم
الابل حمرها ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم • وهو يعظم مقدار الملك
لو ان لي حمر النعم ولو ان لي طلاع الارض ذهبا • واحسن الانوار الورد
والشقايق والجلنار • واحسن الحلل المصبوغ المعصفرة • واحسنها
ما كان صبغة القرمز واحسن الخمر الحمراء • ولذلك وصفها الشعراء •
بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعقيق واحسن الالوان
المخلوقة النار • ومن اجل ذلك كني عبد العزى بن عبد المطلب ابا لهب

وكان يكنى قبل ذلك ابا عتبة • لانه كان من احسن الناس وجها وكانوا
يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار • لانه كان مشرق اللون • ملتهبه
كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم • المهلب ابا صفرة لصفرة كانت في وجهه •
ويقال في المثل كان وجهه النار وكان في وجهه الجمر • وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم • انه قال اهلك الرجال الاحمران واهلك
النساء الاحامر • الاحمران الخمر واللحم • والاحامر الذهب والفضة •

قال الشاعر

• ان الاحامرة الثلثة ضيعت • مالي وكنت بهن قدما مولعا •

• الخمر واللحم السمين وما طلى • بالزعفران فما ازال مروعا •

وكان النبي عليه السلام يعجبه الطاير الاحمر • وقال وهب بن عبد الله
ما رايت دالمه سودا في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

واما قول المتنبي

• من الجاء ادر فى ذى الاعاجيب • حمر الحلى والمطايا والجلابيب •

واما قول الشاعر

• هجان عليها حمرة في بياضها • تروق في العينين والحسن احمر •

فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان •
وقال ابن عبد ربه الحسن احمر • وقد تضرب فيه الصفرة لطول
الكث في الكن والتضميخ بالطيب في بيضة الادحي قال اعرابي •

بيت

• وما تسليت عن خمر اخاليه • كالعاج صفرها الاكنان والطيب •

• وقال الاخر •

كان لون البيض في الادجى • لونك لا صفرة لجادى •
يريد انها تضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة النعمة لا تذكر
صفرته • وقالوا الجارية الحسناء تلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضا
وبالعشي سودا • فقال بيضا ضحيتها • وصفراء العشية كالنهار •
• تخذي محاسن زينة • ومعصفراتهن احسن •
فاذا ملعنا فادخلي • في الحمر ان الحمر احسن •
وقال الحريري في درة الغواص ما قولهم الحسن احمر فمعناه •
انه لا يكتسب الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا اللسنة
المجدبة حمرا وكنوا عن الموت المستصعب بالموت الاحمر والحسن زينة

[illegible]

زينة النساء في اجسادهن الحطاب • ولذلك اطنبت الشعراء فيه وشبهوه بالحنا
وغيره •

قال ابو نواس

• يا قمرا ابصرت في ماتم • يندب شجوا بين اتراب •
يبكي فيذري الدر من نرجس • ويلطم الورد بعناب •

• وقال عكاشة •

• من كف جارية كان بنانها • من فضة قد طرفت عنابا •
وقال المرزباني قال لي ابن دريد • سهرت ليلة فلما كان آخر الليل
اغمضت عيناي فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسجا دخل
علي فاخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت
في الخمر فقلت ما ترك ابو نواس لاحد شيئا فقال انا اشعر منه •
فقلت من انت فقال انا ابن ناجية من اهل الشام •
وانشدني وحمراء قبل المزج صفراء بعده • اتت بين ثوبي نرجس وشقائق •
• حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا • عليها مزاجا فاكتست لون عاشق •
فقلت اسات الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت حمرا
• ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقائق • فقدمت الصفرة فهلا قدمتها على الاخرى

فقال وما هذا الاستقصا في هذا الوقت يا بغيض ثم انصرف

وقال المتنبي

قالت وقد رأت اصفراري من به • وتنهدت فاجبتها المتنهد

اخذه الاخر فقال

قالت لمن معها منكر • لو تقفي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم • قالت بمن والنسر قالت بمن •

وقال ابن البنة من قصيدة

وفي الحلة الحمرا بيضا طفلة • بزرق العيون السمر تحمي احمرارها •

وقال عماد الدين بن دبوقا من ابيات

اري العقد في ثغره محكما • يرينا الصحاح من الجوهر •
وتكمله الحسن ايضاحها • روينا عن وجهك الازهر •
ومنثور دمعي غدا احمرا • على آس عارضك الاخضر •
وبعت رشادي بغي الهوى • لاجلك يا طلعة المشتري •

وقلت في قصيدة

لعمرك لا ازيد بعين ولا عمرو • ولا ثغر الا دون تقبيله ثغر •

ولا بيض الا اسود خطي عندها • ولا اسود الا دون اعطافها السمر •

وقال بدر الدين بن المحدث

يصفر لوني حين انظر وجنه • منها تعلم حسنه الورد الجني •
يفني الزمان وليس يفني حبه • وقد انجبت ولا اراه ينجني •

كما قيل عن ابي ايوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على امير المومنين وانسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك تناظرا فقال البازي للديك ما اعرف اقل وفا منك لاصحابك قال وكيف قال تؤخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنوا منك احد الا طرت ههنا الى ههنا وصحت وعلوت الحيطان وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها • واما انا فاوخذ من الجبال وقد كبرت فيخاط عيناي واطعم الشي اليسير واسهر فامنع من النوم فاونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدي فاطير اليه •

واخذه فارجع به الى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجه
اما والله لو اديت باذنى فى سعود ما عدت اليهم ابدا وانا فى كل يوم
ارى السفافيد مملوة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك • وانتم
لو عرفتم من المنصور ما اعرفه لكنتم اسوء حالا منى عند طلبه لكم
قلت والذى هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل
يصفر منه حتى اذاقه الموت الاحمر • هذا بعد ان احذ امواله •
وتركه فى اسواء حاله وحكى انه كان يدهن حاجبه بدهن لبحر فيه
المنصور اذا راه فلا يتمكن منه حتى ضرب به المثل فقيل دهن ابا ايوب
وما افاده ذلك شيئا لانه فعل به ما فعل وقابله بما ليس له به قبل

فصل

فى التفضيل بين البيض والسود • والسمر ذوات النهود •
وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المطربون فى الغالب • ولكنا
فيما يعشقون مذاهب • فما قيل فى تفضيل السمر •

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن • لكننى اعشق السمر المهازيلا •
انى امرؤ اركب المهر المضمر فى • يوم الرهان ودعنى واركب الفيلا •

وقال ابرهيم بن الجهم

وعايب للسمر من جهله • مفضل للبيض فى محك •
قولوا له عنى اما تستحى • من جعل الكافور كالمسك •

وقال ابو جعفر الشطرنجى

اشبهك المسك واشبهته • قايمة فى لونه قاعد •
لا شك اذ لونكما واحد • انكما من طينة واحد •

وقال الشريف الرضى فى تشبيه السود

احبك يا لون السواد فاننى • رأيتكما فى القلب والعين توما •
وما كان سهم العين لولا سوادها • ليبلغ حبات القلوب اذا رما •
اذا كنت تهوى الظبى الما فلا تلم • جفونى على الظبى الذى كله لما •

وقال مسلمة

لام العواذل فى سوداء فاحمة • كانها فى سواد القلب تمثال •
وهام بالخال اقوام وما علموا • انى اهيم بشخص كله خال •

وقال ابن رشيق

دعابك الحسن فاستحيى • بالمسك فى صبغه وطيب •
سهى على البيض واستطيلى • تيه شباب على مشيب •

ولا برعك السواد لون • كمقلة الشادن الربيب •

وقال آخر

وان سواد العين في العين نورها • وما لبياض العين نور فيعلم •

وقد ذكرت بقية ما قيل في هذا النوع من المقاطيع الحسان في السكردان
عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله • واما ما قيل في تفضيل
البيض على السود • فاكثر من ان يذكر له شاهدا او يمتد اليه ساعد
الساعد • قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجوا
بالسواد • وربما مدحوا بالسواد • ولكن اصل ما يبنون عليه الدمه •

وقال كشاجم

يا شبيها في لونه فعله • لم تعد ما اوجبت القسمه •
خلقك من خلقك مستخرج • والظلم مشتق من الظلمه •

واما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم • عند صاحب كل منظوم ومنثور

قال الشاعر

وانت الذي حببت كل قصيرة • الي ولم تشعر بذاك القصاير •
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد • قصار النساء شر النساء البحاتر •

والبحاتر القصار • وقال بعض السلف جعل الله البهاء
والهرج مع الطوال • والدهاء والدمامة مع القصار • والخير
فيما بين ذلك • ومما اظرف قول الشريف الناسخ •

واحرباه من قصيرة هوى • في الارض منها الف لف قامه •
اذا دنا الى الحفاف طرفها • قال القفا يا كاتب السلامه •

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمن نصف الحسن وهو يستر كل عيب
في المرأة ويبدي محاسنها • ولهذا قيل جميله لان الجميلة السمينة
من الجميل وهو الشحم على ما تقدم • **فصل** في ذكر ما يعتري
المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه • وخفقان قلبه وطيران لبه
وقال صاحب روضة المحبين • وقد اختلف في سبب هذه الروعة
والفزع والاضطراب فقيل سببه ان المحبوب له سلطانا على قلب
محبه اعظم من سلطان الرعية فاذا راه فجاءه راعه ذلك كما يرتاع
من يرى من يعظمه فجاءة فان القلب يعظم المحبوب خاضع له والشخص
اذا رأى العظيم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له
ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب

والرعد ودمدمات وبالجملة فهذا امر وجداني وان لم يعرف
سببه • ومما احسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان عند رؤية المحبوب •

• قول الوراق الحظيري •

يقول لي حين وافى • قد نلت ما ترتجيه •
فما لقلبك قد جا • بخفقة يعتريه •
فقلت من ضحك عرش • والقلب يرقص فيه •

وقال البها زهير من ابيات

لا تنكروا خفقان قلبي • والحبيب لدي حاضر •
ما القلب الا داره • دقت له فيها البشاير •

• وقال ابن سنا الملك •

اما والله لولا خوف سخطك • لهان علي ما القى رهطك •
ملكت الخافقين فتهت عجبا • وليس هما سوا قلبي وقرطك •

وقال المعين الدين

لم انسه اذ قال اين تخليني • حذرا علي من الخيال الطارق •
فاجبت في قلبي فقال تعجبا • ارايت عمرك ساكنا في خافق •

وقال الطغرائي

مرض النسيم وصح والدا الذي • اشكوه لا يرجى له افراق
وهذا خفوق البرق والدا الذي • صمت عليه جوانحي خفاق •

اورد ابن الابار في تحفة القادم قول ابن تقي من ابياته

المشهور

حتى اذا مالت به سنة الكرا • زحزحته شيئا وكان معانقي •
ابعدته عن اضلع تشتاقه • كي لا ينام على وساد خافق •

ثم قال نسب بعض اهل العصر ابن تقي الى الجفا في قوله ابعدته عن اضلع تشتاقه لكان احسن ثم ذكر بعدها ما فضلوه على قول ابن تقي المذكور قول ابي الحكم •

• جعفر بن تمان •

ان كان لا بد من رقاد • فاضلعي هاك من وساد •
ونم على خفقها هدوا • كالطفل في هزة المهاد •

وقال ابن الاثير في المثل السائر في ابيات ابن تقي المذكورة • وهذا من الحسن والملاحة من مكان الاقصى • ولقد خفت على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع • وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل السماع •

الباب السادس

في ذكر الغيرة • وما فيها من الحيرة • اقول

هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه
والمحبوب فيها نوعان • والمضروبون بسوطها صنفان • فالأول محبة الله
ورسوله • ويتم به العاشق سوله • والثاني مذموم • وصاحبه ملوم
فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام التهمة • والنوع المذموم ان
يغار من غير ريبة • بل من مجرد سوء الظن • وهذه الغيرة تفسد المحبة •
ولا تثمر لها نتيجة • لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب • وربما حملته
على الوقوع فيما اتهمه به • ويترتب عليه مفاسد كثيرة مما يؤدي الى فساد الصفو •
والحكايات في هذا الباب مشهورة • وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الصحيح ان من الغيرة ما يحبه الله • ومنها ما يكره الله • فالغيرة التي يكرهها الله
الغيرة في غير ريبة • وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح
بها الرجل اهله • وغيرة تدخله النار • وقال صاحب روضة المحبين
فمحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله • فاذا خلا
قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلا وان زعم انه من المحبين

لذلك جل قلبه بالرد فكيف
يصح لعبد ان يدعي محبة
الله وهو لا يغار

تكذب من ادعى محبته محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته •
ويسعى في اذاه ومساخطته • ويستخف بامره وهو لا يغار لمحارمه • اذا
انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت • واقل الاحوال ان يغار له من نفسه
بترك ارتكاب معاصيه • والتفريط في حقه • واما الغيرة على المحبوب فانما
تحمد حيث تحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة
الانسان على زوجته وامته • والشيء الذي يختص به • وهذه الغيرة
تختص بالمخلوق • ولا يتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يحب
على جميع الخلق ان يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا
لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا راى من يذكر الله ويحبه او يغار منه
ويتماسكه اي امكنه • وقوله غيرة الحب تحملني على هذا • وانما ذلك
حسد وبغي وعدوان • ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق رسوله •
اخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا المحبة بمحبة الصور • وهذه الغيرة
انما يحسن في محبة من لا يحب المشاركة في محبته كغيرة الانسان على محبوبه
من الادميين كما تقدم ذكره • وقال القشيري قيل لبعضهم اتحب ان
تراه قال لا قيل ولم قال انزه ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ

شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه
وان يعذر لكن من شطحاته المذمومة واما ان تعد في مناقبه وفضايله
ان يقال له اتحب ان ترى حبيبك فيقول لا رؤيته اعلى نعم الجنة
وهو سبحانه وتعالى يحب من عبيده ان يسأله النظر اليه وقد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم كان من دعائه اللهم اني اسألك لذة النظر
الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القايل اريد ذلك الجمال
عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس فهو يشبه ما حكي عن بعضهم
انه قيل له الا تذكره قال اتره ان يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم
في شيء من هذا فلاموه فانشد

يقولون ذدنا وافض واجب حقنا • وقد اسقطت حالي حقوقهم عني
اذا هم راوا حالي ولم يانفوا لها • ولم يانفوا اني انفت لهم مني

وبعضهم ترك الحج غيرة على بيته او يزوره مثله ولقد رايت شخصا
على ترك الصلوة فقال اني لا ارى نفسي اهلا ان ادخل بيته فانظر الى
تلاعب الشيطان بهولاء واما الغيرة على المحبوب من الادميين فلكلنا
فيها ضروب وحسنات عاليهم ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب

من النسيم اذا هبا • وسماع انه في الدرب
اغار اذا انست في الدرب بانة • حذرا وخوفا ان يكون لحبه

وقال آخر

يغار من الطيف المسلم خبابها • ويغضب من مر النسيم هبوبها

قال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين
وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من ادبائها يلهجون
ببيت من الشعر لابن الخياط وهو • اغار اذا انست في الدرب انه
البيت المتقدم • فقلت لهم هذا ماخوذ من قول ابي الطيب

لو قلت للدنف المشوق فديته • مما به لاغرته بفدائه

والمتنبي اخذه من قول العباس بن الاحنف

لم الق ذا شجن يبوح بحبه • الا حسبتك ذاكا المحزونا
حذرا عليك لانني بك واثق • ان لا ينال سواي منك نصيبا

ومنهم من يلحق بالغيرة يوم ما بسه • ويغار على المحبوب من كلام نفسه

كما قال البحتري

لاني لاحسد ناظري عليكما • حتى اغض اذا نظرت اليكما

وأراك تخطر في محاسنك التي ... هي منيتي فأغار منك عليكا
ولو استطعت منعت لفظك غيرة ... كي لا أراه مقبلا شفتيكا
خلص الهوى لك فاصطفتك مودتي ... إني أغار عليك من ملكيكا

ومنهم يغار من عليه من إزاره ولبس إزاره كما قيل

أرى الإزار على ليلى فأحسده ... إن الإزار على ما ضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهي ما حكي عن الحسن بن زيد أمير المدينة أنه قال يوما لأبي السايب وكان قد حمله وكساه وكان يركب معه في موكبه ويسلم على النساء إذا مر بهن فنهاه الأمير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فأنشد الأمير وقال أرى الإزار على ليلى البيت فقال له أبو السايب بأبي أنت وأمي من قال هذا البيت فقال قيس فتخلف أبو السايب عن مسايرته ثم لحقه ولا قلنسوة عليه فقال له الأمير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذي ألقى على لسان قيس هذا البيت

ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبني قضيب في كثيب ... يشاركه فيه لين واندماج

أغار إذا دنت من فيه كأس ... على در يقبله زجاج
وأشفق أن دنا المصباح منه ... على بدر يقابله سراج

آخذه المتنبي فقال

أغار من الزجاجة حين تجري ... على شفة الأمير أبي حسين

وقد عيب على المتنبي في ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما يخاطب به المليحة

ومنهم من يترك نفسه منزلة الأجنبي فيغار على المحبوب من نفسه

كما قال أبو تمام

بنفسي من أغار عليه مني ... وأحسد مقلتي نظرا إليه
ولو أني قدرت طمست عنه ... عيون الناس من حذري عليه
حبيب بت من قلبي هواه ... وأمسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال ... بلا روح وقلبي في يديه

وقال أيضا

أغار عليك من قلبي ... وإن أعطيتني أملي

وقال آخر

وأشفق أن أرى خديك ... لصب مواقع القبل

وقال آخر

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس • لذ الحبيب به وطاب المجلس •
اني لمن نظري اغار وانني • بك عن سواي من الانام لا نفس •

ومنهم من يغار عليه من وصاله مخافة ان يكون مفتاحا لغيره •

• كما قال علي بن عبد الله الجعفري •

ربما سرني صدودك عني • وطلابيك وامتناعك عني •
حذرا ان يكون مفتاح غيري • فاذا ما خلوت كنت المتمني •

• وقال آخر •

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها • كما اثرت بالعين توثر بالقلب •
واني لا ارجوا ان يدوم بعهدها • ولكن سوء الظن من شدة الحب •

ومنهم من يمنع ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له

ولست بواصف يوما حبيبا • اعرضه لاهواء الرجال •
وما بالي اشوق قلب غيري • ودون وصاله ستر الحجال •

وكثير من الجهال من وصفا مراته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوفة له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رايت جماعة بهذه الصفة • ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة ان يموت

فيتمتع بمحبوبه غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي • وقد افردت حكايته رسالة مستقلة • وسميتها قرع سن ديك الجن في سنة ستين وسبعمائة • السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمائة وهو في سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولي يقبل وينهي ان ديك الجن المذكور من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشي ان يموت غيره يتمتع بهما بعده • فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما • وصنع من رماد الجارية برنية للخمر • ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك • وكان يضعهما في مجلس انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل البرنية المجبولة من رمادها وملأ منها قدحا وانشد ابياته فيها •

• ومنها قوله •

• يا طلعة طلع الحمام عليها • وجنى لها ثمر الردى بيديها •
• رويت من دمها الثرى ولطالما • روى الهوى شفتي من شفتيها •
• واحلت سيفي في مجال خناقها • ومدامعي تجري على خديها •
• فوحق نعليها وما وطي الثرى • شيء اعز علي من نعليها •

ما كان قبلها لأنّي لم أكن • ابكي اذا سقط الغبار عليها •
• لكن بخلت على سواي بحسنها • وأنفيت من نظر العيون اليها •
• وإذا اشتاق الى الغلام قبّل البرنية المجبولة من مادته وملأتها
قدحه وبكى وانشد بقوله فقال
• اشفقت ان يرد الزمان بغدره • اذا ابتلى بعد الوصال بهجره •
• قمرا انا استخرجته من دجيه • لبليتي واثرته من خدره •
• فقتلته وله علي كرامة • فلي الحشا وله الفؤاد بأسره •
• عهدي به ميتا كاحسن نائم • والطرف يسبح دمعتي في نحره •
• لو كان يدري الميت ماذا بعده • بالحي منه بكى له في قبره •
• غصص تكاد تفيض منها نفسه • ويكاد يخرج روحه من صدره •
اقول هذا الذي يقال له الجنون فنون • فانا لله وانا اليه
راجعون • من فعل هذا المجنون على انه ارق الناس شعراء واكثرهم
للمحبوب ذكرا • فمن شعره الفايق • ونظمه الرايق • قوله في الدعا

• على المحبوب •

• كيف ادعو على من خان او ظلما • وما كنى ظالم في كل ما حكما •

• لا واخذ الله من هوى بجفوته • عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما •
اقول صار الطالب مطلوب • هذا الفقه المقلوب •
ما كفاه انه فعل بالأحباب • ما لا تفعله الكلاب • حتى
• يقول لا واخذ الله من اهوى بجفوته • ويمزج رقة شعره بقسوته
فهو في الخفة والطيش • وقتل المحبوب لا في الايش • ولا على ايش •
ممن غلب عليه هواه كما تراه • ففعل بمحبوبه ما فعل • واقام ضربه
بالسيف مقام القتل • بيت
• اجابه لم تفعلون بقلبه • ما ليس تفعله به اعداؤه •
وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها في الباب الاول • من كتاب مرآة العقول •
ومما ينخرط في سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان
• في تفسيره عند قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا
يعني قلة الغيرة • ثم قال وان هنا مما يجري لبعض ملوك بلادنا
وهو انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس انس وجاريته تغني
من وراء الستارة فاستعاد بعض خلصائه بيتين من الجارية وكانت

قد غنت بهما فما لبث ان جاء برأس الجارية مقطوعًا في طشت • وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط في يد ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك قلت لو كانت معذورًا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم • ومثل هذا ايضًا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى الزرقا جارية نفيسة بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يومًا هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العابدي قبلني وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات • قلت وقد استراح والله من هذا الصداع كله عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

الابيات

تعلقته سكران من خمرة الصبا • به غفلت عن لوعتي وتجنبي •
وشاركني في حبه كل ماجد • تشاركني في مهجتي ونصيبي •

فلا تلزموني غيرة ما الفتها • فان حبيبي من احب حبيبي •

وقد بالغ الآخر • فقال في حب القيادة •

اقود بحمد الله لا عن كراهة • وغيري قواد على رغم انفه •

وما احسن قول ابو الخير الجزار •

قلت لما سكب الساقي • على الارض الشرابا •
غيرة مني عليه • ليتني كنت ترابا •

نور الدين الاسعردي واحسن ما شا •

تميل الريح بالاغصان لطفا • كما مالت بشاربها العقار •
وتجمع بينها من بعد بعد • واوراق الغصون لها ازار •
وتخفق غيرة عند التلاقي • فهل ابصرت قوادا يغار •

الباب السابع

في افشاء السر والكتمان • عند عدم الامكان •

اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء الذكر [السر] وضده • ولكل منهما وجه اذ للمحبين فيهما مذهبان • فمنهم من اباحه ورأى في افشائه راحته • ومنهم من رأى كتمانه من الديانة فحل

مراتب الكل في اعز مكانه • حيث قال

• باح مجنون عامر بهواه • وكتمت الهوى فمت بوجدي •

• فاذا كان في القيامة نودي • من قتيل الهوى تقدمت وحدي •

نعم من الناس من كتمه • فاداه كتمانه عدمه •
ومنهم من افشاه • فوقع فيما يخشاه • ولكل من المذهبين شاهد •
وبحر دمع زايد • لا ينجوا غريقه • ولا تسلك طريقه • فالعاشق منها
بين داس كلاهما على الاخطر • وسيفين لا بد من قتله باحدهما على
الصحيح الاشهر • كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب •

• وارحمتا للعاشقين تحملوا • ستر المحبة والهوى فضاح •

• بالسر ان باحوا تباح دماؤهم • وكذا دماء العاشقين تباح •

واذا هم كتموا تحدث عنهم • عند الوشاة المدمع السفاح •

والذي اراه في ذلك كله • وتميز وابله من طله • ان المحب اذا علم من محبوبه
الوفاه • وعدم الجفا • فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء
العلة الى الطبيب • فبح بالسراير في اهلها • واياك في غيرهم ان تبوحا •
وقد طرف ابو حفص الشطرنجي حيث قال

• قل لمن شيت انني بك مغرى • ثم دعه يروضه ابليس •

وقد قال بعض من مارس الحب • وحلب اشطره افشاء المحب سره الى المحبوب •
وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر • قلت بل السحر كله ومعظمه وجله •
عرف ذلك من جربه • وادبه الحب وهذبه • وعلى هذا حكاية احمد بن واصل •
قال لما كلفت عباسه بنت المهدي بجعفر بعد ان زوجه بها الرشيد •
وشرط عليه ان لا يقربها • واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها
على ما احبت وخاف على نفسه من الرشيد ان ظهر امرها كتبت اليه •

• عزمت على قلبي بان يكتم الهوى • فصاح ونادى انني غير غافل •

• فان لم تصلني بحب بالحب عنوة • وان عنفتني في هواك عواذلي •

• وان كان موت لا اموت بغصتي • واقرر قبل الموت انك قاتلي •

فنالت منه ما ارادت وهل يحصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى
ضرها • وقال ابن شاذان الكاتب • قالت لي غريب جارية المامون
كنت مع المامون وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى الاسفار
وتنزهها فدخل على قرين جاريته كان يحبها جدا وكان ايضا يهوى وصيفة
لها لم يكن يعلم ذلك غيري فلما راته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت وعلى

وعلى راسها عصابة مكتوب عليها بالذهب

عيني تبكي حذر البين • ما اشجن الفرقة للعين

لم ارد في الحب ولو عاينه • ارجع من فرقة الفين

فقال لي الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدي فكتب على الارض
بقضيب في يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره • والحب خير سبيله اظهاره

فاعص العواذل في هواك مجاهرا • فالذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكا ففطنت فيهم فقالت يا سيدي علمت ما انتما
فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد فعلت خذها اليك
يا عريب فاخذت بيدها فما ملك نفسه ان انصرف من خلفه مسرعا فخلى بها
وامر لي بالف دينار • ومنهم من يبوح باسمه • ويرى التصريح باسمه

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى • فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال ابراهيم بن عبد الله رايت على خد جارية مكتوبا بالغالية

الابيات

كل يوم اذوب من الم الشوق • وتبكي بالصدود جريح

لم اجد خلوة اليك فاشكوا • ما بقلبي لعله يستريح

ويح قلبي كانه لحد قبر • ضم اعضاء ميت فيه روح

وفي هذا البيت الثاني من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى
الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغي ان لا يعلم به خلق ولا صديق وجدا الى ذلك
طريقا

الابيات

يا موقد النار الهابا على كبدي • اليك اشكوا الذي لا الى احد

اليك اشكوا الذي بي من هواك فقد • طلبت غيري للشكوى فلم اجد

كما قيل

لعمرك ما استودعت سري وسرها • سوانا حذارا ان تضيع السرائر

ومن ظريف ما مر بي في هذا الباب ان بعض العشاق انشد يوما محبوبه

قال الاحفص

سري وسرك لم يشعر به احد • الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس القواد فانه لا بد ان تدري سرنا وتطلع على امرنا
ومن احسن ما سمعته في ذم مفشي السر قول الحسن بن بشر

لحا الله امرأ اودعا سرا • لتكتمه وقص الله فاه

فما لك بالذي استرعيت سرا • انم من الزجاج بما حواه •

قلت وما ابعد ان يكون المتصف بهذه الصفة من ذوي العقل •

ولا اترك الاسرار لكن اتمها • ولا اترك الاسرار تغلي على قلبي •

فان قليل العقل من بات ليله • تقلبه الاسرار جنبا على جنب •

واين هذا القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى • سقيما واجساد المحبين تسقم •

فقلت لها قلبي بحبك لم يبح • لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم •

حكي ان سكينة بنت الحسن بن علي رضي الله عنهم مرت في جواريها بعروة بن اذينه وهو يمشي فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا ابا عامر تزعم انك لم تعشق قط وانت تقول

الابيات

قالت وابثثتها سري فبحت به • وقد كنت تحت السر فاستتر •

الست تبصر من حولي فقلت لها • غطى هواك وما القى على بصري •

كل من ترى حولي من جواري احرار ان كان هذا الكلام خرج من قلب سليم قط حكي عن احمد بن ابي عثمان الكاتب انه كان صديقا

لابي الفضل عبد الغفار الانصاري فعشق احمد جارية لام جعفر اسمها نعما وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصاري فاعتل احمد علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد فقال

ارسلت ام جعفر لي طبيبا • لشكاتي فطال علم الطبيب •

ودوائي واصل دائي لديها • في يدي شادن عزيز ربيب •

خبروها بان نعما دوائي • ان تداوي مريضها عن قريب •

فسمعت الابيات وسالت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار • وقال جعلتك موضعا لسري فافسدت علي امري • والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة •

ولهذا قال ابو العلاء المعري

فظن بسائر الاخوان خيرا ولا تامن على سر فؤادي •

وقال صاحب محي الدين الجزري من رسالة • فوا عجبا كيف لا يفطن ما لا اسميه وتشوق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا ادري فيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون • وترامت لها دي الادم

ام جعفر

ظنون • ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان افضيت فيه اخشى
ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس • وما احسن ما سمعته في كتمان السر قول النابغة
وكان الامام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو • ابيات

• لا تفش سرك الا اليك • فان لكل نصيح نصيحا •
• فاني رايت وشاة الرجال • لا يتركون اديما صحيحا •

وكتب بها عبد الملك بن مروان الى الحجاج • وكان قد استكتمه امرا
في كتاب كتبه اليه فظهر • وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا
سرا فافشاه فلمته لاني كنت اضيق صدرا به حين استودعته احد من الناس •

فقال

• اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه • فصدر الذي يستودع السر اضيق •

• وقال ابو خمر •

• اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها • فسرك عند الناس افشى واضيع •

• وقال ابو حفص الشطرنجي •

فلا تجر لسرك بل امته • وصير في حشاك له حجابا •
فما استودعت مثل النفس سرا • ولا اغلقت مثل الصدر بابا •

حكى الماوردي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر

فقال

• ومستودعي سرا تضمنت سره • فاودعته في مستقر الحشا قبرا •
• فقال ابنه عبد الله وهو صبي • واحسن ما شاء •
• وما السر من قلبي كثاو بحفرة • لاني ارى المدفون ينتظر الحشرا •
• ولكنني اخفيه حتى كأنه • من الدهر يوما ما احطت به خبرا •

وقال الآخر

• يا ذا الذي اودعني سره • لا ترج ان تسمعه مني •
• لم اجره بعدك في خاطري • كانه ما مر في اذني •

قال بشار

• لاخرجن من الدنيا وحبكم • بين الجوانح لم يعلم به احد •

• قال طلحة بن ابي بكر •

• لا تظهرن محبة لحبيب • فترى لعينيك منه كل عجيب •
اظهرت يوما للحبيب مودتي • فاخذت من هجرانه بنصيب •

قيل اسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال له احفظته قال بل نسيته

وقال ابن المعتز كلما كثرت احرار السر ازداد ضياعا • ومن كلام الحكماء
احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك • ومنها مقتل الرجل بين فكيه
ومن كلام القاضي الفاضل • وامت الاسرار في قلبك • والحدسوناها
في جنبك • فقبيح بك ان يرى لك سر الا عند ربك • ووصف
اعرابي قوما • فقال سيوفهم آفات الاعمار • وصدورهم قبور
الاسرار • وما احسن قول ابن مماتي من ابيات

وضاق علي السجن حتى كأنني • حللت به للضيق في صدر مخنوق •
فيا ليتني كالدمع في جفن عاشق • فاخرج او كالسر في صدر احمق •

وقال العباس بن الاحنف

باح دمعي فليس يكتم سرا • ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طي • فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن في مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه

اقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب بنفسه • ولحاق يومه بامسه • وهو من اطمع الابواب وحشوم • واكثرها دشوم • واحسنها اختراعا • واكثرها خداعا • وابلغها خطابه • واكثرها اصابه • وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده • ويحسن عند اهل الانشاء انشاده • ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال • ويحاري دقة الفاظه الجريال • فمن ذلك وهو احسن ما سمعته في مغالطة الحبيب •

قم بنا يا نور عيني نجعل الشك يقينا • فالى كم يا حبيبي يا بن القايل فينا •

ومثله قول الآخر

لا انس قولها بمنى • ويحك ان الوشاة قد علموا •
وثم واش فقلت لها • هل لك يا هند في الذي زعموا •
قالت لماذا ترى فقلت لها • كي لا تضيع الظنون والتهم •

قال العباس بن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هوى • ولم يك موصولا بحبلكم حبلي •
واني لاستحيي لكم من محدث • يحدثكم بالملالة والمطل •

وقال الآخر

تسبب لي ذنبا ولم اك مذنبا • وحملتني في الحب ما لا اطيقه •
وما طلبي للوصل حرصا على البقا • ولكنه اجر اليك اسوقه •

وقلت ما يرضي بروح سوا بسوا حتى يسوق اليه الاجرا يصنا

ومما قلت انا في هذا المعنى

لو ما طلبت الوصل من اجلي فديتك يا • من زاد خطي سوادا منه شامات •

لكن خشيت تبلى بعشق رشا • يقتص لي منك والدنيا مكافات • بان م

وقال الآخر

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا • وفرق الناس فينا قولهم فرقا •

فكاذب قد رمى بالظن غيركم • وصادق ليس يدري انه صدقا •

• وقال الآخر

يا سيدي عندك لي مظلمه • فاستفت فيها ابن ابي خيثمه •

فانه يرويه عن جده • وجده يرويه عن عكرمه •

عن ابن العباس عن مصطفى • نبينا المبعوث بالمرحمه •

ان انقطاع الخل عن خله • بعد ثلاث ربنا حرمه •

وانت مذ شهر لنا هاجرا • اما تخاف الله فينا فمه •

وقال الآخر

وماذا على الواشين ان يتحدثوا • سوى ان يقولوا انني لك عاشق •

نعم صدق الواشون انت حبيبه • الي وان لم تصف منك الخلائق •

قلت هكذا رايت غالبا ما وقفت عليه من نسخ الحماسه وسمعته من افواه اهل الادب اعني ان قافية البيت الاول عاشق والصحيح انه وامق اي يحب لغير ريبة وقال ابن رواحه الحموي

ان كان يحلو عليك قتلي • فزد من الهجر في عذابي •

عسى يطول الوقوف بيني • وبينك الله في الحساب •

حكي ان بعضهم انشد شابا كان يحبه

ماذا اقول اذا اجتمعنا في غد • واقول للرحمن هذا قاتلي •

فقال له الشاب اقول هذا اراد ان ينيكني فما مكنته وقال

ابن سنا الملك الرسالة وانا والله في امرك مغلوب والسبب انا المحب وانت المحبوب • ولا انجالد عليك فاعزك ولا اخون حبك ولا انقطع عنك فاغشك • واعمر قلبك واعمل ما شئت فانا الصابر واقبل كيف شئت فانا الشاكر • وقل فلي سمع يعشق قولك والتفت ترى ما لي تفرح حولك • فافعل فانت المحذور • واستطل فما انا المضرور بل المسرور • وارجع الى الود الذي بيننا فكل ذنب

كل مغفور • وقال ايضا واستعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك •
ويملح عتبك ويصرف قلبك • ويجعلك ثانى عطفك • ويغير بعزك •
على الفلك • لست على هجرك جلد القوى • ولا على عتبك ساكى السلاح

وقال ابن السوادى الشاعر

اشكوا اليك من صدودك اشتكى • واظن من شغفى بانك منصف •
واصدتك مخافة من ان يرى • منك الصدود فيشتفى من يشفى

حكى القاضى ابو عمر محمد بن يوسف الازدى قال كنت سايرا ابا بكر محمد بن
داود الاصفهانى ببغداد واذا بجارية تغنى من شعره •

اشكوا اليك فؤادا انت متلفه • شكوى عليل الى الف يعلله •
سقمى ازيد على الايام كثرته • وانت فى عظم ما القى تقلله •
الله حرم قتلى فى الهوى سفها • وانت يا قاتلى ظلما تحلله •

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له
هيهات سارت به الركبان • وقال ابو عبد الله بقسطونه •

تبلى عليك ارق من خديكا • ونوالى وهى من فتور جفنيكا •
لم لا ترق لمن يعذب نفسه • ظلما ويعطفه هواه عليكا •

وقال ابو العلاء المعرى •

لعمرى زكوة من جمال فان تكن • زكوة جمال فاذكرى ابن سبيل •

وقال ابن سنا الملك

وغانيه لم تعد عشرين حجة • اقول لها قولا لديه صواب •
عليك زكوة فاجعليها ومالنا • فعمرك فى العشرين وهى نصاب •

وقال ناصر الدين بن النقيب

لقد وجبت عليك زكوة حسن • وفيه كمثل المال فى المال حق •
فلا تعدل به عنى فانى • لمصرفه الفقير المستحق •

وقال القاضى شمس الدين احمد بن خلكان من قصيدة •

لو لم اكن فى رتبة اراعى لها • العهد القديم صيانة للمنصب •
لهتكت سرى فى الهوى وله • لى خلع العذار ولج فيك مآربى •
لكن خشيت بان تكون عواذلى • قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى •

وقال الاخر

حججى عليك اذا خلوت كثيرة • واذا حضرت فاننى مخصوم •
لا استطيع اقول انت ظلمتنى • الله يعلم اننى مظلوم •

وقال الكرم

الناس قد أثموا فينا بظنهم • وصدقوا بالذي أدري وتدرينا •
ماذا يضرك في تصديق ظنهم • فإن تحقق ما فينا يظنونا •
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة • بالعفو أجمل من إثم الورى فينا •

وقال المتنبي

زودينا من حسن وجهك ما دام • فحسن الوجوه حال تحول •
وصلينا نصلك في هذه الدنيا • فإن المقام فيها قليل •

قلت هذا البيت الأخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب باستعطافه • فأما الأول ففيه تنفير • والتنفير تنفير • فليته استراح منه وراح • وترك التهكم بالملاح •

الباب التاسع

في الترسل والرسائل والتلطف في الوسائل

أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الأحباب • وشكوى الجوى في الجواب • وهو باب مطروق نافق السوق • طالما عرض فيه المحب على الرسول • سلعة النحول • لا سيما من عيل صبره • واشتهر أمره • فأصبح وهو

وهو في البيت طريح • واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح • كما قيل

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له • والله يعلم أني منك غيران •
بلغ سلامي إلى من لا أكلمه • إني على كل الغضبان غضبان •
لا رسولي لا تذكر له غضبي • فذاك مني تمويه وبهتان •
ففي كل يوم لنا رسل مؤكدة • وكل يوم لنا في العتب ألوان •
استخدم الريح في حمل الكلام لكم • كأنما أنا في عصري سليمان •

فهو من الهوى على خطر • ومن إقامة الهجر على سفر لا يقر له قرار • ولا يصطلي لوجنة محبوبه بنار • لا جرم أنه يتعلل بالنسيم العليل • ويقول لاستنشاق اليسير منه قليل • لا يقال له قليل • ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب • قول الوأواء الدمشقي •

بالله ربكما عوجا على سكني • وعاتباه لعل العتب يعطفه •
وحدثاه وقولا في حديثكما • ما بال عبدك بالهجران تتلفه •
فإن تبسم قولا في ملاطفة • ما ضر لو بوصال منك تسعفه •
وإن بدا لكما في وجهه غضب • فغالطاه وقولا ليس نعرفه •

أخذه من قول عمر بن أبي ربيعة من أبيات يصف بها قواده

فأتيتها طبيبة عالمة • تمزج الجد مرارًا باللعب •
تخلط لقول اذا الاتها • وتراخى عند سورات الغضب •

قيل ان ابن عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين
الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه ومثل قول الواو ا

قول الآخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي • سليمى وعرض لي كانك مازح •
وان اعرضت عني فقوم مغالطا • بقبري وقل يا حسنها كانت النوح •

قول الآخر دوست

يا لطفا اذا لقيت هواه • عاتبه وقل له الذي القاه •
ان غضبه الوصال عالطه • اورق تقفل عبدك لا تنساه •

وقال ابو نواس

هبت لنا ريح شامية • متت الى القلب باسباب •
ادت رسالات الهوى بيننا • عرفتها من بين اصحاب •

كان لصاحب بن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ارتاح لهما
وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا في باب سلوك السنن في وصف السكن

وذكرت فيه اشياء تليق بهذا الباب منها • قول ابن امين الدين

قال

انا اهوى غصن النقا وهولاه • وفوادي يحبه في التيه •
يا نسيم الصبا ترفق عليه • وتلطف به ولا توذيه •
وتحمل رسالة ليس ابالي • في تحملها اذ تضيه •
واذا لم يكن رسولي نسيما • نحو غصن النقا فمن ياتيه •

ابن خياط الدمشقي

يا نسيم الصبا الولوع بوجدي • حبذا انت لو مررت بهند •
ولو انني شذاك فبالله • متى عهده باطلال نجد •

وقال مهيار

حملوا نسيم الصبا نشركم • قبل ان تحمل شيحا وخزامى •
وابعثوا لي في الدجا طيفكم • انا اذ نمتم لجفوني ان تنامى •

حكي ان النور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب
مر مع جماعة من الادباء المصريين • وفيهم ابو الحسن الجزار فمروا في
طريقهم بمليح نايم تحت شجرة • وقد هبت الريح فكشفت ثيابه عنه

فقال ابو الحسين الجزار تقفوا النظم كل منا في هذا شيئا فما لبث ان قال

نور الدين المذكور

الريح اقود ما تكون لانها • تبكي خفايا الردف والاعكان •

وتميل بالاغصان عند هبوبها • حتى تقبل اوجه الغدران •

فلذلك العشاق يتخذونها • رسلا الى الاحباب والاوطان •

فقال ابو الحسين الجزار ما بقي احد منا يأتي بمثل هذا فسيروا ابياتنا

• وقلت على الصفادي •

اذا هبت النسيم بطيب نشر • طربت وقلت اهلا يا رسول •

سوى اني اغار لان فيه • شذاك وانه مثلي عليل •

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه النسيم

• وله فيه عدة مقاطيع منها قوله •

ان كانت العشاق من اشواقهم • جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا •

فانا الذي اتلو لهم يا ليتني • كنت اتخذت مع الرسول سبيلا •

فقلت انا كاني حاضر اخاطبه مضمنا •

ان كنت في حب النسيم متيما • وزعمت ان هواه ليس بنافع •

فانا اقول لمن تحرش بالهوى • عرضت نفسك للبلا فاستهدف •

قال القاضي محيي الدين ايضا في محبوبه النسيم •

يا من غدا لي من علو صفه هجر الريح العقيم • ارني يطيب لي الهوى وتعال الى رق النسيم •

قلت انا كاني حاضر اخاطبه •

بالله ان رق النسيم واخمدت • نارا تاججها يد التبريح •

فقل فوادك حيث شئت من الهوى • ودع العذول وقوله في الريح •

قال القاضي محيي الدين ايضا •

شكر النسيم ايضكم كم بلغت عني تحية • كم قد اطالت بل اطابت في رسايلها الزكية •

لا غرو ان حفظت احاديث الهوى فهي الذكية • اخبرنا صلاح الدين

خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر • فقال

يا طيب نشر هب لي من ارضكم • فاثار كامن لوعتي وتهتكي •

اهدى تحيتكم واشبه لطفكم • وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي •

فقلت انا لما وقفت على قوله هنا وقول قاضي محيي الدين المتقدم عليه •

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته • تاتي كل قبيحة وقبيح •

نسب المعاني في النسيم لنفسه • جهلا فراح كلامه في الريح •

وقد ذكرت في النسيم اشياء مليحة في كتاب المذكور اقتصرت منها على قلد
خوف الاطالة • ويجب ان يكون الرسول من اهل الصيانة • وممن يرجع الى ديانة
لئلا يطمع فيصير طفيليا • بعد ان كان رسولا • كما اتفق لرسول ابن سنا
الملك الذي قال فيه •

ابيات

راح رسولي وجاء اني عاشق • وعاقه عن رسالتي عايق •
وعاد لا بالجواب بل بجوى • اخرسه ذا الهوى به ناطق •

وقال الآخر •

راح الرسول اليه وهو معتمد • رجع الرسول اليه وهو متيم •

وقال ابن الاثير •

وليس على الحسن امانة • وفي مثله تعذر الخيانة •

وقال المتنبي •

ما لنا كلنا جو يا رسول • انا اهوى وقلبك المتبول •
كلما آب من بعثت اليها • غار مني وخان فيما يقول •
افسدت بيننا الامانات عيناها • وخانت قلوبهن العقول •
اي عيناها بسحرها افسدت امانة الرسول في الرسالة •

دخلت العقول قلوبها اي فارقت العقول القلوب بسبب تشبيهها • وقال

الارجاني

قسما لقد رجع النسيم عليلا • لما سرى مني اليك رسولا •
ودرى بحبك انه قد خانني • فغدا يجر من الحيا ذيولا •
ومن احسن ما سمعته من الرسايل • والتلطف في الوسايل ما
حكي عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان في ايام
ابيه احب قينة وشغف بها • فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه
فحزن • فلم يستجر ان يجتمع بها بعد ذلك فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر
فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاء القاضي الفاضل
فعرفه الصورة •

بيت

اهدت لك العنبر في وسطه • زر من التبر دقيق الختام •
فالزر في العنبر تفسيره • زرها كذا مستترا في الظلام •

وقال علاء الدين من رسالة النيرين من المحب الكيب الى حبيب الحبيب
افتتحها بقوله يقبل الارض وينهي بين يدي الملك الرحيم سلطان
الملاح وليث الكفاح منها ذهب القبل وعادا • وغرامي بما ذاك لما

لئن غدا ينقص بعض الوجد زادا كل قلب غير قلبي نال في الحب المرادا وانا
المسكين وحدي • نلت في صحن القطايف وعمل الخل ناطف • وصلبت ابليس بقرنه
وتركته يتحصص ويصفق ويغني تللاله تللاله • ناعونيات الغزاله • رحم الله
من قتلني • لا يا سيدي لا • رحم الله من قتلني • واي فخر في قتل
مثلي • وهل انا الا شويعر محارف سخره • قد جعل الله وسايله
وسايله • وقصايده مصايده • يستجلب ضرع الضراعة • ويميط
قناع القناعة • ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض • وان عطش شرب
من بحر القريض • في زمان لا فرق عند اهله بين القادح والمادح •
والصلاح والنايح • ومنها قد ذقت منه ما ليس تقلعه ابو الحسن
القلاع من ضرسي • بلا اي شي احسن من خشفين مترفين يتراضعان ثدي
الصحبة • ويتراشفان كاس المحبة • ويقتطفان ثمر الوصال • ويتسالمان
انواع الدلال • ويتواصفان لواعج الغرام • ويتباسطان بمباسطة الكلام •
ولا يحضرهما غير راح ومراح • ولا يثلثهما غير كاس راح • اتيان كالفرقد
من طول اعتناقهما • باتا بليل حميد غير مذموم • يسفران عن نيرين •
ويبتسمان عن دريين • ويتسارقان النظر بلحاظ حوردين • كانهما اقتسما

فنون الحسن والاحسان • بكفتي الميزان • ان تناقلا بعتاب او تراسلا
بكتاب • فدر منثور • وسحر غير محظور • وان تسابقا في ميدان الهوى •
او تراشقا بسهام الجوى • فالوتر موتور • والساحر مسحور • وهي
رسالة ظريفة كلها من هذا اقتصرت منها على هذا القدر خوف
الاطالة • وقد ذكرتها بكمالها في الجزء الثاني من حاطب ليلي •

الباب العاشر في الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل وعلى خلاف معناه

اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الحبيب الزاير • وما قيل في سيره
من المثل السائر اذ للشعراء في اقتناصه تحيل • وحين تحصل طالما
اكثروا من ذكره • واستخرجوه من وكره • فقربوا اليه بعد المسافة •
ولما يعانوا الحاق زجره بالعيافة • ومن المشهور من فيه بالاجادة
ابو عبادة وغيره كابن المعتز • والمتحيل على اصطياد خيال الحبيب

حيث قال واحسن في المقال

• نصبت جفوني للخيال حبايلا • في الكرى منه تستبيح •
• وكيف اذا غمضتهن اصيده • ومن عادة الاشراك للصيد تفتح •

وما احسن قول جمال الدين بن نباتة في التوريه حيث قال

ومولع بفخاخ يمدها وشراك • قالت لي العين ماذا تصيد قلت كراكي •

وقال ايضا

واقسم لو جاد الخيال بزورة • لصادف بابا الجفن بالفتح مقفلا •

وقال ابو محمد عبد الله السروجي واحسن ما شاء •

انعم بوصلك لي فهذا وقته • يكفي من الهجران ما قد ذقته •

انفقت عمري في هواك وليتني • اعطى وصولا بالذي انفقته •

يا من شغلت بحبه عن غيره • وسلبت كل الناس حين عشقته •

انت الذي جمع المحاسن كله • لكن عليه تصبري فرقته •

قالوا الوشاة فذا ادعى بك نسبة • فسررت لما قلت قد صدقته •

بالله ان سألوك عني قل لهم • عبدي وملك يدي وما اعتقته •

او قيل مشتاقا اليك فقل لهم • ادرى بذا وانا الذي شوقته •

يا حسن طيفا من خيالك زارني • من فرحتي بلقاه ما حققته •

فمضى وفي قلبي عليه حسرة • لو كان يمكنني الرقاد لحقته •

وقال ابو تمام

زار الخيال لها بل لا ازاره له • فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم •

ظبي بقبضته لما انتبهت له • في آخر الليل اشراكا من الحلم •

وقال ايضا

يا لها لذة تنزهت الارواح • فيها سرا من الاجسام •

مجلس لم يكن لنا فيه عتب • غير انا في دعوة الاحلام •

وقال البحتري وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحتري •

ومن ذلك

اذا ما الكرى اهدى الي خيالها • شفى قربه التبريح او نقع الصدا •

اذا انتزعته من يدي انتباهة • حسبت حبيبا راح مني او غدا •

فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا • نعذب ايقاظا وننعم هجدا •

وقوله •

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها • وزورتها بعد الهدو وما تدري •

اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة • اتتنا تباشير الصباح الى الفجر •

وقوله •

بعثت طيفها الى ذدولي • سير شهرين للمهاري العتاق •
زار وهنا من الشام فحيا • مستهاما صبا بارض العراق •
فقضى ما قضى وعاد اليها • والدجى في برود الاخلاق •

وقوله

وليلة هومنا على العيس ارسلت • بطيف خيال يشبه الحق باطله •
فلولا بياض الصبح طال تشبثي • بعطفي غزال بت وهنا اغازله •
فكم من يد لليل عندي حميدة • وللصبح من خطب تدوم غوائله •

وقال عبد الصمد بن عدل

واصل النوم بيننا بعد هجر • فاجتمعنا ونحن مفترقان •
غير ان الادواح خافت رقيبا • فطوت سرها عن الابدان •

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحمدوني وهي كثيرة من مثله دخل
ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص •
فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى
فيهما فقال الوزير وما هما • فانشد ابيات ٥
زار الخيال خيالا مثل مرسله • فما شفاني منه الضم والقبل •

ما زادني قط الا كي يوافقني • على الرقاد فينفيه ويرتحل •
فقال الوزير حيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان عاد سمع
لهما ثالثا فاعادهما • فقال الحيص بيص بيت
وما درى ان نومي حيلة نصبت • لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل •

• وقال آخر •

الا رب طيف منك بات معانقي • الى ان دعا داعي الصلاة فحيعلا •
واول من وصف الطيف عمرو بن قميئة فيما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال
فقال • بانك ما مه الا سالا • والا خيالا يوافي خيالا •
خيال يخيل لنا نيلها • ولو قدرت لم يخيل نوالا •
واول من طرد الطيف طرفة بن العبد • حيث قال
فقل لخيال الحنظلية ينقلب • اليها فاني واصل حبل من وصل •

• وتبعه جرير فقال •

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا • وقت الزيارة فارجعي بسلام
واعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاه فقال
طاف الخيال باصحابي فقلت لهم • اتلك ليلى اتت ليلا ام الغول •

وقد ردّ على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي واحسن ما شاء

حيث قال

يا ليت شعري هل احب • جريرا اذا ابدا اعتذاره •
ان كان يصدق حبه • فالقلب منه كالحجاره •
لا بل اشد قساوة • وانظر له ابدا عواره •
اذ قال قولا لم يقله • عاشق او ذو خساره •
لم ترقد صائد الفؤاد • وليس ذا وقت الزياره •

وقال في الرد عليه ايضا

هذا مقالك يا جرير • لدي اشنع ما يقال •
هل ثم وقت يصلح • للزيارة والوصال •
ام نيل قبلك راجعي • وكذاك ذنب لا يقال •
ام كان حبك كاذبا • فسناميه ينفي الخيال •
ام كان قلبك من حديد • ليس يؤذيه النبال •

وقلت انا

ما خجلنا لك يا جرير • في المحافل والمشاهد •

لم ترقد صائد الفؤاد • فكنت صبا غير صائد •
فرددت طيف خيالها • هذا خيال منك فاسد •
الطيف اعشق منك • اذ وافى اليك وانت راقد •
لا عاد شكلك ما نفى • في الناس للعشاق عائد •

وقلت ايضا من القصيده

يطالبني قلبي به فكأنني غريم • وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليل الكرى ونهاره • خيال ملم او حبيب مسلم

وقال محمد بن العفيف التلمساني

يا حبذا الطيف لابن آدم • يا حسن العالم للعالم •
لطيف تجلى نوره ساطعا • حتى رأته مقلة النائم •
يا غائبا يحكم في مهجتي • على طالت غيبة الحاكم •
عار على حسنك ان تشتكي • حظي منه انه ظالمي •

وقد احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت • سيان ما اشبه الوجدان بالعدم •
الطيف احسن وصلا ان لذته • تخلو من الاثم والتنغيص والندم •

ومثله في الحسن اعتذار كشاجم على لسان الحبيب عن تأخر الخيال
لقد نحلت حتى بطيف مسلم • على وقالت رحمة لتجنبي •
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا • وسادك ان يلقاه طيف رقيبي •
وما احسن اعتذار المعري وهو ما ضمنه ابن عنين وكتب به الى اخيه •

وما احسن بدمشق

ينأى عنك بالقطيعة عالما • ان الصحيفة اعوزت من حامل •
وعذرت طيفك في الجفاء لانه • يسري فيصبح دوننا بمراحل •

وقال آخر

وزارني طيف من اهوى على حذر • من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا •
فكدت اوقظ من حولي به فرحا • وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا •

وقال ابن المعتز

ثم انتبهت وآمالي تخيلني • نيل المنى غبطتي اسفا •
ابصرته في المنام معتذرا • الى مما جناه يقظانا •
ولان حتى اذا هممت به • انتبهت عند الصباح لا كانا •
قيل من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه تم طيبا •

طيبا او واصل حبيبا • او نال غنا • او وجد كنزا • فاذا انتبه لم ير من ذلك
شيئا • وربما انه قد احدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه •

كما قيل

ارى في منامي كل شيء يسوءني • ورؤياي بعد النوم ادهى واقبح •
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم • وان كان شرا جاءني قبل اصبح •

وقال المعري

الى الله اشكو انني كل ليلة • اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام •
فان كان شرا فهو لا شك واقع • وان كان خيرا فهو اضغاث احلام •
وما احسن قول ابن التلميذ •
عاينت اذ لم يزر خيالك • والنوم بشوقي اليك مسلوب •
فزارني منعما وعاتبني • كما يقال المنام مقلوب •

وقال الاحنف

واحلم في المنام بكل خير • فاصبح لا اراه ولا يراني •
ولو ابصرت شرا في منامي • لقيت الشر من قبل الاذان •
وما اظرف قول ابن المعتز •

الم الخيال بي حسدا • وابدلني الوصل من صده •
وكم نومة لي قوادة • اتت بالحبيب على بعده •

ومثل قول الآخر

تركت هجا ابليس حسنته • وذاك لامر عز عندي سلوكه •
لقرب محل هواه حينا فان لي • حكاه خيالا في الكرى فانيكه •

قال بعض مشايخ العصر

لو ان طيفك في الانام جليسي • ما بت اشكو الوعي تجليسي •
قمر ادار على خمرة ريقه • ولحاظه وحديثه المانوس •
ما عمدتي في قربه وحضوره • ووفائه الا على بلبيسي •

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا اعتد له بمنه وان ركب المجاهل • وقطع المراحل • وتخطى الى اغصان القنا • وخاض جداول الظبى • ووطي شوك الضال • وعبر رمال الحبال • وحل واعين الشهب حولي رواني • ودنا واطراف القنا دوان • وكيف اعتد له بمنه والفكر يدنيه وانا يقظان • ويمثل ما لم يكن من قربه كما تمثلنا العيون بمنه ما كان حكي عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل

امراة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع راسه ونام فقالت له لاي شيء فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي اراك خيالا لكن في النوم وحكي عن بعض البخلاء انه قال لجارية يتعشقها ابعثي لي طيف خيالك في النوم فقالت ابعث الي دينارا وانا اتيك بنفسي في اليقظة ذكرت هنا ما حكي عن بعض البخلاء ايضا انه قال وضعت خدي على الارض كي ترضي فقالت له اعطني دينارا حتى اخليك • تضع خدك على خدي

قالت لطيف خيال زارني ومضى • بالله صفه لا تنقص ولا تزد •
فقال ابصرته لو مات من ظما • وقلت قف عن ورود الماء لم يرد •
قالت صدقت الوفا في الحب عادته • يا برد ذا الذي قالت على كبدي •

وقال الآخر

فهلا منعتم اذ منعتم حديثها • خيالا يوافينا على البعد هاديا •
سقى الله اطلالا باقية الحمى • وان كن قد ابدين للناس خاليا •
منازل لو مرت بهن جنازتي • لقال الصدا يا صاحبي انزلا بيا •

وقال ابن توبة الحمير

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها • فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا •

فهلا منعتم اذ منعتم حديثها • خيالا يوافينا على البعد هاديها

الباب الحادي عشر

في قصر الليل وطوله وخصائص شفقه وفصوله وما معه ذلك

اقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاده بجفنه القصير فايسى وماله من اسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الحرق • وكثرة الارق بالليل

طل او لا تطل • لابد لي من سهرك • لو بات عندي قمري • ما بت ادري قصرك

ولم تزل العشاق تشكوا من الليل وطوله • ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله وعذرهم في ذلك ظاهر • وكيف لا وقد قال فيه الشاعر •

بات الظلام بليل احييته حين عسعس • لو كان لليل صبح يعيش كان تنفس •

وقال شرف الدين احمد بن منقذ

لما رايت النجم ساه طرفه • والقطب قد القى عليه سباتا •
وبنات نعش في الحداد سوافرا • ايقنت ان صباحهم قد ماتا •

وقال ايضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه • قطعته سهرا فطال وعسعسا •
سالته عن صبحه فاجابني • لو كان في قيد الحياة تنفسا •

قلت وقبل الشروع في ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه ابو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي • قال وقفت على والدي وهو جالس في حلقة نقرا فيها عليه الطلبة وفيها شاب • فقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال قل • وانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها • وهجره النار يصليني به النارا •
فالشمس في القوس امست وهي نازلة • ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا •

قال فلما سمعها قال له يا ولدي هذا شيء من معرفة علم النجوم وتسيرها لا من صفة اهل الادب • فانصرف الشاب من غير حصول فايدة • فاستحيى والدي لكونه سئل عن شيء ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم • ويعرف تسير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته • ثم جلس قال • ومعنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس • كان الليل في غاية الطول لانه في آخر فصل الربيع • فكانه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول • وان زارني فالليل عندي في غاية القصر وقد انصف القايل •

لا اظلم الليل ولا ادعي • ان نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان لم تزر • طال وان زارت فليلي قصير

ووصف الآخر حيث قال

وما ليلنا الا سواء وانما • تفاوته انا سهرنا ونمتموا
ومن احسن ما قيل في قصر الليل • قول ابي اسحق الصتويلي
وليلة من ليالي الزهر • قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شفق وفجر • حتى تولت وهي بكر الدهر
يا ليلة كاد من تقاصرها • يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال الرضي

سألت الليل اذ ولى هزيما • وقد بات الحبيب على اقتراحي
فقال كواكبي غارت وسارت • مخامرة على الى الصباح
ومن احسن ما قيل في طول الليل • قول ابن الاحنف

وقال

ايها الراقدون حولي اعينوني • على الليل واتركوا الاعتذارا
حدثوني عن النهار حديثا • او صفوه فقد نسيت النهارا

وقال الآخر

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل • والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم • ليلي الضرير فصبحي غير منتظر

وقال ابن البهايه

لقد ساهرتني عيون الدجى • وقد نمن عني عيون الملاح
اذا ما شكى الليل هجر الصباح • شكوت الى الليل هجر الصباح

وقال ابن الوراق

لي سكن شطت به غربة • جادت لها عيناي بالمزن
ما احسن الفجر ولا راقني • بياضه مذ بان بالظعن
كانما الصبح لنا بعده • عين قد ابيضت من الحزن
وما احسن قول القاضي رحمه الله تعالى
بتنا على حال يسر الهوى • وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل فقلنا له • ان غبت عنا هجم الصبح

وقال ابن ياقوت

كان الثريا راحة تشبر الدجى • لتعلم طال الليل ام قد تعرضا

فليل تراه بين شرق ومغرب • يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا •

آخر شيخ صدر الدين بن الوكيل فقال

بكف الثريا وهي خد ما يقاس لي • شقاق دجى بدت بين الشرق فالغرب •
وكم ذرعوها بالذراع لما انقضت • فما تنقضي بالليل او ينقضي نحب •

وقد احسن الارجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال

لا ادعي جور الزمان ولا ارى • ليلي يزيد على الليالي طولا •
لكن مرآة الصباح تنفسي • للهم اصدا وجهها المصقولا • تنفسي ن

وقال مضراس الفقعسي

وليل يقول الناس من ظلمائه • سواء صحيحات العيون وعورها •
كان لنا منه بيوتا حصينة • مسوخ اعاليها وساج كسورها •

وقال آخر

ولي سنة لم ادر ما سنة الكرى • كان جفوني مسها والكرى العدا •

وقلت انا

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت • عيني بغير دوا السهر النهر •
كم بت ارعى نجوم الليل من ارقي • ما اشبه الناس كل الناس بالقمر •

وقال الشريشي فما اكثر الناس فهم من الليل افزع • والى النهار انزع لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر • واجلب لشوارد الاحزان والذكر •

وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله • علي بانواع الهموم ليبتلي •

وقال قيس بن ذراح

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى • ويجمعني والهم بالليل جامع •
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا • لي الليل هزتني اليك المضاجع •

وقال ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله • فالشمس نمامة والليل قواد •
كم عاشق وظلام الليل يستره • لاقى الاحبة والواشون رقاد •

وقال المتنبي

كم زورة لك في الاعراب خافية • ادهى وقد رقدوا من زورة الذئب •
ازورهم وسواد الليل يشفع لي • وانثني وبياض الصبح يغري بي •

هذا البيت من شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسية
وقد اخذه بعضهم فقال

اقبلى النهار اذا اضاء صباحه • واظل انتظر الظلام الدامسا •

فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا • والليل يرثى لى فيدبر عابسا •

وقد احسن فى اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن جنى عن
قول المتنبى المذكور انه ماخوذ من قول ابن المعتز
الشمس نمامة والليل قواد • قال الشيخ تقى الدين بن سيد الناس
قال لى شيخنا تقى الدين بن دقيق العيد قل لهولاء علماء المعانى
والبيان والبديع يحسنون ان يقولوا مثل قول المتنبى ازورهم
وسواد الليل • البيت فاذا قالوا لا فقل فاى فايدة فيما تصنعونه
يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف • ومثل هذا
قوله ما حكى عن بعض الوعاظ كان على منبر يتكلم فى المحبة وامور
العشق واحواله وما طاب لاهل الهوى فى ذلك المقام فقام اليه بعض الحاضرين

فقال

بعيشك هل ضمت اليك ليلى • قبيل الصبح او قبلت فاها •

وهل رفت اليك فروع ليلى • رفيف الاقحوانة فى نداها •

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقعد • وقال المتنبى ايضا

وكم لظلام الليل عندك من يد • يخبر ان المانوية تكذب •

وقاك ردى الاعداء تسرى اليهم • وزارك فيه ذو الدلال المحجب •

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله فى النور والشر كله فى الظلام فكذبهم
بان وجد الخير فى الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم • وكان عونا على
زيارة من يحبه

قال ابن رشيق

• ايها الليل طل بغير جناح • ليس للعين راحة فى الصباح •

• كيف لا ابغض الصباح وفيه • بان عنى اوالوجوه الصباح •

قال الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد • وعنده مسلم بن الوليد
• دخل ابو نواس فقال يا امير المومنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله
ولو فى الخمر وانشد يا شقيق الروح من جسدى • نمت عن ليلى ولم انم •
الابيات حتى اتى على آخرها فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف
درهم وعشر خلع فاخذها وخرج • وروى عن ابن المطرز الشاعر
انه مر وفى رجله نعل له بالية وهى تثير الغبار فراه الشريف المرتضى
فامر باحضاره وقال له انشدنى ابياتك التى تقول فيها

• اذا لم تبلغنى اليكم ركايبى • فلا وردت ماء ولا رعت العشبا •

فانشدع ابياتها فلما انتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية وقال
اهذه كانت من ركابيك فاطرق المطرزى ساعة ثم قال لما عادت سيدنا الشريف
ايده الله تعالى الى مثل قوله • **بيت**

وخذ النوم من جفوني فانى • قد خلعت الكرى على العشاق •

عادت ركابى الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل فاستحيا
الشريف منه • وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله يقول والله قول
المطرزى عندى احسن من قول الشريف • وقال ابو العز المظفر دخلت على
الملك الكامل فقال لى اجز هذا النصف •

قد بلغ السوق منتهاه • **فقلت**
وما درى العاشقين ما هو •
وانما غرهم دخولى • **فقلت**
فيه فهاموا به وتاهوا •
ولى حبيب يرى هوانى • **فقلت**
وما تغيرت عن هواه •
رياضة النفس فى احتمالى • **فقلت**

وروضة الحسن منه حلو • امهل الى ان الفقه **فقال**
يتسعه كل من سواه • ويتيها لها من عادم **فقلت**
خاتمها الملك من كملاه •

ليلته كلها رقاد • **فقلت** وليلتى كلها انتباه
ثم ان مظفر الدين كملها مديحا فى السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى

• الباب الثانى عشر •

• فى قلة عقل العذول • وما عنده من كثرة الفضول

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل والقال من العذال واستحق
بأسائته الجنة عند عدله نقد النبال وكيف لا وهو لكثرة فضوله وقلة
محصوله يدخل بين الروح والجسد • والوالد والولد • طالما اصبح من المحبين
تقابين صفا عين لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب • **بيت**

واتعب من ناداك من لا يجيبه • واغيظ من عاداك من لا تشاكل •
وما اليته خلقى فى الهوى غير انى • بغيض الى الجاهل المتغافل •

فليته استراح وراح • وصان غرضه المباح • فقد اكثرت الشعراء فى
الرد عليه • واعتذرت المحبون اليه • كما قيل • **بيت** •

يا عاذلى فى هواه اذا بدا كيف اسلوا • يمر بى كل وقت وكلما مر يحلوا •

وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل • وكان يقال رب ملوم لا ذنب
له • وكان يقال لعل لها عذر وانت تلوم • وكم عاذل ناد المحب بعد له

لحاجته وجوبا اكثر من الحاجة لا بدل حرحوى • ملوم انه كالريح يعرى من
النار بالاحراق •

وقال الاحراقى

وما عذولى ناهيا عنكم • لكنه بالصبر امار •
قالا سلم ان تطو هجرهم • قلت كذا النار ولا العار •

وقال ابن نباتة

يا من اذا باعت الابصار اسودها • بحبة فوق خديه فقد ربحت •
يزيدنى العذل تبريحا الذ به • فليت عذل الحى فيك لا برحت •

وما احسن ما قال بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى •

اسرفت فى اللوم ولم تقتصر • وزدت فى لومك يا ذا العذول •
فقد رضيت نفسى بمحبوبها • وانما اللوم كثير الفضول •

وقال والده واحسن ما شاء

ولى على عاذلى حقوق هوى • شكرى عليه ببعضها يجب •
لام فلما راه هام به • فكنت فى عشقه انا السبب •

وقال اخر

مد فيصرم اللاحى رجا ان يتوب • وزخرف لى زور الكلام يميته •

وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه • فقلت له هذا الفضول بعينه •

حكى عن ابن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن يراه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما راه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذى لامه فيه فقال ابن وكيع فى الحال

ابصر عاذلى عليه • ولم يكن قبلها راه •
فقال لى لو عشقت هذا • ما لامك الناس فى هواه •
فقال لى الى من عدلت عنه • فليس اهل الهوى سواه •
فظل من حيث ليس يدرى • يامر بالحب من نهاه •

وقال الشيخ الشيوخ بحماه

زعموا اننى هويت سواكم • كذبوا ما عرفت الا هواكم •
قد علمتم بصدق رسل دمعى • فسلوه ان كان قلبى سلاكم •
قال لى عذلى متى تبصر الرشد • وتسلوا فقلت يوم عماكم •

وقال شيخ الشيوخ ايضا

ان قومى يلحون حب سعدى • لا يكادون يفقهون حديثا •

سمعوا اوصفها فلاموا عليها • اخذوا طيبا واعطوا خبيثا •

وقال ايضا

من منصفي من عاذل جاهل • يخون باللوم لمن لا يخون •

ان قلت ما تضحك الا اذا • قال وما عشقك الا جنون •

قال محمد بن شرف رحمه الله

قل للعذول لو اطلعت على الذي • عاينته لعناك ما تعنيني •

اتصدني ام بالغرام تردني • وتلومني في الحب ام تغريني •

دعني فلست معاقبا لجنايتي • اذ ليس دينك في المحبة ديني •

وما احسن قول الاخر

يقول لي العاذل في لومه • وقوله زور وبهتان •

ما وجه من احببته قبلة • قلت ولا قولك قرآن •

وقال آخر

لقد عني بدر بالدجا بصدوده • وكلف اجفاني ارعى كواكبه •

فيا عاذلي دعني عساه يعود لي • ويا مهجتي صبرا على ما كواكبه •

وقال غيره

قال العواذل ما الذي استحسنته • منه وما يسبيك قلت جميعه •

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته

يا خيبة العاذل الذي قد • اطال في العذل واستطالا •

عذبني ثم قال تسلو عن • حب ماما فقلت لا لا •

وقال ايضا

ايها العاذل الغبي تأمل • من غدا في صفاته القلب ذايب •

وتعجب لطرة وجبين • ان في الليل والنهار عجايب •

وقال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر •

يا ثقاتي واين مني ثقاتي • اين من يبتغي الي الوسيلة •

ان تكن تقبلوا بي اليه • فحياته وحقه تقبيله •

قال النور الاسعردي

اقول لعاذلي لما نهاني • وقد وجد المقالة اذ جفاني •

علمت بانه من نبت النحل • وقلت لانه حلو اللسان •

وقال ابو الفتح قادوس في الاكتفاء

من عاذري في عاذل يلوم في رشا • اذا اطلبت وصله قال كفى بالدمع شا

قول الشيخ الشيوخ بحماه •

• اعصيت العشاق فيه اننى • لم ابغ فى حبه رشدى بغى •

• قلت قد اضنيت جسمى بالصد • قال لى تذهب روحى قال كى •

وقال ايضا

• راموا انطامى عن هوى • عذبته طفلا وكهلا •

• فوضعت فى جيبى يدى • وقلت خلونى والا •

ومثله قول الأوزاعى •

• يا لائمى فى هواها • افرطت فى الحب جهلا • ما يعلم الشوق الا • ولا الصبابة الا •

• وما احسن قول ابن سنا الملك فى المعنى •

• اهوى الغزالة والغزال وانما • نزهت نفسى عفة وتدينا •

• ولقد كففت عنان عينى جاهدا • حتى اذا اعييت اطلقت العنا •

وقوله ايضا

• دنوت وقد ابدى الكرى منه ما ابدى • فقبلته فى الخد تسعين او احدى •

وقوله ايضا

• وظبى حكى بدر الفلا فى نفاده • فما باله لم يحكه فى التلف •

• يدافعنى عن وصله بتهجد • فما ضره لو كان يدفع بالتى •

وقوله ايضا

• اليكم هجرتى وقصدى • وفيكم الموت والحياة •

• امنتم ان توحشوا فؤادى • فانسوا ولا توتوا •

وقال شيخ الشيوخ بحماه

• زاعم كمية قالت ويا • وافق قلبه قلبى فاستويا •

• وطالما اذاقا الهوى فاكتويا • يا قرة العين ويا همى ويا •

وقال الاقيشر

• والله ما خطر السلو بمهجتى • ما دمت فى قيد الحياة ولا اذا •

رجع الكلام فى العذل وقال ابن مطروح

• لما نظر العذال وجهى بهتوا • فى الحال وقالوا لوم هذا عنت •

• ما يحسب الا انسانا نعذل له • من يسمع من يعقل من يلتفت •

وقال آخر

• قالوا اتسله واطرح هواه • فقد يراك كذا بدا وادركه •

• فقلت بالله لا تطيلوا • والله والله ما اتركه •

وما احسن قول شهاب الدين الخيمي •

وعذول لنا بنى فى نصحه • كلما ازددتا با زاد لجاجا •

ما عذولى قط الا عاشق • ستر الغيرة بالعذل ودا جا •

وقال اخر

لو راى وجه حبيبي عاذلي • لتفارقنا على وجه جميل •

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي •

ذهب العمر بلوم • وصدود من غزال • فى سبيل الله عمر • ضاع فى قيل وقال •

وقال ابرهيم المعمار

لو رأى حسن وجهه • عاذلى فى التبسم • ذهبت وجهه كما • قبل فى دور درهم •

وقوله ايضا •

لج العذول ولامنى • فمن احب عنفا • فهمت الطف ذاته • مما مليت باسفا •

لكنما ذلفت يدى • وقعت على اصل القفا •

وما الطف قول النور الاسعردي •

وقالوا دع المعشوق واهجر دائما • الم تر بعد الملاحة ينتف •

اينتف من اجلى ويتعب نفسه • واهجره والله ما انا منصف •

قال اخر

قل للعذول الطالب اللوم فى قمر • يزيد فى كل يوم حسنه نورا •

ان كنت تزعم ما فى حبه عجب • قم فانظر الورد فى خديه منثورا •

وقال محيى الدين ابن البغدادى •

ان لامنى من لا راه فقد • جار على الغايب بالحكم •

وان لحاه من راه فقد • اضله الله على علم •

قال البها زهير

انت الحبيب الاول • ولك الهنا المستقبل •

عندى لك الود القديم • هو ما عهدت واكمل •

القلب فيك مقيد • والدمع فيك مسلسل •

يا من يهدد بالصدود • نعم تقول وتفعل •

قد صح عذرك فى الهوى • لكننى اتعلل •

قل للعذول لقد ملت • لمن تقول وتعذل •

عاتبت من لا يرعوى • وعذلت من لا يقبل •

غضب العذول اخف من • غضب الحبيب واسهل •

وقال ابو العتاهية لقيت ابو نواس في المسجد الجامع فعذلته
وقلت له اما آن لك ان ترعوي وتزدجر فرفع راسه الي وقال
اتراني يا عتاهي • تاركاً تلك الملاهي • اتراني مفسداً بالنسك • عند القوم جاهي •
فلما الححت عليه في العذل انشا يقول
لا ترجع الانفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر •
فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته • وقال جوبان القواس
اصغي الى قول العذول بجملتي • مستفهماً منه بغير تملل •
لتلقطي زهرات ورد حديثكم • من بين شوك ملامة العذال •
قلت هذا هو العاشق والمحب الموافق لانه كيف اصغى الى عذوله
الفاعل الصانع وجنى من عذله جنى النحل ممزوجاً بماء النقايع فهو
في هذا المقام في اثبات كما قال ابو الشيص من ابيات •
اجد الملامة في هواك لذيذة • حباً لذكرك فليلمني اللوم
قال ابن رشيق وقد زاد على ابي الشيص في قوله هذا
• هددت بالسلطان فيك وانما • اخشى صدودك لا من السلطان

• اهوى الملامة فيك حتى لو درى • اخذ الرشا مني الذي يلحاني •
• حبي بقول الناس بعد منيتي • هذا قتيل في وداد فلان •
• فلا هضن عليك عمري كله • ولا عشقن عليك كل هوان •
قلت والذي اقوله انا في هذا المقام ان صاحب هذا الكلام
غريم الغرام • ونديم كؤوس المدام • لانه كيف بالغ حتى جعل للعذول
جعاله • واضحت حالته هذه كما قيل ضعت على ابا له فهو كما قال بعض
السادات من اهل الولايات لو تعلم العوام ما في قلوبنا من حلاوة العفو
لتقربوا الينا بالجنايات ومثل قوله هددت بالسلطان قول الآخر

• قول الآخر •

• وان نذرت فيك العشيرة قتلتي • فللموت عندي في هواك سلام •
• ومن عجب الاشياء خوفي من العدى • ولي كل يوم في هواك حمام •

وقلت انا

• وعاذل بالغ في عذله • وقال لما هاج بلبالي •
• بعارض المحبوب ما تنتهي • قلت ولا بالشيب والوالي •

وقلت ايضا

عذلوا على دام قتلى فى الهوى • فكلا مهم ضرب من الهديان

جهلوا او ما علموا بان الطعن • فى المحبوب غير الطعن فى الميدان

وقلت ايضا

كم خالف العذال قولى فى الذى • فى كل يوم حسنه يزداد

ان قلت ليس فى الملاحة مفردا • قالوا تثنى عطفه المياد

وقلت ايضا وفيه تعريض بشخص يسمى بالقط

يا عاذلى لا تلحنى فى حب هذا القبطى • واقنع بوصل بيننا بالله راس القط

وقلت ايضا

يلح الذل لا سيما الخطابى • عليه الشيخ يعذل فى التصابى

فدعنى من ملامك يا عذولى • نحب للخطا عين الصواب

وقلت فيمن اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا • ولهان فى فرط الصبابة والجوى

يا عاذلى لا تلحنى فى حبها • نفذ القضا وهكذا حكم الهوى

وقلت مضمنا

اقول للصب قلبه يشتكى الاسى • هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

عذلك فى ابن السكرى والذى • ادى بحالقى فاختر لنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان

فيا من جاء بعدك مشتهاما • على حلو الشمايل ما امرك

وقلت من قصيدة

قد زنت بتلى للعذول وقدم • فرايت ميلى للقوام رجيحا

يا عاذلى لا صا فحتك يد النوى • حتى توسد فى التراب صفيحا

ولقد نصحت منى الصبابة فى الهوى • لكنهم لا يقبل نصيحا

وقلت ايضا من قصيدة مطلعها

لك من حبيبك ما تحب وتشتهى • فاجعل مدامك من مقبلة الشهى

واذا بدا لك ثغره متبسما • فاضحك على ذقن العذول وقهقهى

وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى قاضى القضاة تاج الدين السبكى بالشام

يا ساكنى السفح لى فى حبكم سكن • وانتم فى سويدا القلب سكان

دمعى يزيد كانا س لبعدكم • والعاذلون على ثورانى ثيران

ومنها

قد كان ما كان من هجرانه زمنا • وقد وفا الان والعذال لا كانوا

انا الذي لا ابالي في الغرام بما • يروي فلان ولا ما قال فلتان •

ومنها

برهنت حسن الذي اهوى وقلت له • ما للعذول على ما قال برهان •
ما لامني مذ رأني في الهوى رجبا • بمرح شعبان فيما قلت شعبان •

تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء المستعملة الان لانهم كانوا يسمون رجبا الاصم • ويسمون شعبان العدل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الاخير على ان الشعرا استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا •

ومنه

وشادن مبتسم عن حبب • مورد الخد مليح الشنب •
يلومني العاذل في حبه • وما درى شعبان اني رجب •

وقلت انا من قصيدة

يسطو على من اكه لا لكانه • غازان اذ يسطو على جوبانه •
ان ردني عنه قضيب قوامه • فانا القتيل بجبينه وبيانه •
اني وحقك في هواه متيم • صب غدا رجبا على شعبانه •

قولهم سبق السيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده **واصله** ان سعدا وسعيدا ابني ضبة ابن اد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد وكان ضبة اذا رأى رجلا مقبلا • قال أسعد ام سعيد • ثم انه في بعض مسيره اتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت هنا فتى هيئته كذا وكذا • واخذت منه هذا السيف • فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون ثم ضربه به فعذل • فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه • ومن احسن ما سمعته فيه • قول

قول سراج الوراق

قلت اذ جرد لحظا خذم يدني الاجل • يا عذولي كف عني سبق السيف العذل •

وعلى ذكر العذل والملام • قال الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال انشدني بيتا قاله اكثم بن صيفي في اصالة الرأي وجودة الموعظة وآخر ابقراط في معرفة الدواء • فقلت يا امير المؤمنين لقد هو كلت على فقال هو قول ابي نواس دع عنك لومي البيت **قلت** وفي هذا البيت ايضا حكاية لطيفة حكاها الحريري في درة الغواص عن جابر بن عباس •

انه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دفع الخمار وقد علق به وقد اعلق به فاعرض عن كلامه فقال ما انا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى القاضي القضاة ابي عمر وسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى • وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم • استعينوا على كل صنعة بصالح اهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة فقال

• وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها •

ثم تلاه ابو نواس فقال

• دع عنك لومي فان اللوم اغراء • وداوني بالتي كانت هي الداء •

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد لو تجيب ببعض ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسألة بقول الله تعالى اولا • ثم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وادى المعنى وتبرى عن العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا اكثر من خجل حامد منه لما ابتداه بالمسئلة • ه

وقال الشيخ صدر الدين الوكيل •

• ان الذي جعل الهموم عقاربا • جعل المدام حقيقة درياقها •
• لم يصلب الراووق الا عندما • قطع الطريق على الهموم وعاقها •
• ويعنفني في الخمر لو قد ذاقها • ما لامني لكنه ما ذاقها •
• قال اطرح صفرا يطفي جمرها • لهبا القلوب اذا اشتكت احراقها •
• فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا • في طرق لومك ان اردت فراقها •

وقال شيخ الشيوخ بحماه وقد انصف حيث قال

• اعاذلي ليس مثلي من تعنفه • وليس مثلك مامونا على عذلي •
• ما ذقت حلوا فما تنفك منها • اعشق وقولك مقبولا على عذلي •

وقال الاخر ايضا

• لو تعلم الاراق حنيني نحوكم • لمزقت من طرب اطواقها •
• ولو يذوق عاذلي صبابتي • صبا معي لكنه ما ذاقها •

حكي ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله • فلما دخل القاضي الفاضل دار العماد وجد اشياء انكرها في نفسه مثل ابناء ومجالس انس وطيبه ورايحة خمر والات طرب • فانشد •

ما انا مخطئ جنايا الود من رجل • ما لم يسلك بمكروه من العذل •
مجيئي قبل ما تأتي ان تسامحني • بأن اراك على شيء من الزلل •

الباب الثالث عشر
في ذكر الاشارة • الى الوصل والزيارة

اقول هذا باب عقدناه لذكر الزاير والمزور • وما قيل فيهما من منظوم ومنثور • وغير ذلك من عبادة الحبيب • وما يستدل عليه من روايح الطيب •

كما قيل

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا • وامسى له الفضل زايرا ومزورا •

ان زارني فبفضله او زرته فالفضل له فالفضل في الحالين له

والزيارة من الحبيب لا تمل • ولو الحق فيها القايل بالطل •

ومن احسن ما سمعته في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما • خائفا من كل شيء جزعا •
زاير نم عليه حسنه • كيف يخفي الليل بدرا طلعا •
رصد الغفلة حتى امكنت • ورعى السامر حتى هجعا •
ركب الاهوال في زورته • ثم ما سلم حتى ودعا •

زارني في الدجى اجم الحواسي • والثريا في الغرب كالعنقود •
وكان الهلال طوق عروس • بان يحلى على علايل سود •
ليلة الوصل ساعدينا بطول • طول الله فيك عمر كل حسود •

وقال آخر

• زارت على غفلة الرقيب • كظبية روعت بذيب •
• وكان وقت الوصال منها • اقصر من جلسة الخطيب •

وقال الشيخ علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين • انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعما انها اصدق كلمة قالها الاواخر

يقولون لي بالله ما انت فاعل • اذا زارك المحبوب قلت اينكه •

• وقال يعقوب الشيباني •

قلت اذ زارني احب وجنح الليل • روض ابدا النجوم نهادا •
ملك الحب زاره ملك الحسن • فزادا على الوجود اقتدارا •
فارشوا الورد للطلسا حين تمشي • واجعلوا عسجد الورس بسادا •
واصرفوا جانب الظلام فقدتم • بسرى الى العيون مرادا •
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا • للنجاشي الظلام كن برددارا •

وعلى ذكر برددارا ما احسن قول الآخر ● ذو بيت

يا كل بيت الثنا والمدح يليق ● اذا انت لاهل العشق خل وصديق ●

ان انت جعلت برددارا لهم ● لا تعط عليهم قط للصبح طريق ●

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ جفاني حبيب ● وغدا يسبي النهى وعقادا ●

انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح ● وكن يا دجى برددارا ●

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ●

● ومليح كالبدر زار بليل ● فجلا حسنه الدجى اذ تجلى ●

● ما درى منزلي ولكن قلبي ● بلهيب الجوى هداه ودلا ●

● وعجيب منه فقيه ذكي ● يجهل النزاع كيف استدلا ●

وقال ايضا

يا حبيبي وانت ما زلت بالوصل منعما ● زرتني بعض ليلة بت فيها مهموما ●

حين وليت غائبا افل البدر في السما ● ليت شعري من الذي من جبينه تعلما ●

وقال بشار بن برد

يا طيب الناس ريقا غير مختبر ● الا شهادة اطراف المساويك

95

قد زرتنا زورة في الدهر واحدة ● فاثن ولا تجعلها بيضة الديك ●

قيل ان الديك في العمر بيضة واحدة ولهذا قال بشار ذلك

وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ستة وتسعين وستمائة باض

ديك ببغداد وسالت جماعة من ذلك فاخبروني به ● واخبرني الان بعض

الصوفية المقيمين عندي في الضريح انه باض عنده ديك بيضة واحدة

وجعل يصيح مثل الدجاجة ● ثم اقام بعد ذلك سبعة ايام ومات ●

وقلت انا

● لي حبيب له حبيب موافي ● كل يوم ياتي اليه مزارا ●

● قلت في ذي فقال حبي عندي ● شغل الحلي اهله ان يعادا ●

وقلت ايضا

● زار الحبيب وجه الورد خجلان ● فاصفر حتى تثنى قدة البان ●

● قد كان ما كان من هجرانه زمنا ● وقد وفا الآن فالعذال كانوا ●

● ما ضر في ضيق عيش حين واصلني ● سم الخياط مع المحبوب ميدان ●

فصل في نم الطيب على الحبيب وما احلى قول ابن سكرة

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة ● تحت الظلام ولم تحذر من العسس ●

تسرت بالدجى عمدا فما استترت • وبات اشراقها كيلا على القبس •
فلو طواها الدجى عنى لاظهرها • برق اللثات وعطر النحو والنفس •
اخذه معتمد بن عباد واحسن ما شاء •
ثلثة منعتنا عن زيارتنا • عين الرقيب وخوف الحاسد الحنوق •
ضوء الجبين ووسواس الحلى لها • تحوى معاطفها من عرها عبق •
هبنى الجبين بفضل الكم تسترة • والحلى تترعه ما حله العرق •

وقال

يوم يقوم الرسول فذا دنت • فاتت على غير دقة ولح •
اقبلت اهوى الى رجالهم • اهدى اليها بريحها الارج •
قيل • ويستدل على الملوكية فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام • ومعرك الحرب وموسم الحج • وما زالت الشعراء تصف سوالى الحبيب بالطيب كما قال ابن البنيه بيت

• ان جاء يبغى لهم منزلا • فقل له يمشى ويستنشق •
وقال محمد بن عبد الله التميرى فى زينب اخت الحجاج من قصيده
تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت • به زينب فى نسوة خفرات •

له ارج من مجمر الهند ساطع • تطلع رياه من الكفرات •
تهادين اطراف البنان من التقى • ويطلعن نصف الليل معتجرات •
ولما رات ركب التميرى اعرضت • وكن من ان يلقينه حذرات •
ولهذه الحكايات حكايه لطيفة اتفقت لقائلها مع الحجاج • وهى مشهوره بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة • ه

وقال الطغرائى •

فسرنا فى ظلام الليل معتسفا • فنفحه الطيب تهدينا الى الحلل •

وقال آخر •

وليس نسيم المسك ريا تجدونه • ولكنه ذاك الثنا المخلف •

وقال ابن الرومى •

اعقبته من طيب ذكرك نفحة • كادت يلون ثناك المسموعا •

وقال آخر •

لوكان يوجد ريح مسكا فايحا • لوجدته منه على اميال •

وقال المتنبى •

ويفوح من طيب الثنا روايح • لهم بكل مكانه تستنشق •

ومن احسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

خبروها انى مرضت فقالت ● اضنا طارقا شكا ام تليدا ●
واشاروا بان تعود وسادى ● فابت وهي تشتهي ان تعودا ●
وانثني في خيفه ومن تشكو ● الم الشوق والمزار البعيدا ●
ووراتني كذا فلم تتمالك ● ان امالت على عطف وجيدا ●

انشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباته

وملوله في الحب لما ان رات ● اثر السقام بجسمي المتهاض ●
قالت تغيرنا فقلت لها نعم ● انا بالصدود وانت بالاعراض ●

ومما احسن قول التلمساني ●

واني الذي اضنيته وهجرته ● فهل صلة او عايد منك الذي ●

وقول الآخر

لا تهجروا من لا تعود هجركم ● وهو الذي بلبان وصلكم غذى ●
ورعيتم مقداره بالابتدا ● حاشاكم ان تقطعوا مواصلا الذي ●

ومن اعظم ما حكي عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابن عنين
كتب اليه وهو ضعيف

وملوله في الحب لما ان رات اثر السقام بجسمي المتهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم انا بالصدود وانت بالاعراض

انظر الى بعين مولى لم يزل ● يولي الندا وتلاف قبل تلافي ●
انا كالذي يحتاج ما يحتاجه ● فاغنم ثوابي والثنا الوافي ●

وحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال انت الذي وهذه صلتك وانا العايد قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول واجاد وعامله الملك المعظم في السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد ● ولو وقع هذا مع مثل سيبويه لكان دليلا على فضله ● وسدادا نيل نيله فما الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شانه العظيم سلطانه ● فكم اقر لابن عنين عينا ووفا عنه دينا ● فنال به السول ● وطرب بين الصلة والعايد من الموصول ● لا جرم انه ملأ بمدايحه ديوانه وقال فيه

● وقوله فيه من قصايده الطنانه ●

كريم الثنا عار من العار باسل ● جميل المحيا كامل الحسن والحسنا ●
لعمرك ما ايات موسى خفية ● هي الشمس الا قصى سناها ولا ادنى ●

ولي انا من قصيدة في هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان مخلصها

تطاول غصن البان يحكي قوامه • فقلت والله قد جئت في المعنا •

ولكن بدا البدر والبحر قصرا • عن الناصر السلطان في الحسن والحسنا •

ومن غريب ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت بين يديه جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لا بد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لا بد والح عليهم •

فقال ابن عنين

نحن قوم مما ذكرنا لهم قط • الا اشتهى ان لا يرانا •

فقال السلطان صدقت فقال شعرنا مثل الخرا فقال السلطان صدقت • فقال ذقت الخرا فقال السلطان لا • والله قبحك الله فقال صنع الله بك اصل لحانا ورجع الكلام الى العيادة ما احسن قول السراج الوراق

قال صديقي ولم يعدلي • وعارض السقم في اكثر •

لقد تغيرت يا صديقي • ويعلم الله من تغير •

وقوله ايضا

مرضت لله قوم • ما فيهم من جفاني •

عادوا عادوا وعادوا • على اختلاف المعاني •

ولهذا البيت اشباه ونظاير ذكرتها في كتابي الطارئ على السكردان منها ما حكي عن القاضي ابي بكر بن العربي وقد وقف على حلقته وهو يشتغل في العلم شاب بيده رمح • فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فقال الشاعر اضربك به فانشد القاضي ابو بكر لنفسه في الحال قال

يهددني بالرمح ظبي مهفهف • لعوب بالباب البرية عابث •

ولو كان رمحا واحدا لاتقيته • ولكنه رمح وثان وثالث •

وقد سألت جماعة من اهل الادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجب احد منهم بطائل وقال ابن النقيب •

سمعت بما اشكو وما انت واجد • فظلت دموع العين في الخد تسفح •

وارسلت حظي في العيادة نايبا • وما كل حظ للعيادة يصلح •

وقال المعتمد بن عباد

مرضت فامسكت الزيارة عامدا • وما عن قلى امسكتها لا ولا هجر •

ولكنني اشفقت من ان ازوركم • فابصر آثار الكسوف على البدر •

وقال الشهاب محمود في القول بالموجب

رآني وقد بان مني النحول • وفاضت دموعي على الخد فيضا •
فقالت بعيني هذا السقام • فقلت صدقتِ وبالخصر أيضا •
وأورد في كتابه حسن التوسل قول الأرجاني •
غالطتني إذ كست جسمي الضنا • كسوة أعرت من اللحم العظاما •
ثم قالت أنت عندي في الهوى • مثل عيني صدقت لكن سقاما •
قلت أنا حين وقفت على قول الأرجاني هذا بديهًا •
شكوت إلى الحبيبة سوء حظي • وما قاسيت من ألم البعاد •
فقالت إن حظك مثل عيني • فقلت نعم ولكن في السواد •
وما أحسن قول محاسن الشواء •
ولما أتاني العاذلون عدمتهم • وما فيهم إلا للحمي قارض •
وقد بهتوا لما رأوني شاحبًا • وقالوا به عين فقلت وعارض •
وقال ابن النقيب
وما بي سوى عين نظرت لحسنها • وذاك لجهلي بالعيون وغرتي •
وقالوا به في الحب عين ونظرة • ولو صدقوا عين الحبيب ونظرتي •
والأصل في هذا كله قول الأول

وجاؤوا إليه بالتعاويذ والرقى • وصبوا عليه الماء من ألم النكس •
وقالوا به من أعين الجن نظرة • ولو عقلوا قالوا به نظرة الإنس •
وما أحسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكوافي •
اسم حبيبي وما يعاني • قد شغلا خاطري وبي •
قالوا عليًا فقلت قدرا • قالوا كوافي فقلت قلبي •
قال صدر الدين بن الوكيل
وبي من قسا قلبًا ولان معاطفًا • إذا قلت ذا ني يضاعف تبعيدي •
أقربه إذ أقول أنا له • وكم قالها أيضًا ولكن لتهديدي •
وقال السراج الوراق
قالوا وقد ضاقت جميع مصالحي • لهموم نفس كيف لا أحملتها •
قد كان عندك يا فلان صريمة • فأجبتهم بعت الحمار وبعتها •
الباب الرابع عشر
في ذكر الرقيب والنمام والواشي كثير الكلام
أقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب عابر العين كبير المين •
يرى المحب بعين المقت في كل وقت • ويرميه في الحضرة والمغيب •

فى بكل سهم مصيب • فكم ترك المحب مضنى • وا فرم فيمن يحب • ولا استغنى هو
كالصبح قاطع اللذات • تعيس الحركات • قبيح المنظر • سئ الخبر • كثير
اللجاج • حجر فى دكان زجاج • فهو والنمام فى الاذى فرسا رهان لسان صنيعا •

• ومن بلغ ما سمعته فى الرقيب •

• إنا والحب ما خلونا ولا • طرفة عين الا علينا رقيب •
• ما خلونا بان يمكن الدهر • بانى اقول انت الحبيب •
• بل خلونا بقدر ما قلت نت • اح فراقى فقلت كتم الطبيب •

وقال ابن المعتز

• وابلاى من محضر ومغيب • من حبيب منى بعيد قريب •
• لم ترد ما فى وجهه العين الا • شرقت قبل ريها برقيب •

وقال ايضا

• قد دنت الشمس للمغيب • وحان شوقى الى الحبيب •
• طوبى لمن عاش عمر يوم • له حبيب بلا رقيب •

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا • قال ممازحة الحبيب بلا رقيب
وما احسن قول الصاحب بن عباده

• قال الجان دا قبيح • يسئ الخلق فبارد • قال دعه وجهك • الجنة يخفف بالمكان •

وقال آخر

• لسهم الحب جرح فى فوادى • وذاك الجرح من عين الرقيب •
• توكل ناظريه بنا ويحكى • مكان الكاتبين من الذنوب •

وقال آخر

• فلو سقط الرقيب من الثريا • لصب على محب او حبيب •
• يسقيك من الكف ندا ما • الذ من غفلة الرقيب •
• كانها اذ صفت ورقت • شكوى محب الى حبيب •

وقال ابو نواس

لاحظته فتبسما • وخلا الرقيب فسلما • فبدا الرقيب فقلت لا • سلم الرقيب من العمى •

وقال الصفى الحلى •

• ومليح له رقيب قبيح • يتعنا وغرم تيهنا •
• ليس فيه معنى ثقال لكن • هو عند النحاة جا لمعنا •

وقال آخر

• قالت صفا الوقت ولكن الرقيب كالقذا • قالت اذا غاب الرقيب نى قلت اذا •

وقال آخر وأحسن ما شاء •

أحب العذول لتكراره • حديث الحبيب على مسمعي •
وأهوى الرقيب لأن الرقيب • يكون إذا كان حبي معي •

وقال أبو جعفر بن الأبار

زارني خيفة الرقيب مطلا • يتشكى القضيب منه الكثيبا •
قال لي ما ترى الرقيب مربا • قلت ذره أتى الجناب الرحيبا •
عاطه أكؤس المدام دراكا • وأدرها عليه كوبا فكوبا •
واسقينها بخمر عينيك صرفا • واجعل الكأس منه ثغرا شنيبا •
ثم لما أن نام من سقيه • وتلقى الكرى سميعا مجيبا •
قال لا بد أن تدب عليه • قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا •
قال فابدأ بنا وثن عليه • قلت كلا لقد دفعت قريبا •
فوثبنا على الغزال ركوبا • ودببنا على الرقيب دبيبا •
هل رأيتم وهل سمعتم نصيبا • نال محبوبه ونال الرقيبا •

قال ابن بسام لقد ظرف ابن الأبار واشتهر ما شاء ونذر وأظنه لو قدر على إبليس الذي تولى له هذا الفن لدب عليه • وأما ابن المعتز

فكنى ولم يصرح حيث قال

وكان ما كان مما لست أذكره • فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر •

وقال أبو نواس

إذا هجع النيام نحل عني • وعمن كان يصلح للدبيب •
ألذ إليك ما كان اغتصابا • بمنع الحب أو خوف الرقيب •

وقال أبو الوليد محمد بن جان الحنفي

نشر النسيم بعرفكم يتعرف • وأخو الغمام بحبكم يتشوف •
شرف النسيم في هواكم أنه • طورا ينوح وتارة يتلهف •
صب إذا كتم المشوق دموعه • كتمت محاجره الدموع الذرف •
لطفت معانيه فهب مع الصبا • فرقيبه بحبيبه لا يعرف •
وإذا الرقيب دري به فلأنه • أحنى عليه من النسيم وألطف •
ولأنه يعدو النسيم ديارهم • وله على تلك الديار توقف •

وقال عروة بن عبد الله كان عروة بن أذينة الليثي نازلا في دار أبي العتيق فسمعته ينشد لنفسه • بيت

إن التي زعمت فؤادك ملها • خلقت هواك كما خلقت هوى لها •

وإذا وجدت بها وساوس سلوة • شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها •
بيضا ما كرها النسيم فصاغها • بلباقة فأدقها وأجلها •
ما عرضت مسلما لي حاجة • إخشى صعوبتها وارجوا ذلها •
منعت تحيتها فقلت لصاحبي • ما كان أكثرها لنا وأقلها •
ودنا فقال لعلها معذورة • من بعض رقبتها فقلت لعلها •

قال فأتاني أبو السايب المخزومي فقلت له بعد الترحيب والبشرى الك حاجة قال أبيات لعروة وبلغني أنك سمعته ينشدها فأنشدته الأبيات فلما بلغت إلى قوله فدنا وقال لعلها معذورة فطرب وصاح وقال هذا والله الدايم الصبابة الصادق لا كالذي

يقول

إن كان أهلك يمنعونك رغبة • عني فأهلي بي أظن وأرغب •

لقد عدا الأعرابي طوره وإني لأرجوا أن الله يغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاما إلى الليل وانصرف

وقال ابن قلاقس

وابلائي من مخدرة • دونها سود وجدان •
واسود خاف سطوتها • كلما حاد برحفان •
ورقيب لو يلاحظها • لثنى وهو غيران •

وقال البها زهير

ورقيب عدمته من رقيب • اسود الوجه والقفا والصفات •
هو كالليل في الظلام وعندي • هو كالصبح قاطع اللذات •

قال ابن رشيق

تأذى بلحظي من احب وقال لي • اخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا •
وقال اذا كررت لحظك دونهم • الى فما يخفى دليل مريبنا •
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما • بلينا ولكن الرقيب بلي بنا •

سالت في وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطي هل يحفظ بيت مليح في هجو الرقيب فسكت لحظة • وانشد لنفسه قال

قال لي صاحب يروم فريضا • في هجاء الرقيب فهو قبيح •
عندكم في الرقيب شيء مليح • قلت ما في الرقيب شيء مليح •

وقلت انا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فعن لي • وقل في تقتل بحسه متغيب •
رقيب نفى عن ارض ليلى عشية • برحت لى جنة البر حاء •
رقيب الله فى محب حبيب • من نجوم السماء رقباء •

وقلت من قصيدة

فبت ولى شغل عن العذل شاغل • مدود الكرى عنى من السهد زايد •
فهل لى معين فى رقيب وعاذل • يساهرنى هذا وذاك معاند •

وقلت ايضا من رسالة • واما الرقيب فامره عجيب • وغلق الباب فى وجهه نصر من الله وفتح قريب • فهو بالنهار من الذين يراؤن • وبالليل ان فاعله لاينام ولا يخلى الناس ناىمون • فاذاه اذا ورد من بعيد اقرب من حبل الوريد • والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • فهو ان قعد قامت القيامة • وان راح لاكتب الله عليه سلامة •

فصل فى النمام والواشى • ومن الطرف ما سمعته فى ذلك

قال لى عودى غداة اتونى • ما الذى تشتهيه واجتهدوا لى

قلت

قلت نقلى فيه لسان وشاة • قطعوه فيه بصنع عجيب •

واضيفتا اليه كبد حسود • فقيت فوقها عيون رقيب •

وهذا ماخوذ من قول بعض العشاق وقد قيل له ما تشتهى قال اعين الرقبا • والسن الوشاه • واكباد الحساد • **وقول الاخر**

عندى لكم يوم التواصل دعوة • يا معشر الجلسا والندماء •
اشوى قلوب العاشقين بها • والسنة الوشاة واعين الرقباء •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم • ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة • وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار بما بهم من الاذاء وذكر منهم رجل ياكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة

وقال وضاح اليمنى

واعص الوشاة فانما • قول الوشاة هو الفتن •
ان الوشاة اذا اتوك • تنصحوا ونهوك عن •

قيل انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب الشام

بقول الشاعر

ويلى من العرض الغضبان اذ نقل • الواشى اليه كلاما كله زور •
سلمت فازورتنى قوس حاجبه • كانني كاس خمر وهو مخمور •

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فامر باحضاره
ليستخدمه نديما ويحله من حضرته مقاما عظيما وقال السري

والقائل بالبشر الجميل مداهنا • فلي منك حبل ما علمت مداهن •
انم بما استودعته من زجاجة • يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن •

شهاب الدين بن اثير

اني محبك مستهام مغرم • وسوى هواك على القلوب محرم •
لا تسمعي قول الوشاة فانهم • زادوا الكلام ونقصوه ونمموا •
فهناي ان ترضي ولو بمنيتي • اي والطلاق ثلثة لي يلزم •

قلت داشي بايمان وقول آخر

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة • ويستبيح دما الحجاج في الحرم •
خصاله لست احصيها لكثرتها • لكنها جمعت في النون والقلم •

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم • عتل بعد
ذلك زنيم جاء في التفسير ان الهماز الذي همز الناس اي يذكرهم
المكروه وياكل لحومهم بالطعن والغيبة واكثر ذلك بظهر الغيب وعن
الحسن هو الذي يلوي شدقيه في اقفية الناس وقيل الهمز بالمواجهة

واللمز بظهر الغيب • وقيل بالعكس • وقيل الهمز جهرا • واللمز سرا •
بالحاجب والعين • والنمام ناقل الكلام الي الغير • وقد اكثرت الشعراء في ذمهم وخالفهم
ابن رشيق فقال

لو كرم النمام اخواننا • اساء اخواني وما احسنوا •
ان كان نماما فمعكوسه • من غير تكذيب لهم نمام •

وقال الآخر

اسمع نصيحة عارف • جمع النصيحة والمقه •
اياك واحذر ان تكون • من الثقات على ثقه •

وقال آخر

ومجلس ذا اقبن واش يكدره • ومن رقيب له باللوم الممام •
ما فيه شيء سوى الكاس وليس به • من اللذاذات سوى الريحان نمام •

وقال الآخر

لا تقضي في عوارضه • بسبب الناس لوام •
كيف يخفى ما اكابده • والذي اهواه نمام •

قال صلاح الدين الوكيل

إخفيت حبك عن جميع جوانحي • فوشيت عيونى والوشاة عيون •
وودت ان جوانحي وجوارحي • مقل تراَن وما لهن جفون •
ياليت فنينا فى زمان صبابتي • حتى اراه العشق حيث يكون •

الباب الخامس عشر

فى ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب

اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الدنى الاماني • وتب هوى ادق من النسيم العالي • نعم فى العتاب قول رحمه وانا له كرب فلا يكن ام كم عليكم غمه • وهو اقسام عتاب هو فى تأكيد المودة تحصيل الحاصل • وعتاب لتكذيب الناقل • وتمييز الحق من الباطل • ومن المعلوم ان العتاب بين الاحباب اصل وفصل • وقطع ووصل لا بد منه • ولا غنى عنه اللهم الا عند من لا يراه البته • ولا يعاتب الحبيب الا فلته • كالبحتري حيث يقول اعاتب الحب فما جاوا صرم • ثم السلام عليه لا اعاتبه • وفى امثال العرب اسوا الاداب كثرة العتاب • وقال الاحنف العتاب مفتاح التقالى • والعتاب خير من الحقد • وقد قال بشار فى تعليل العتاب •

اذا كنت فى كل الامور معاتبا • صديقك لم يلق الذى لا تعاتبه •
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى • ظمئت واى الناس تصفو مشاربه •

قال سعيد بن حميد الكاتب

اقلل عتابك فالبقا قليل • والدهر يعدل مرة ويميل •
ولعل ايام الحيوة قصيرة • فعلام يكثر عتبنا ويطول •

وقال الاخر

ويحسن العتاب اذا ما رفقت • تباعد هجرا ويدني وصالا •
نعاتب اخاك ولا تجفه • فان لكل مقام مقالا •

ومن اطرف ما سمعته فيمن خفى من الاحباب ثم بادر بالعتاب •

قول بعضهم

عتبت على ولا ذنب لي • بما الذنب فيه ولا شك لك •
وحاذرت لومى وبادرتني • الى اللوم من قبل ان اندرك •
فكان كما قيل فيما مضى • خذ اللص من قبل ان ياخذك •

ومنهم من كره العتاب جملة • ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود والقطيعة •
كما قيل •

لا تفزعن سماع من تهوى بتعداد الذنوب • ما ناقش الأحباب إلا من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يأباه ولا يأباه **كما قيل**

فلا عيش كوصل بعد هجر • ولا شيء ألذ من العتاب

تصالح عاشقان على عتاب • ولو لا ردوا لعاد لهم خطاب

فلا هذا يمل حديث هذا • ولا هذا يمل من الجواب

وقال آخر

وأحسن أيام الهوى يومك الذي • تروع بالهجران فيه وبالعتب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى • فأين حلاوات الرسائل والكتب

كتب الحسن إلى غلام يستعطفه فوقع الغلام في كتابه يزاد هجرا إلى يوم القيمة

فقال الحسن

كتبت إلى الحبيب بيت شعر • أعاتبه فأغضبه عتابي

أجبني يا ملول عن جوابي • فإن النفس تسكن بالجواب

فوقع في الكتاب يزاد هجرا • وإبعادا إلى يوم الحساب

ذكرت هنا قول ابن رشيق

وظبي من بني الكتاب يسبي • قلوب العاشقين بمقلتيه

دفعت إليه أستقضي دينا • وآمله خلاصا من يديه

فوقع قد رددت فؤاد هنا • مسامحه فلا يعدى عليه

وقال الشيخ العلامة أبو الثنا شهاب الدين محمود مضمنا

من قصيدة

وتبنا على حكم الصبابة مطمعي • زفيري وأشجاني وشرب المدامع

وحبي يعاطيني كؤوس رضابه • ويشدني والهم للقلب صادع

أأطمع من ليلى بوصل وإنما • تقطع أعناق الرجال المطامع

فبت كأني ساورتني ضئيلة • من الرقش في أنيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر • وعبر لمن اعتبر • وكيف لا وقد مزج قابله السم بالرضاب • والحق حبيبه بالحباب فأصبح وقد ضاق عليه الحيلة • وشبه ثغر محبوبه بأنياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر • فيا قلبه القاسي أحديدًا نشأ أم حجر • وما أظنه ملأ كأس هذا المدام إلا من كلام أبي تمام حيث تجاوز الحد في الاستعارة • وخرج على كثير من الملام كما

فقال

لا تسقني ماء الملام فإنني • صب قد استعذبت ماء بكائي

فهلا نزه نفسه عن الانخراط في هذا السلك واقتدى بقول ابن سناء الملك

فقال

واملى عنا بالاستطابة فليتني • الملت في نوبتي كي يطول عتابه •

وفي عزلي ذكر العذيب وبارق • وما هو الا ثغره ورضابه •

او تخلق باخلاق الناس وناسى بقول ابي نواس •

اساء فزادته الاساءة حظوة • حبيب على ما كان منه حبيب •

تعد على الواشيان ذنوبه • ومن اين للوجه المليح ذنوب •

على انه رحمه الله • يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر فحينئذ

يكون كلامي حديث خرافة يا ام عمرو • بيت

وكم من عايب قولا صحيحا • وآفته من الفهم السقيم •

واحسن منه قول عبيد الله بن محمد •

كلما اذنب ابدى وجهه • حجة فهو ملي بالحجج •

كيف لا يفرط في اجرامه • من اذا شاء من الذنب خرج •

وقال الحكم بن قنبر المازني •

كانما الشمس في اعطافه لمعت • حسنا او البدر في ازراره طلعا •

مستقبل بالذي اهوى ولو كثرت • منه الاساءة معذور بما صنعا •

في وجهه شافع يمحو اساءته • من القلوب وجيه حيث ما شفعا •

وهو ماخوذ من قول ابي نواس في ساقيه

وجهي اذا اقبلت يشفع لي • وملا طرفك حسن ما خلقني •

وفيه

وفيه زيادة يذكر ما خلقها ولكن • بت الحكم احكم بنا واعذب بنا •

وقال ابو نواس

قل لاحبابنا الجناة علينا • درجونا على احتمال الملال •

احسنوا في فعالكم او اسيئوا • لا عدمناكم على كل حال •

وقال ايضا

الا ايها الجاني ونسأله الرضى • ويا ايها المخطي ونحن نتوب •

ومنه •

لحا الله من يرعاك في القرب وحده • ومن لا يرد الغيب حين يغيب •

وقال اخر

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم • وتذنبون فناتيكم ونعتذر •

وإذا ما عصيت يوماً عليه • لذنوب يطول فيها المقال •
أعطفتني عواطف الحب حتى • يزول الملال •

وقال آخر

حجتي عليك إذا خلوت كثيرة • وإذا حضرت فإنني مخصوم •
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني • والله يعلم أنني مظلوم •

• وقال آخر •

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى • فؤادي ولكن للعتاب مواضع •

وقال ابن المعتز

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً • إن بر عندك فيما قال أو فجرا •
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره • وقد أجلك من يعصيك مستترا •

وقلت أنا من دسائس قرع الباب • وانتظار الجواب • فنعوذ بالله من ذلة العاذل • ونبرأ إليه من التمادي في الباطل • وهذا الحق ليس به خفا • قد عمي من نيات الطريق • فقد حصحص الحق وقرع العتاب حلقة الباب فقال الحق •

بيت

• وهبه ادعوى بعد العنا لم يكن • مودته طبعاً فصارت تكلفا •

عتبة

وكأنني بمولانا وقد وقف على عتبة الباب • وقال من دق الباب • سمع الجواب •
فإن كنتم تلقون في ذاك كلفة • دعوني أمت وحدي ولا تتكلفوا •

فصل في العفو والرضا • والصفح عما مضى • جا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل • أنه الرضا بغير عتاب • وقال الله تعالى • وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذراً صادقاً أو كاذباً لم يرد الحوض • ذنبي إليك عظيم • وأنت أعظم منه • فخذ بحقك أو لا فاصفح بفضلك عنه إن لم أكن في فعالي من الكرام فكن هو

وقال آخر

ما أحسن العفو من القادر • لا سيما عن غير ذي ناصر •
يا غاية القصد وأقصى المنى • وخير مرعى مقلة الناظر •
إن كان لي ذنب ولا ذنب لي • فما له غيرك من غافر •
أعوذ بالود الذي بيننا • أن تفسد الأول بالآخر •

• كان أبو محمد اليزيدي ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة • فعربد • فأمر المأمون بحمله إلى منزله برفق • فلما أفاق •

اسيحيا وانقطع عن الركوب اياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المامون

انا المذنب الخطا والعفو واسع • ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو •

سكرت فابدت منى الراح بعض ما • لرهت وما ان يستوى السكر والصحو •

ولا سيما اذ كنت عند خليفة • وفى مجلس ما ان تجوز به اللغو •

فلما قرأها المامون وقع فى الرقعة صر الينا فقد عفونا عنك •

فلا عتب عليك • وبساط الشراب يطوى معه • اخذه الشاعر

فقال

انما مجلس الشراب بساط • فاذا ما انقضا طوينا بساطه •

وقال ابن سنا الملك • واما ذلك الحبيب فقد خص منتصلا وجاء

متذللا واستجار بحرم الحرمة • وخفض جناح الذل من الرحمة • فاعتذر

بان لا ادلال دلاه بغرور • واوقعه فى امور • واخرجه من الظلمات

الى النور • فقبل عذره وقبل ثغره • وامتثل امره • وثنى عنان

القلب اليه حسن تثنيه • واذهب حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه •

قال آخر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد • جاءت محاسنه بالف شفيع •

وقال آخر

زعمت انى ظالم فهجرتنى • ورميت فى قلبى بسهم نافذ •

ونعم ظلمتك فاغفرى لى زلتى • هذا مقام المستجير العائذ •

• وقال ابن زيدون •

يا قمرا مطلعه المغرب • قد ضاق بى فى حبك المذهب •

الزمتنى الذنب الذى جئته • صدقت فاصفح ايها المذنب •

فان من اغرب ما مر بى • ان عذابى فيك يستعذب •

وقال آخر

وما قابلت عفوك باعتذارى • ولكنى اقول كما يقول •

ساطرق باب عفوك باعتذارى • ويحكم بيننا الخلق الجميل •

الباب الثانى عشر

فى ذكر اغاثة العاشق المسكين • اذا وصلت العظم السكين •

اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس قوة • واعزهم مروة •

وارقهم قلبا • واحسنهم مربا • فمن اصبح بين المحبين قديم هجر •

وهجر واسى وله بكوؤس المحبة الف سكر • لا جرم انه اعان ذوى المحبة

ودان بنفسه من في قلبه من الغرام شغفا لحبه فسعى في اصلاح حاله • وواساه بنفسه وماله • ولله در القايل في هذا المعنى الطايل •

تقف شوقا او مسعدا او حزينا • او معينا او عاذرا او عذولا •

فان كنت خاليا من ذلك كله •

اعني باطماع كذوب على الهوى • اذا لم تقاتل بالجبان فتشجع •

قلت ولا اقل من ذلك يا ابنة مالك • ولله در القايل في ذلك •

لو تعلم الناس من شوقي ومن كلفي • ما بت اعلمه اشتغلوا بميعاد •

واستشفعوا الى الكفى باجمعهم • وجاء عايدهم في ذي فؤاد •

ومن اعجب ما سمعته في غاية العاشق والاخذ بثاره ما حكاه • الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات في الهند عشقا • فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال الخرابطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها • وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا • وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له • فعوتب في ذلك • فقال اني سمعت قول الله تعالى • ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا • افلا احيى الناس جميعا •

وحكى الخرايطي انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين • فكتب الغلام اليها يوما • قال

ولقد رايتك في المنام كانما • عاطيتني من ريق فيك البارد •

وكان كفك في يدي وكاننا • بتنا جميعا في فراش واحد •

فطفقت يومي كله متراقدا • لاراك في نومي ولست براقد •

فاجابته الجارية

خيرا رايت وكلما ابصرته • ستناله مني برغم الحاسد •

اني لارجو ان تكون معانقي • فتبيت مني فوق ثديي ناهد •

واراك بين خلاخلي ودمالجي • واراك بين ترايبي ومجاسدي •

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما واحسن اليهما على شدة غيرته • وقال ابن الفرج ابو الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له

فقال

لعمري اني للمحبين راحم • واني بستر العاشقين حقيق •

ساجمع منكم شمل ود مبدد • واني بما قد ترجوان خليق •

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار • وروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

انه جاءته جارية تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان رضي الله عنه
ما قصتك قالت يا امير المؤمنين احب ابن اخيه فما انفك اراعيه فقال له
عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها له • **أتي** علي بن ابي طالب رضي الله عنه بغلام من العرب
وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال لست بسارق ولكني
اصدقك • **فقال**

تعلقت في دار الرياحي خودة • يذل لها من حسنها الشمس والبدر •
لها من بنات الروم حسن ومنصب • إذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر •
فلما طرقت الدار من حر مهجة • اتيت وفيها من توقدها جمر •
تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا • هو اللص محتوما له القتل والاسر •

فلما سمع علي شعره رق له وقال للمهلب ابن ابي رباح اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين سله من هو لنعرف نسبه فقال
النهاس ابن عيينة العجلي فقال خذها وهي لك • **وحكى**
التميمي في كتابه اقتراح النفوس ان معوية بن ابي سفيان اشترى جارية
من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى • طريرا وسيما بعدما طر شاربه •
فسالها فقالت هو ابن عم لي فردها اليه وفي قلبه منها •
قال الخرابطي ان المهدي خرج الى الحج حتى اذا كان بزبالة جلس يتغدى
فاتى بدوي فنادى يا امير المؤمنين اني عاشق فقال ادخلوه فادخلوه عليه
فقال من عشيقتك قال ابنة عم قال الها اب قال نعم قال فما باله
لا يزوجك اياها قال ههنا شيء قال ما هو قال يا امير المؤمنين اني هجين
والهجين الذي امه ليست عربية فقال له المهدي فما يكون قال هو عندنا
عيب فارسل في طلب ابيها فاتى فقال له هذا ابن اخيك قال نعم
قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من ولد
العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن ما الذي
ضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدي زوجه
اياها على عشرين الف درهم عشرة الاف درهم للعيب وعشرة الاف درهم
مهر ابنتك قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين
فدفعهما اليه **فانشا يقول**

ابتعت ظبية بالغلاء وانما • يعطى الغلاء بمثلها امثالي •

وتركت اسراف القباح لاهلها • ان القباح وان رخصن غوالي •
وعرض خالد بن عبد الله القشيري ذات يوم سجنه فوجد فيه يزيد بن
فلان البجلي فقال له خالد في اي شيء حبست يا يزيد قال في تهمة اصلح الله
الامير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم ايها الامير وكره ان يعرض
بقضيته لئلا يفتضح معشوقته فقال خالد احضروا رجال الحي حتى تقطع
يده بحضرتهم • وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد •

ابيات

اخالد قد اعطيت في الناس رتبة • وما العاشق المسكين فيه بسارق •
اقر بما لم يؤته المرء انه • راى القطع خيرا من فضيحة عاشق •
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه • لالفيت في شان الهوى غير ناطق •
اذا بدرت الرايا للسبق في العلا • فانت ابن عبد الله اول سابق •
فلما قرا خالد الابيات علم صدق قوله فاحضر اولياء الجارية وقال
زوجوا ليزيد فتاتكم فقالوا اما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال
ان لم تزوجوها طائعين لتزوجوها كارهين فزوجوها ونقد خالد
المهر من عنده • وذكر احمد بن فضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا

في كتاب فهويها الغلام ولم يزل يتلطف بمعلمه حتى صير قريبا منها •
فلما كان في بعض الايام في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية •

بيت

ماذا تقولين فيمن شفه سقم • من طول حبك حتى صار حيرانا •
فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته •

بيت

اذا رأينا محبا قد اضر به • طول الصبابة اوليناه احسانا •
فجاء المعلم وكان غائبا فسمع ذلك منهما فاخذ اللوح وكتب •

بيت

صلي العشيقة ولا تخشين من احد • ان العشيق صغير السن ولهانا •
واما الفقيه فما يسطو ذا ابدا • لانه قد بلي بالعشق الوانا •
وذكر الخرائطي عن ابي غسان قال مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية

وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي • متمايسا مثل القضيب الناعم •
فسألها احرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها

فقالت

وانا الذي لعب الغرام بقلبها • قتلت بحب محمد بن القاسم •

فاشتراها من مواليها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال

هؤلاء من الرجال وكم والله قد مات بهن كريم • وعطبن بهن سليم

ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من العاقلات

فقالت ما معنى قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه • وعزة ممطول معنى غريمها •

ما كان هذا الدين قالت وعدته بقبلة ثم رجعت عنها فقالت انجزيها

له وعلي اثمها فانجزت فاعتقت ام البنين اربعين عبدا وقالت

عند الكعبة اللهم اني ابرأ اليك مما قلته لعزة وحدث

محمد بن عبد الله بن ابي مليكة عن ابيه عن جده قال دخل عبد الله بن ابي

عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوار فعشق واحدة منهن

فاشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاووس ومجاهد يعذلونه فكان

جوابه غزلا

يلومونني فيك اقوام اجالسهم • فما ابالي اطار اللوم او وقعا •

فانتهى خبره الى محمد بن جعفر فلم تكن تهمه غيره • فبعث الى سيد الجارية

فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان تطيبها

ففعلت ودخل الناس عليه • فقال لا ارى ابن ابي عمار فاخبر

انه منقطع في منزله لفرط ما به فاتاه عبد الله بن جعفر فلما راه

اراد ان ينهض فاستجلسه وقال ما فعل حب فلانة قال

في اللحم والدم والمخ والعصب والعظام • قال اتعرفها ان رايتها

قال اواعرف غيرها قال فانا قد ضممنا اليك واحدة ما نظر

اليها وامر بها فاخرجت بالحلي والحلل • فقال هي هذه قال نعم بابي

انت وامي قال خذ بيدها قد جعلتها لك ارضيت فقال اي والله

وفوق الرضى • فقال له ابن جعفر لكن والله لا ارضى ان

اعطيكها هكذا يا غلام احمل اليه مائة الف درهم •

الباب السابع عشر

في ذكر دوي علة الجوى

اقول هذا باب عقدناه لذكر ذوي الحب • الذي اعجز اهل الطب •

فهم فيه حيارى • سكارى وما هم بسكارى • على ان الذين اجمعوا

عليه واشار ما اليه وانه لا شفاء هنا الدوا العضال الا بطيب لو صاله •
شل غمز النهدين • وقرع الشفتين • والتصاق الثديين • رايت الحب
ليس له شفاء • سوى وضع الصدود على الصدود • ولا سيما ممن ندت
نهوده • وتوردت خدوده • وعذب مذاقه • وطاب عناقه •

اعانقها والنفس بعد مشوقة • اليها وهل بعد العناق تدانی •
والثم فاها كي تموت حرارتی • فيشتد ما القى من الخفقان •
كان فوادى ليس يشفی غليله • سوى ان يرى الروحين ممتزجان •

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل وشم • ووضع البطون على البطون •
وزهر تذرف العينان منه • واخذ بالمناكب والقرون •

وقال آخر

استقم قلبي ثم لم يبرح • عاقد زنار على خصره •
لا تلتقي روحي مع جسمها • حتى ترى بطني على ظهره •

وقال ابو جعفر العدوى •

لكن الهوى ادوى لعظمي ومفصلي • اذا سكر الندمان من شدة الحمى •

واحسن من مثانی مزح وثغرها • تراجع صوت الثغر يقرع بالثغر

وقال ابو عفان

حدثنا عن بعض اشياخنا • ابو هلال شيخنا عن شريك •
لا تستشفی العاشق مما به • بالبوس والتعنيق حتى ينيك •

قال في الاغاني قال ابو قينا انشدت ابا العير • قول المامون •

ما الحب الا قبلة • او غمز كف او عضد •
من لم يكن ذا حبه • فانما يبقى الولد •
ما الحب الا هكذا • ان نكح الحب فسد •

فقال كذب المامون واكل من خراى وطلبس ودبع بالوزن الموزون واخطأ
ما المرء الا قال كما قلت • باض الحب في قلبي • فوا ويلاه اذا افرخ
وما ينفعني الحب اذا • لم اكبس البرنخ • وان لم يطرح الاصلع • خرقته على المطبخ
ثم قال لي كيف رايت قلت عجبا من العجب قال كنت اظن انك تقول
غير هذا قال بدى وارفعها قلت قول المامون ان نكح الحب فسد •
هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزباني ان اعرابيا قال علقت امراة
كنت اتيها وما اينسنا دبه قط الا اني رايت بياض كفها في ظلمة فلما فوقعت

يدي على يديها فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه ما نكح الحب الا فسد **وحكى** عن بعض
الادبا انه كان يعشق جارية فقالت له انت صحيح الحب كامل الوفا فقال نعم •
قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصلت في منزله لم يكن له همه الا ان دفع ساقها
وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهي في القالب **بيت**

• اسرفت في نيكنا والنيك مصلحه • ارفق بفضلك ان الرفق محمود •

فاجابها وهو في عمله لا يغتر •

ولم انك نيك من تبقى مودته • لكن نيكي هذا فيك مجهود •

فنفرت من تحته وقالت يا فاسق رايك على خلاف ما قلت كانك تجعل جماعي
سببا لذهاب حبك والله ما جمعني انا واياك بعد هذا سقف **وعلى**
هذا جماعه • ان الحب اذا نكح فسد • ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد
وقوع الوطئ • فانه اذا وطئ ازدادت محبته ويسمون سمار **كما قيل**

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا • وصلا يخل على كل اللذاذات •

وقال هدبة بن خشرم •

• فوالله ما يشفي الفواد الهائما • نفث الرقى وعقد التمائما •

• ولا الحديث دون ان يلازما • وتعلق القوائم القوائما •

وقال آخر

• قولا لعاتكة التي • في نظرة قضت الوطر •

• اني اريدك للنكاح • ولا اريدك للقمر •

لو كنت مقتنعا بذاك • لكان هذا للقمر •

كان زهير بن مسكين الدادي يهوى جارية واستهام بها فلما
امكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت فلم ترجع اليه بعد فقال
فيها اشعارا كثيرة • **فمنها** •

• يقول وقد قبلتها الف قبلة • كفاك اما شي لديك سوى القبل •

• فقلت لها حب على القلب حفظه • وطول سهاد تستفيض له المقل •

• فقالت وايم الله ما لذة الفتى • من الحب في قلب يخيل له العمل •

واما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطائي الى انه
لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه في ذلك جماعة
ومنهم من افضى الى معشوقه اقتصر على الترشف والضم والعناق
دون تعرض للنكاح والمانع له من ذلك امران احدهما التورع وعفة
النفس وخوف الوقوع في الكبيرة اذا كان محبوبه مما لا يجوز نكاحه

ولرب لذة ليلة قد نلتها • وحرامها بحلالها مدفوع •

وقال آخر

آباذنون لصب في زيارتكم • فعندكم شهوات القلب والبصر •
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به • عف الضمير ولكن فاسق النظر •

وقال آخر واحسن ما شاء

انس حرائر ما همن بريبة • كظباء مكة صيدهن حرام •
يحسبن من لين الكلام زوانيا • ويصدهن عن الخنا الاسلام •

ومن ذلك ما يرد في هذا المعنى في باب العفاف • والثاني ما قال العلما باسباب الباه • وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبايع الا ان يكون الحب تكلفا لاستفراغ ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع • فوقع فيما تكره المرأة من الرجل كما قيل

رات بحبي سعاد بلا جماع • فقالت حبلنا حبل انقطاع •
اذا المحبوب لم يك ذا قمد • راى المعشوق كالشيء المضاع •

وزعم بعضهم ان من جملة ما يداوى به من لم يفز بالظفر السفر

فقال

اذا ما شئت ان تسلا حبيبا • واكثر دونه عدد الليالي •

وقال الآخر

وقد زعموا ان المحب اذا دنا • يمل وان النأي يشفي من الوجد •
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا • على ان قرب الدار خير من البعد •
على ان قرب الدار ليس بنافع • اذا كان من تهواه ليس بذي ود •

وقال

وقالوا دواء الحب حب تزيله • لاخر او طول التمادي على الهجر •
تداويت من ليلى بليلى في الهوى • كما يتداوى شارب الخمر بالخمر •

وقال حافظ ابو عبد الله ابن البخاري في تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما نقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد • والثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا راى رجلا يلح النظر الى الاحداث قال لهم اقرأ ما على هذا الخاتم فلعله ينتهي • وقال شمس الدين بن الاكفاني في كتاب

غنية اللبيب عند غيبة الطبيب • ما نصه اذا عشق العاشق طبيخ
الحمهل سلى عشقه • وكذلكا النيل اذا شرب منه اربع شعيرات بالماء
قبل ان يتمكن منه العشق • وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات في
اجواف الدجاج اذا دق في ماء وشربه العاشق سلى • وكذلك
ان علق عليه ايضا • وكذلك حجر السكوان ومحكه كاللبن • ومن علق
عليه عظم القلق وهو عاشق سلى وان كان حزينا زال حزنه • ومن كان
عاشقا لذكر فيمرغ في مرغه بغله نال عشقه انتهى **تنبيه** التداوى
بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما • اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه
واما التداوى بالضم والقبلة • فان تحقق الشفا به كان النظر التداوى
بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذلك فان شربه من الكباير وهذا
الفعل من الصغاير **شربة** يستعمل البوس والعناق والشفا •
والرفاق في قاعة وايوان وبركه وشاذروان • وطعام سبعة
الوان ونرجس • وبنفسج وآس • ونسنود وورد وريحان ونسرين • ودن
خندريس • والفرح بنا دس كيس • وجاريه من بنى الاتراك بساق
سمين • وطرف كحيل • يستعمل هذه الحوايج على نطع احمر • ونفس اخضر

وبعد هذا يدخل الحمام نافع مجرب **شربة اخرى** يؤخذ على بركة الله
وعونه ثلث مثاقيل من صافى وصال الحبيب منقاة من عيدان الجفا
وخوف الرقيب وثلث مثاقيل من نوى الاجتماع • منقاة من علك الهجران
والانقطاع • واوقيتين من نوى الاجتماع خالص الود والكتمان • منزوعة
من عيدان الصد والهجران • ويؤخذ عطر الجوز • ولثم الثغور • وضم الخصور
من كل واحد مثقالين • ويؤخذ ماية بوسه ثمانيه محلولة مرضوضة
منها خمسون صغار سكريه • وثلثون زق الحمام • وعشرون عصافريه
ويؤخذ عجن جلبى • وتنجر عراقى • من كل واحد مثقالين • ويؤخذ
اوقيتين من مص اللسان • ولثم الفم مع الوجنتين • ويدق الجميع ويخلط
ويذر عليه ثلثه درام علمه مصر • ويضاف عليه حس الاعكان المطوية •
ويغلى بماء المحبة على شراب الانس • وحطب الطرب في مرجل العجله
ويصف الجميع على مقعد سلطانى • ويحل عليه اوقيتين من شراب الرضا •
ويشرب على الريق ثلثه ايام • ويكون الغدا مزورة • نقطين الاشيانى •
ويضاف اليه لوز العناق • وماء ليمون الاتفاق • ويتناول بعد ذلك
اربع ارطال من المدام ويتبعه برطلين من شيل الساقى • ويدخل الحمام نافع

بعد

سيف قاطع وبرق ساطع

فيما يتعلق بدوى علم الجوى وهو ما حكاه ارباب علم الرياضي في الاعداد
المستجابة وذلك ان في العدد اربعة وثمانين ومائتين يسمى العدد المحب
وصورته بالقلم الطبيعي هذا ٢ ٢ عله وحروف نقطه نطد
وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وهذه صورته
بالقلم الطبيعي له لمه وحروف نقطه طد فعدد مائتين وعشرين يحبه
ابدا عدد مائتين اربعة وثمانين فاذا كان عند انسان فخار او لوح فضة
او ما امكن من المعادن ما يكون وزنه وزنه الثاني من العدد فان الذي عنده
اربعة وثمانين ومائتين يحب الذي عنده مائتين وعشرين فان اردت الاستعطاف
وجذب النفوس فاكتب في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين بالقلم
الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد المائتين
وعشرين فامسك الرقعتين بين نفرين قد تباغضا فانهما يتحابان ولا يكون
بينهما شي ما دامت الرقعتان معهما فان لم يكن ذلك فالق الرقعتين في حق
نظيف واكتب اسم كل واحد منهما او لقبه المشهور وضع الحق في موضع يكثر
عليه فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم انسانا قد ابغض اخر ان يعد

وثمانين حبة رمان حلو وتطعم المبغوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين
حبة من الرمان فانهما يتحابان

ومما يولد المحبة

فيما ذكره بعض الحكماء انه اذا وصلت بين ثوبي المتحابين كل واحد منهما الى عرق
الاخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى حرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد
منهما في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شيء يختلط باجزاء الهوى
فاذا استنشقاه دخل في الخياشم ووصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه
كسريان النوم في حرم القلب ووصل بعضه الى الرية ثم الى القلب فيدب الى
العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بين هذا ما تحلل من بين
هذا فيصير منهما فيتولد العشق ويتاكد المحبة قال الشيخ العلامة
مغلطاي وهذا الذي اميل الله ويوشك ان تدوم وتثبت ولا يغير
من الليالي وعند الامتحان يكرم المرء ويهان انتهى كلامه حكاية
اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا
يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من
استاجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من اضعف الاقوال لان
القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى

ولهن مثل الذي عليهن فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها
على الزوج بنص القران وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف
ومن ضد المعروف ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته
او تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة
واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه ردا عليه
وقالت طائفة يجب عليه وطؤها مرة واحدة في العمر ليستقر لها
بذلك الصداق وهذا من جنس القول وقالت طائفة يجب عليه
ان يطاها في كل اربعة اشهر وخير المرأة بعد ذلك ان شاءت
تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق الوطء اكثر من ذلك
لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة وهذا امثل من القولين
الاولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطاها بالمعروف
كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه
ان يشبعها وطئا اذا امكنه كما عليه ان يشبعها قوتا وكان ابن التيمية
يرجح هذا القول ويختاره وقال تلميذه ابن قيم الجوزية
وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه

وعلق عليه الاجر وجعله صدقة لفاعله وفي بضع احدكم صدقة
ففي هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول الاجر وجعله صدقة
لفاعله فقال وفي بضع احدكم صدقة وفرح النفس وذهاب افكارها
الردية عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة
الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الردية فان
صادف ذلك وجها حسنا وخلقا حسنا وعشقا وافرا ورغبة
تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء ولا سيما
اذا وافقت كمالها فانها لا تكمل حتى ياخذ كل جزء من البدن بقسطه
من اللذة فتلذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف
بشم رايحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف على جارحة تطلبه
من لذاتها وتقابله المحبوب بنظيره فان فقد من ذلك شيئا
لم تزل النفس متطلعة الى متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك
تسمى المراة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على
جماع الليل ولسبب آخر طبيعي وهو ان الليل تبرد فيه الحواس
وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات بدليل قوله تعالى

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا
وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلوته • اللهم قوّم لي ذكري
فان فيه صلاحا لاهلي • وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد
اذا غشي اهله يقول اللهم شدّ لي اصله • وارفع لي صدره • وسهّل علي
مدخله • ومخرجه • وارزقني لذته • وهب لي ذرية صالحة تقاتل
في سبيلك • وقال وكان جهوريا يسمع ذلك منه • وقال علي بن عاصم
حدثنا خالد الحذاء • قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وخلق
حواء • قال يا آدم اسكن الى زوجك • فقالت حوا يا آدم ما اطيب
هذا • زدنا منه • والله اعلم •

الباب الثامن عشر

في تعنت المعشوق على الصب المشوق

وغير ذلك من اقسام الهجر • وصبر العاشق فيه على الجمر • اقول
هذا باب عقدناه لذكر التجني • وقول المحب اليك عني • فهو باب
لمن مر به حلو المذاق • عطر الخلاق بالانفاق • لا يعرف طعمه
الا من ذاقه • وعرف وصل الحبيب وفراقه • فلم تزل العشاق تستحلي

تستحلي تجني الحبيب ويقول ضرب الحبيب زبيب • شرط المحبة عند ارباب الهوى •
ان المليح على التجني يعشق • لا يصدهم صد • ولا يقفون من سيوف
اللحظ عند حد • وكم رأوا جور الحبيب عدلا • وقالوا الحزن اذا
اقبل اهلا وسهلا • لا يأخذهم فيه لومة لائم • ولا يعدون جور
بارد للظلم من المظالم • من لم يذق طعم الحبيب كظلمه •
حلوا فقد جهل المحبة وادعا • والعلم المشهور في هذا الباب •
قول علية بنت المهدي

جبل الحب على الجور فلو • انصف المحبوب فيه لسمج •
ليس يستحسن في شرع الهوى • عاشق يحسن تأليف الحجج •

كأنها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف •

واحسن ايام الهوى يومك الذي • تروع بالهجران فيه وبالعتب •
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى • فاين حلاوات الرسائل والكتب •

وقد زاد النميري على هذا حيث قال •

راحتي في مقالة العذال • وشفاي لقولهم لا ابالي •
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب • لصب الا بخمس خصال •

بسماع الأذى وعذل نصيح • وعتاب وكاشح وقال •

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا يحركه • عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع •
لو كان لي الصبر منها أو عندها جزع • لكنت أملك ما آتي وما أدع •

ومن أبلغ ما قيل في عتب الأحباب قول بعض الأعراب •

شكوت فقالت كل هذا تبرما • بحبي أراح الله قلبك من حبي •
فلما كتمت الوجد قالت تعتبا • صبرت وما هذا بفعل شجي القلب •
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا • رضاها فتعتد التباعد من ذنبي •
فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها • وتجزع من بعدي وتنفر من قربي •
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها • أشيروا بها واستوجبوا الأجر من ربي •

وقد قسموا الهجر على أربعة أقسام فقالوا هو هجر دلال • وهجر ملال • وهجر مكافاة على الذنب • وهجر يوجبه البغض المتمكن في القلب • فأما هجر الدلال • فهو ألذ من الوصال • وعليه عقدت هذا الباب •

وقال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة • فتطاردي لي بالوصال قليلا •

وقال المتنبي

هذا الشراب أخو الحياة وما له • من لذة حتى يصيب عليلا •
وأحوالي الهوى ما شك في الوصل • وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي •

وقال أيضا

زيدي أذى مهجتي أزدك هوى • فأجهل الناس عاشق حاقد •

وقال آخر

ويدل هجركم على • أني خطرت ببالكم •

وقال الرضي

لئن ساءني أن تأتني بمساءة • فقد سرني أني خطرت ببالك •

ويستحب لمن وسم بالجمال • وأخذ بقلوب النساء والرجال • أن يكون كثير التدلل • قليل التبذل • فإن ذلك أدعى بالسلامة • وأبعد في الملام • وقد قال وكيع

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا • فقلت هيهات عنكم غاب طيبه •
لو جاد هان فقلل الجود عادته • وإنما عز لما عز مطلبه •

فإذا تبذل وأجاب كل من دعاه • صار عرضة للظنون • لأن النفس الحرة تنفك من غيره • وقد قال العباس بن الأحنف •

يا قوم لم أهجركم لملالة • مني ولا لمقال واش حاسد •

لكننى جربتكم فوجدتكم • لا تصبرون على طعام واحد • واما
بحر الملال فيعيطه مرور الايام والليالى • اما بتنائى الدار او بطول
الاختيار • يحكى ان معيم الهاشمية لما اشتريها على بن هشام حظيت
عنده واحبها حبا شديدا • فاتفق انها غضبت عليه فى وقت وتمادت فى
غضبها • فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال •
ورب هجر دعا الى صبر • وانما سمى القلب قلبا لتقلبه وقد صدق قول

العباس بن الاحنف

ما داى الاساهجر من ليس • يرانى اقوى على الهجران •
ملنى واثقا بحسن اخاء • ما اضر الوفا بالانسان •

فلما قرات الرقعة خرجت اليه فى وقتها ورضيت • واما الهجر الذى
يتولد على الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولا
ولا سيما اذا كان المحبوب ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء •
تنغى الله فى المحب وقد افلح • من كان همته الاتقاء •
واما الهجر الذى يوجب البغض الطبيعى فهو الذى لا دواء له • قال
الحضرمى وهذا لا يتفح بين ذوى الاخلاص وذوى الاختصاص •

اذ حقيقة المشاكلة تمنعه • وصحة المناسبة تدفعه • والذى اقوله ايضا ان
هذا الذى مرضه من لا يمكن علاجه • ولا يعذب حاجه • فالمحبوب فيه
لا يلام • ومحبه لمن يرقص فى الظلام • ويسلم على من لا يرد عليه السلام •
احبابه لا يفعلون بقلبه • ما ليس تفعله به اعداؤه • اما الاحالى •

فقال

احبابنا لم تبرحون بهجركم • فوادا يبيت الدهر بالهم مكمدا •
اذا دمتم قتلى وانتم احبتى • فلا فرق ما بين الاحبة والعدا •

وقال آخر

يطالبنى قلبى بكم كل ليلة • اذا افلس المديون لج المطالب •
واشقا قكم شوق الذى مسه الظما • وقد منعت ظلما عليه المشارب •
اذا دمتم قتلى وانتم احبته • اذا فالاعادى واحد والحبايب •

الباب التاسع عشر
فى ذكر الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب

يقول

دعوت على الحبيب بعشق ظبى • يقاسى منه انواع الجفاء •

فواصله وبالغ في صدودي • فكان اذا على نفسي دعائي •

اقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول نفسه • واذا دان يدعو على محبوبه فدعا على نفسه • فهو يشتهي ويشتكي ويشتفي • ويبكي لا يبتت على حال • ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضي والحال • فبينا هو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه • وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه • فمن احسن ما قيل في الدعا على المحبوب قول بلديّنا محمد بن العفيف التلمساني رحم الله شبابه • وجعل من الرحيق المختوم شرابه •

الابيات

اعز الله انصار العيون • وخلد ملك هاتيك الجفون •

وضاعف بالفتور لها اقتدارا • وان تك اضعفت عقلي وديني •

وصان حجاب هاتيك الثنايا • وان ثنت الفؤاد الى الشجون •

واسبغ ظل ذاك الشعر يوما • على قد به هيف الغصون •

وخلد دولة الاعطاف فينا • وان جارت على قلب الطعين •

وقوله ايضا •

ادام الله ايام الوصال • وخلد عمر هاتيك الليالي •

واسبغ ظل اغصان التداني • وزاد قدودها حسن اعتدال •

ولا زالت ثمار الانس فيها • تبيد لطافة في كل حال •

ولا برحت لنا فيها عيون • تغازل مقلتي حيث الغزال •

وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي •

ادام الله ايام العناد • وبارك في لياليه القصاد •

واغنى الله روضة كل خد • اذا استحييت من الدم الفراد •

ولا زالت مباسم كل ثغر • بسام برقها ذات اقتدار •

ولا برحت على العشاق تصفوا • ثياب لعاد في خلع العذار •

وقال ابن ابي الحديد •

لا عانقت كل البرية كلها • الا يد اليمنى وبند قباكا •

كلا ولا رشفت رضابك بعدها • الا الاعارة او يكون نفاكا •

وقال آخر واحسن

يا رب ان قدرته لقبل • غيري فللمسواك او للاكوس •

واذا قضيت لنا بصحبة ثالث • يا رب فليك شمعة في المجلس •

واذا حكمت لنا بعين مراقب • يا رب فليك من عيون النرجس •

ومن احسن ما قيل في الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن عاصم

والله ما ادعوا على هاجري • الا بان يمتحن بالعشق •
حتى يرى مقدار ما تم جرى • منه وما قد تم لي في حقي •

وقول الآخر

يا ذا الذي كل يوم • يزيد عقلي خبالا •
ولهفتي فيه حيرى • اعاد رشدي ضلالا •
ادعوا عليك وقلبي • يقول يارب لا لا •

وقول الاخر

ايها المعرض صفحا • عن خطابي وجوابي •
لا اراك الله عمري • او يريني بك ما بي •
رب فاجعله دعاء • خائبا غير مجاب •
رق قلبي ان يرى • قلبك في مثل عذابي •

وقول الاخر

فقلت لانت حبي • اراك في العشق مثلي •
وقلت في السر منه • يارب لا تستجب لي •

وقول الاخر

يارب ان لم يكن في وصله طمع • ولم يكن فرج من طول جفوته •
فاشف السقام الذي في طرف مقلته • واستر ملاحة خديه بلحيته •

وقال آخر

كم جفاني فرحت ادعوا عليه • فتوقفت ثم ناديت داهل •
لا شفى الله طرفه من سقام • واراني عذاره وهو سايل •

ابن سينا الملك •

اسرك طول اسري في يديه • فتغضب اذا اسر لطول اسري •
سالت الله ان تبلى بعشق • فاصبح عاشقا لهجري •

ابن وكيل

ان كنت تعلم ما بي • وانت لا تبالي • فصار قلبك قلبي • وصرت في مثل حالي •
بل عشت في طول عيش • تغذيك نعمى وما لي • دعوت اذ ضاق صدري • عليك لم يبد لي •

وقوله ايضا • نعم غالطني فهما • جاءني يسأل عما علما •
مقسم ما بلغته علتي • كاذب الله فيما زعما •
كيف لا يبلغه علم سقمي • وهو المهدي الى السقما •

ذوق المظلوم منا رحمة • ثم لا ادعو على من ظلما •

وقال بن منقذ

يا ظالما يعرض عني اذا • دعوت غضبانا على ظالمي •
اظنه انت والا فلم • تخشى دعائي دون ذا العالم •
يا رب لا تسمعه فيه وان • كان دعاء المغرم الهائم •

وقول الاخر

قلت ومحبوبي وقد مر بي • محبوبه كالقمر الساري •
هذا الذي ياخذ لي طرفه • من طرفك الوسنان بالساري •

وقول الاخر

ولما بدا لي انه غير رايدي • وان هواه ليس عني بمنجلي •
تمنيت ان يهوى ويجني لعله • يذوق مرارات الهوى فيرق لي •

الباب العشرون

في ذكر الخضوع وانسكاب الدموع اقول

هذا باب عقدناه لذكر من اصبح دمعه مسكوبا بمسكوب وبات وهو في جريانه انبوبا على انبوب • ولا سيما اذا تمارى من محبوبه الهجر

وكان عليه بعض الحجر • هنالك ينال من انسكاب عبرته العبر • وينشد اذا عزم الخليط على السفر •

قول من عبر

ومفارق سكن القلوب • ولا خلت منه الربوع •
بعث الرسول وقال لي • وانا السميع له المطيع •
بالله قل لي ما جرى • بعدي فقلت له الدموع •

قول الاخر

قال لي من احب والبين قد • جد وفي مهجتي لهيب الحريق •
ما الذي في الطريق تصنع بي • قلت ابكي عليك طول الطريق •

وما احسن قول الفاضل

قد استخدمت بالافكار سري • وما اطلقت لي بالوصل اجرم •
ولم ار على الايام الا • عقدت مودة وحللت صرم •
ولا استمطرت سحب العين الا • وصرت بادمعي في الشمس عصم •

وقوله

وهو نثر الذي اصبح بين النجوم نثره • فيصبر حتى تجلى هذه الغمم • وتقلع هذه السكر • وتجف منها ذيل الجفون فانها صارت بالدموع عصره •

نقاتل الله البين ما اكثر فضوله بدخوله بين المحبين • وفي هذا المعنى
الباهر قول ابن عبد الظاهر • رباعي

لا تسألني عن اول العشق كنا • فيه قديم وجد وهجر وهجره •
من دموعي ومن جبينك ارخت • غرامي بمستهل وغره •

ومن معاني المتنبي الغريبة •

أتراها لكثرة العشاق • تحسب الدمع خلقة في المآقي •

وقال •

لا تعذل المشتاق في اشواقه • حتى يكون حشاك في احشائه •
ان القتيل مضرجا بدموعه • مثل القتيل مضرجا بدمائه •

وقوله ايضا

وهبت السلو لمن لامني • وبت من الشوق في شاغل •
كأن الجفون في مقلتي • ثياب شققن على ثاكل •

وقال آخر

شقت عليه يد الاسى • ثوب الدموع الى الذيول •

وقال ايضا

ولا انس لا انس ذاك الخضوع • وفيض الدموع وغمز اليد •
وخدا مضافا الى خدها • فياما الى الصبح لم نرقد •

وقال معمار

وبي غضبان لا يرضيه الا • دموع ساكبات مستمره •
فما عطفت معاطفه بوصل • وفي عيني بعد الهجر قطره •

وقال آخر

وقائله ما بال عينك مذ رات • محاسن هذا الشخص دمعها هطل •
وقلت زنت عيني بنظرة طلعة • فحق لها من فيض دمعها غسل •

وقال السري الرفاء •

بروحي من رد التحية ضاحكا • يجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي •
وحالت دموع العين بيني وبينه • كأن دموع العين تعشقه معي •

وقال ابن الوكيع

وسحاب اذا تما الماء فيه • الهب الرعد في حشاه البروقا •
مثل ماء العين لم يجر الا • طل يذكي عن القلوب الحريقا •

وقلت من قصيدة حجازية

خليلي روض الرقمتين طوارن • اذا لمع البرق الحجازي مذهب •
فلا تعجبا من سحب دمعي ان همت • فما كل برق لاح للعين خلب •

وقلت ايضا مزجازيه

جفني القريح على الخدين قد وكفا • فحسبه ما جرى من دمعه وكفا •
لا تعجبوا من فؤاد دمعي غداة جرى • من عينه ما جرى فالبحر فيه دفا •
ما زلت ابكي على واد العقيق الى • ان قيل هذاك من عينيه قد عفا

وقلت ايضا

بكيت على ارض بها كنت ماشيا • فاشبهت في دمعي على صخرها الحنا •
تجريت يا دمعي فلم تجر دائما • فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما قسا •

وقلت ايضا

ان عيني على العقيق اذا لم • تحك دمعي بلونه حمراء •

وقلت ايضا •

لان فرت عيني بجري دموعها • فتغري الذي اهوى كما قيل بارد •
وان حل طرفي بالدموع وكاه • فهذا الذي حلت بقلبي عقائد •

وقلت من قصيدة

سقيت بحر الدمع بادرا رضها • وارسلته فيها على حين فترة •
فيا طرف ان لم تسعف القلب بالبكا • قطعت حبال الدمع من حيث فمتي •

وقلت

حالفت فيك معنفا ونصيحا • واطعت جفنا بالدموع قريحا •
فاعمل لقتلي محضرا فمدامعي • كتبت لقتلي بالدماء مشروحا •
صبت على سفح المقطم دمعه • تجري العيون به دما مسفوحا •
لو شاهدت عيناك احمر دمعه • زكيت شاهد قلبه المجروحا •

وقلت

الطرف من فقد الكرى يشكو الاسى اليه • والخد من فرط البكا ماما جرى عليه •
كان المسعودي شارح المقامات رحمه الله كثيرا ما ينشد هذه
قالت عهدت تبكي دما حذار النوى • فلم تعوضت عنها بعد الدما بماء •
فقلت ما ذاك مني لسلو وعزاء • لكن دموعي شابت من طول عمر بكاء •

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك ابيضا • فقلت لها يا علو هذا الذي بقا •
الم تعلمي ان البكا طال عمره • فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي •

وعما قليل لا دموعي ولا دمي • ترين ولكن لوعتي وتحرقي •

وقال آخر

وقايلة ما بال دمعك اسودا • وقد كان مبيضا وانت نحيل •

فقلت لها جفت دموعي من البكا • وهذا سواد العين فهو يسيل •

وقال آخر

كانت دموعي حمرا بين بينهم • فمذ نأوا قصرتها بعدهم حرقي •

تلطفت باللحظ وردا من خدودهم • فاستقطر الكبر ما الورد من حدقي •

الناشي الاكبر •

بكت للفراق وقد راعني • بكاء الحبيب لفقد الديار •

كأن الدموع على خدها • بقية طل على جلنار •

• الباب الحادي والعشرون

في الوعد والاماني وما فيهما من راحة المعاني

اقول هذا باب عقدناه لذكر الاماني • التي لابد منها ولا غنا عنها •

فكم اقول منها اعلل بالمنى قلبي • لعلي اروح بالاماني الهم عني •

واعلم ان وصلي لا يرتجى ولكن لا اقل من التمني • ولم تزل المحبون يعللون

بالاماني نفوسهم • ويتنازعون براح راجيها كووسهم • فمنهم من فاز بالامنية قبل حلول المنيه • ومنهم من مات باعظم غصه • وما وقع له الحبيب على قصه

من نال من دنياه امنيه • اسقطه الايام منها الالف • وهذا النوع الاخير هو الاكثر • والقسيم به من المحبين جم غفير • من كان من غمره وهمومه دوض الاماني لم يزل منزولا • نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد • بعيدا من لقاء الردا على ميعاد • يصدق قول الحبيب ويكذبه • ويمحنه ويجربه •

ويقول

مازلت منتظرا لوعدك بالهنا • في البيت منتظر القرع الباب •

يا كاذبا في وعده بلسانه • من لي بعض لسانك الكذاب •

طالما ايس من وعد المحبوب • وتمسك في وقت ميثاقه بمواعيد عرقوب •

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد واخلف واصل المثل المذكور ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيا فقال له عرقوب اذا اطلع نخلي • فلما اطلع قال اذا ابلح • فلما ابلح قال اذا زهي • فلما ازهى قال اذا رطب • فلما ارطب قال اذا صار تمرا • اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيا • فضرب به المثل

في خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب وقال السماه

وواعدتني ما لا احاول نفعه • مواعيد عرقوب اخاه سترب •

وقال اخر

وعدت وكان الخلف منك سجية • مواعيد عرقوب اخاه بيترب •

ابن الحجاج

• فديت من لقيني مثل ما • لقيته والحق لا يغضب •

• فقلت يا عرقوب اطمعتني • فقال لم نفسك يا اشعب •

وقلت من قصيدة

• تهددني بالهجر في كل ليلة • اصدق فيها وصله واكذب •

• ولما وردنا ماء مدين قال لي • وحق شعيب انت في الحب اشعب •

والناس في الاماني على قولين • فمنهم من يرى راحة قلبه وتنفيس كربه •

فيريح بها النفس ويتعلق من حبالها بحبال الشمس • ومنهم من يقول

ليس الترجي مما يجدي • فيرى الاماني من الخداع • والوقوع في النزاع •

ولكل من القولين حجه • ومذهب سلوك المحجه • ومن احسن ما سمعته

من قول الاول • قول بعض بني الحارث

اتاني من سعدى حسا انا كانما • سقتنا بها سعدى على ظماء بردا •

منى ان تكن حقا تكن احسن المنا • والا فقد عشنا بها زمنا رغدا •

وقال

ولما حللنا منزلا طله الندا • انيقا وبستانا من النور حاليا •

اجد لنا طيب المكان وحسنه • منا فتمنينا فكنت الامانيا •

وقال التمني حلم المستيقظ • وسلوة المحروم • وقال عنترة
(الا افلاطون)

التمني رفيق موحش • ان يتركك فقد اهلكك • وقيل لاعرابي

ما امتع لذات الدنيا • فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق •

واماني تقطع ايامك • وقال القاضي الفاضل واحسن ما شاء •

وقد وجدت ريح كتبه • وروح قربه • فرجعنا الى العادة

وعادت ايامنا • وصرنا الى الحسنى • ورق كلامنا • وعاودتنا

المنى • وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلاامنى • اتمنى تلك الليالي

المنيرات • وجهد المحب ان يتمنى • وقال ياقوت الرومي •

• لله ايام نقضت بكم • ما كان احلاها واهناها •

• مرت فلم يبق لنا بعدها • شيء سوى ان نتمناها •

فتح الدين رشيد الناس

يا صبوا الى البان بانت عنه ها جرتي • تعللا بليالي وصلها فيه •
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب • لم يبق من طيبه الا تمنيه •

وقال العفيف اسحق كاتب الانشاء •

لولا مواعيدا ما لا عيش بها • لمت يا اهل هذا الحي من زمن •
وانما طرف امالي به مرح • تجري بوعد الاماني مطلق الرسن •

وقال ابن خفاجه •

ليل اذا ما قلت قد بان وانقضى • تكشف عن وعد من الظن كاذب •
ولا انس الا ان اضاحك ساعة • تغور الاماني في وجوه المطالب •

وقال آخر

سحت الدياجي فيه سود ذوايب • لاعتنق الامال بيض الترايب •

وقال اخر

في المنى راحة وان عللتنا • من هواها ببعض ما لا يكون •

وقلت

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرًا • لولا تلا فيه قلبي في الهوى تلفا •

كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما • ارى لذا غرامي في هواه شفا •

وقال ابن زدين

رشس حتى لوا حظي في ذلك الروض نظيري •
ولا كلفك بالمنى • ولا سرهنك التضميري •

وقال اخر

وشادن قلت له هل لك في المنادمه • فقال كم من عاشق سفكت في المنادمه •

وقال آخر

عللني بوعد وامطلي ما حييت به • ودعني افوز منك بنجوى يطلبه
فعسى يعثر الزمان بحظي فينتبه وقال ابن الركاب الخازني

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى • ما تعديته ولو بالمنون •
اشتهي ان اجل في كل طرف • لا اراه بحظ كل العيون •

قال ابن زيدون

اما مني قلبي فانت جميعه • يا ليتني اصبحت بعض مناك •
يدني مزارك حين شط به النوى • وهم اكاد به اقبل فاك •

حسن ضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى • خلت انى وما اراك اراكا •
واذا ما تنفس النرجس الغض • توهمته نسيم شذاكا •
خدع للمنى تعللنى فيك • باشراق ذا وبهجة ذاكا •

وما احتج به ارباب قول الثانى

واكثر افعال الغوانى اساءة • واكثر ما يلقى الامانى كواذبا •

وقال الخالدى

ولا تكن عبد المنى فالمنى • رؤس اموال المفاليس •

وقال شرف الدين القيروانى

عكف تمنوا فى البيوت امانيا • وجميع اعمار اللئام امانى •

وقال ابن المعتز •

لا تأسفن من الدنيا على امل • فليس باقية الا مثل ماضيه •

وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه • تجنبوا المنى • فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رايت كانى اسبح فى غير ماء والطير بغير جناح فقال له رجل تكثر الامانى وحكى ان الحجاج مر ذات ليلة • بركاز لبان • وعنده تستوقة فيها

لبن وهو يقول متمنيا انا ابيع هذا اللبن بكذا وكذا ويكثر مالى واحسن واخطب بنت الحجاج وا تزوجها فتلد لى ابنا فادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر التستوقة وتبدد اللبن • فقرع الحجاج الباب • ففتح له وضربه خمسين سوطا • وقال اليس رفست ابنتى هكذا لفجعتنى فيها • وقال على بن عبيده • الامانى تخايل الجهل غيرة الامانى تخدعك • وعند الحقايق تدعك • انفق ان الزكى عبد الرحمن حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى الحماه • فانشد •

قال

متى اراك ومن تهوى وانت كما • تهوى على رغمهم روحين فى بدن •
هناك انشد والامال حاضرة • هنيت بالملك والاحباب والوطن •

نوعده اذا تملك حماه ان يعطيه الف دينار فلما ملكها قال

مولاى هذا الملك قد نلته • برغم مخلوق من الخالق •
والدهر منقاد لمشيته • فنا اوان الوعد الصادق •

فدفع له بالف دينار فاقام معه ولزمته اسفار فانفق فيها المال الذى اعطاه ولم يحصل من زيادة عليه فقال

ذاك الذي اعطوه لي جملة • قد استردوه قليلا قليلا •
فليت لم يعطوا ولم ياخذوا • وحسبنا الله ونعم الوكيل •
فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من ديوان ادركان انزله بها فقال

ما تخرجني من كسر بيت مهدم • ولي فيك من حسن الثنا بيوت •
فان عشت لم اعدم مكانا يضمني • وانت تدري ذكر من سيموت •

فحبسه المظفر فقال له ما ذنبي اليك • قال حسبي الله ونعم الوكيل •
فامر بخنقه فلما احس بذلك قال

اعطيتني الالف تعظيما وتكرمة • ياليت شعري لم اعطيتني ديتي •

قلت وقد غيب على السلطان حقد عليه لاجل قوله حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم • فكان حاله كما قيل •

فكنت كالمتمني ان يرى فلقا • من الصباح فلما ان راه عمي •

قال آخر

ربما يرجوا الفتى نفع فتى • خوفه اولى به من امله •
رب من يرجوا به دفع الاذى • سوف ياتيك الاذى من قبله •

قال ابن سنا الملك من رسالة الى محبوب •

وانت الذي تفضني من بين ورفضني من ماله • وانت الذي فضلتني قبل ان استكمل الوصل من حمله وفصاله • وانت الذي اخلفتني ما وعدتني • واسمتني من

لعل عينا اصابتنا فلا نظرت • واشيا قال فيما بيننا كذبا •
لعل عتبك محمود عواقبه • فربما صحت الاجسام بالعلل •
لعل الرضا منكم وكيف بناله • يسر فوادا ساءه منكم الهجر •
لعل صدى في النفس وي اوامه • وجمر جوى في القلب تخمد ناره •
لعل عاطفة تدني الي امل • قلبا تحير بين الياس والطمع •
لعل عين الرضا ممن كلفت به • يوما تبهرج ما قالته حسادي •
لعل زمانا قد تولى سينثني • الينا وقلبا قد قسا سيلين •
لعل ذيول العفو والعفو واسع • يجرها العافي على مفرق الذنب •
لعل سلوا للفواد يعوده • وذا غلط حاشا فوادي ان يسلو •
لعل وما تغني لعل وانها • غلالة صب واستراحة هايم •
ولا اقل من التعلل بلعل وما • اقل غناها واكثر عناها •

الباب الثاني والعشرون
في الرضا من المحبوب باليسير مطلوب

كان فيك يلوم

اقول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع والعاشق القنوع
ممن يقنع بالحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة
في العام فهو بالرضى منه بالنور اليسير كما قيل اقول قليلك لا يقال له
قليل انا راض بأيسر شيء يرتضيه من عاشق معشوق
وقال بسلام على الطريق اذا ما جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال المعري

لا قال في العام الذي ولا ولم يسلك الا قبلة في القبائل
ان البخيل اذا امتد له المدى في الجود هان عليه بذل النائل
وقال جميل اقلب طرفي في السماء لعله يوافق طرفي طرفها حين تنظر

وقال ايضا

واني لأرضى من بثينة بالذي لو استيقن الواشي لقر بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي اواخره لا نلتقي واوائله
قلت انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع
من بثينة هل احبابه بالتوسل واكتفى باللمح من خلل الاستار والكلل

ومن هذا النوع المبتكر قول ابن المعتز وقال
الست ترى النجم الذي هو طالع عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع
والعلم المشهور في هذا البناء قول بعض الاعراب
أليس الليل يجمع ام عمرو وايانا فذاك بنا تدان
نعم وارى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علان
كان الشيخ اثير الدين ابو حيان يقول عن صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع

رباعي

الى الطائر النسر انظري كل ليلة فاني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده فيشكوا جميعا من نحن الضمائر

وقال بعض الاعراب

وما نلت منها وصلة غير انني اذا هي بالت بلت حيث تبول
ذكرت هنا ما حكى عن بعضهم انه رأى امرأة حسنا في طائف فاحبها
ولازم المقام ببابها والمرور تحت الطاقة الى ان اعيا وقل صبره وحصل
على الياس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه بصحفة وقالت

دعي سيدتك بثوب هذه فبالت له في الصحفه • وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم يزل الى ان دخل بعض الخرب فوضع ايره في ذلك البول • وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم كل المرق • حكى ابن الجوزي في كتاب الاذكيا • ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام اريد ان تكون في ضيافتي فقال له سليمن انا وحدي فقال بل وانا العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك وصعد الهدهد الجو فصاد جراده فخنقها ورمى بها البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا

اخذ بعضهم هذا المعنى • فقال •

وكن قنوعا فقد جرى مثل • ان فاتك اللحم فاشرب المرقه •

الباب الثالث والعشرون

في اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح

اقول هذا باب عقدناه لذكر من افرط بالعشاق • اذا التفت الساق بالساق • فاصبح هو ومحبوبه كالشي الواحد في راي العين • حتى عند الاحول الذي يرى الشي شيئين • وذلك لفرط المحبة التي لا ينتفي •

فلبث صاحبها بالوصال • ولا ينقطع حول دموعه بالاتصال • كما قيل

• قال ابن الرومي •

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له • من شدة الحب قد ابعدت فاقترب •

وقال آخر

اعانقه والنفس بعد مشوقة • اليه وهل بعد العناق تداني •
والثم فاه كي تموت حرارتي • فيشتد ما القى من الهيمان •
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى • ليشفيه ما ترشف الشفتان •
كان فؤادي ليس يشفي غليله • سوى ان يلتقي الروحان يلتقيان •

• وقال آخر •

سريت اليه والظلام كانه • صريع كرى والنجم في الافق شاهد •
فلو ان روحي مازجت روحه • لقلت اذن مني ايها المتباعد •

ابو الحسن يونس

ثم اعتنقنا فصرنا معا • في ظلمة الليل ونور العتاب •
جسمين صارا في الهوى واحدا • كشكلتين اختلطا في الكتاب •

• وقال خالد الكاتب •

كأنني عانقت ريحانة • تنفست في ليلها البارد •

فلو ترانا في قميص الدجى • حسبتنا في جسد واحد •

ومن النقطوتيه النحوي

ولما التقينا بعد بعد بمجلس • تغازل فيه اعين النرجس الغض •

جعلت اعتمادي ضمه واعتناقه • فلم نفترق حتى توهمته بعض •

وما احسن قول ابي بكر الاربلي •

هم الرقيب ليسعى في تفرقنا • ليلا وقد بات من اهواه معتنقي •

عانقته فاتخذنا والرقيب يرى • فمذ رأى واحدا ولى على حنق •

سيف الدين المشد

ولما زار من اهواه ليلا • وحققنا ان لم بنا مراقب •

تعانقنا لاخفيه قصرنا • كانا واحد في عقد كاتب •

وقال آخر

توهم واشينا بليل مزاره • فهم ليسعى بيننا بالتباعد •

فعانقته حتى اتحذنا تعانقا • فلما اتانا ما رأى غير واحد •

وقال ايضا

وقال قاضي القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين مسكه مسكة اعمى وقال ابوا الفضل

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا • ونحن نحكي عناقا شكل تنوين •

نصرتنا ذا علقت كفي حبايلكم • بسهم هجرك نهي ثم تنوين •

ومثله هذا القول في عدم السلامة • وتوجيه الملامة • قول ابن

لبرجنيا الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكرة • نبدت في سادي ثم وسدته يدي •

وبتنا بجسم واحد من عناقنا • والا كحرف في الكلام مشدد •

لو قال كحرف في النظام • لما وقع في الملام لأن الحرف المشدد في اللفظ معد عند العروضيين بحرفين • واما في الخط فلا فعلى هذا لا يتم له ما اراد ولو جعل ثيابا عدم المحبوب كالوساد ولا عذر له لأن الوزن ساعده واعانه على تحصيل هذه القافية قال بعض شعراء الذخيرة •

بتنا وراء الحجاب يلحفنا • برد وفاء والشمل مشتمل •

اثنان من شدة التعانق وقد • صار كفرد بالروح يتصل •

لو ان غيث السماء يمطرنا • لو يصب الارض تحتنا بلل •

قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن جهم في سفينة • ونحن غير متعارفين

فتذاكرنا فوجدته حلو المذاكرة فكان في بعض ما قاله انا

اشعر الناس فقلت بماذا قال بقولي •

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة • فادنى فؤادي من فؤاد معذب •

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة • من الخمر ما بيننا لم تسرب •

فقلت والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال باي شيء فقلت بقولي

بيت

لا والمنازل من نجد وليلتنا • يفيكا اذ جسدانا بيننا جسد •

كم دام فينا الكرى من لطف مسلكه • يوما فما انفك لا خد ولا عضد •

فقلت احسنت ولكنك ما صرت اشعر مني • قلت لانك منعت في خول جيد

بن جيدين • وانا منعت في خول عرض بن جيدين • فقال من انت وقالت

بل تقول انت قال انا علي بن جهم قلت وانا ابن عروس • والاصل في هذا

كله قول بشار • وهو من الشعراء المولدين •

قال

ومرتجة الارداف مهضومة الحشا • تمور بسحر عينها وتذود •

اذا نظرت صبت علينا صبابة • وكادت قلوب العاشقين تطير •

خلوت بها لا يخلص الماء بيننا • الى الصبح دوني حاجب وستور •

ذكرت قولي في اول الباب لاحول الذي يرى الشيء شيئين قول بعض المغاربة

في مليح له رقيب احول •

بابي رشا يحوي مع الاحسان • مليكه موضوعها انسان •

احوى الجفون له رقيب احول • الشيء في ادراكه شيئان •

ياليته ترك الذي انا مبصر • وهو المخير في الغزال الثاني •

قد بالغ في حديثه بالمين • من قال رايت مثله بالعين •

ما يبصر مثله سوى ذي حول • من حيث يرى الواحد كالاثنين •

وقال • ابن الوكيل •

يقولون لي لم ذا كلفت باحول • يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا •

رأت كل عين حسن اوصاف خدها • فعادت طوال الدهر تنظرها شزرا •

الباب الرابع والعشرون

في عود المحب كالخلال وطيف الخيال

وما في معنى ذلك من دقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب

اقول هذا باب عقدناه لذكر من ادى به النحول • الى الذبول •

واصبح كالطيف بين الطلول • فهو من شدة الضر كما قال صدر وكم باطل بين تلك الخيام
يحسبه بعض اطنابها • نحوله في الجفا واحد كالكف • وهو في الرقة كالخيال يمشي
الى خلف • ولما انني كعود الخلال • وجسمي كما نسج العنكبوت • فقالت
تموت الى كم تنيك • فقلت انك الى ان اموت • والعلم المشهور في هذا الباب

قول المتنبي

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني • وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال • اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل • لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وله ايضا

ولو قلم القيت في شق رأسه • من السقم ما غيرت من خط كاتب

وله ايضا

الى من طاعة العاذل • ولا ارى في الحب من عاقل
يراد من القلب نسيانكم • وتأبى الطباع على الناقل
واني لاعشق من عشقكم • نحولي وكل فتى ناحل
ولو زلتم ثم لم ابككم • بكيت على حبي الزائل

وقال الغاني

تركا صفرا دی والنحول كلاهما • في العشق جسمي بعد العشاقا
كانه الف بخط مذهب جعل • الدجى ادسنة له اوراقا

وقال

ان جفا الكرى وواصل قوما • فله العذر في التخلف عني
لم يحل الهوى بجسمي شخصا • فاذا جاء في الكرى لم يجدني

وقال آخر

وارقني خيالا من حبيب • بنات دار لما اتاني
فمن سهري يلم فما اراه • ومن سقمي يطوف فما يراني

محيي الدين عبد الظاهر

ايها الصايد باللحظ ومن هو • من دون الورى متقنصي
لا تقم طاير قلبي هربا • انه من اضلعي في قفص

وقال بعض المعري

اذابه الحب حتى لو همته • بالوهم خلق لاعياه توهمه
لولا انينه ولو عادت تحالهم • لم يدر بعيان من كلمه

وقال الارجاني •

ولولا سنا بعالم يروى من الضنا • ولا اصلحوا من اجلها خصماي •
ولكن تجلت مثل شمس منيرة • فلحت خلال الضوء مثل هباي •

وقال الآخر

قد كان لي فيما مضى خاتم • فرق جسمي فتمنطقت به •
وزادني الشوق ولو زج بي • في مقلة النائم لم ينتبه •

وقال ابو العتاهيه

لم يبق الا القليل ومما • احسبها تترك الذي بقيا •
رايت العاشقين لهم جسوم • براها الشوق لو نفخوا الطاروا •

وقال ابن عبد ربه

ولما ان راى اهلي سقامي • تجاوز في حد السقيم •
سيردني ثياب السماة عني • مخافة ان اطير مع النسيم •

وقال آخر

واذا عايد دنا لكلامي • لعبت بي انفاسه في الفراش •

وقال آخر

عنفت بي ايدي الضنا فكأنني • سر خفي في ضمير كتوم •

وقال آخر

انحلني حبك يا متلفي • وزادني الشوق فلم اعرف •
وذبت حتى لو رمى في الهوى • في ناظر الناظر لم تطرف •

وقال ناصر الدين النقيب

يقول حبيبي لنحولي وقد • افرط بي فرط ضنا واكتئاب •
فعلت بي يا سقم ما لم يكن • يلبس والله على الثياب •

ومما ينخرط في هذه السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل حيث قال واحسن في المقال

واها على الخصر الدقيق وانما • قطع الحديث حديثه الموثوق •
خصر اذا ادير عليه معصم قبله • فكان تقبيلي له تعنيق •

وقال صفي الدين الحلي

مليح بغير الغصن عند اهتزازه • ويخجل بدر التم عند شروقه •
فما فيه معنى ناقص غير خصره • وما فيه شيء بارد غير ريقه •

قلت اخذه من بلدينا محمد بن العفيف • واراد قصره على الخصر فقصر وجرى خلفه ليعثر على المعنى فعثر بل يعثر • والفرق بينهما كما بين الحاج

والكوثر • والخصر والخنصر • الاثري قول ابن العفيف وحلاوة
منطقه الظريف • وقال

فكم يتجافى خصره وهو ناحل • وكم يتجالى ريقه وهو بارد •
وكم يدعي صونا وهذي جفونه • يغمزها للعاشقين تواعد •

وقال ايضا

شكوت الى ذاك الجمال صبابة • تكلف جفنه الى نه قط لا يعفو •
فلانت لي الاعطاف والخصر رق لي • ولكن تجافى الشعر وابا قلب الردف •

وقال ايضا

تلعب الشعر على ردفه • اوقع قلبي في العريض الطويل •
يا ردفه جرت على خصره • دفقا به ما انت الا ثقيل •

وعلى ذكر الردف ما احسن قول الاخر •

البدر من وجنته نكته • وقشرة للظبي من طرفه •
اذا مشا حاد به ردفه كانه يمشي الى خلفه •

وقال صفي الدين الحلي في راقص •

جاد في قده اعتدال • مهفهف ماله بالعديل •
قد خففت عطفه شمال • ونعلت حقبه شمول •
ودبح الرقص منه عطفا • حف به اللطف والدخول •
فعطفه داخل خفيف • وردفه خارج ثقيل •

وقال ابن رشيق

احمل اثقالي على ردفه واسل الخصر كي لا يصنع •

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن نباته

سألت النقا والبان يحكي لناظري • روادف واعطافا من طال صدها •
فقال كثيب الرمل ما انا حملها • وقال قضيب البان ما انا قدها •

الباب الخامس والعشرون

في ذكر ما يكابده من طلب الاحباب من الامور الصعاب

وغير ذلك مما يقاسيه من تحمل المشتاق • والم الفراق كقولي •

سلي الم الفراق الناس قبلي • ودع بالنوى حي وميت
واما مثلما ضمت ضلوعي • فاني ما سمعت ولا رايت •

اقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار • في طلب الاوطار • فهو لا يزال مشغولا بحاله • متقلبا

تحب احماله • يقاسى فى طلب الحبيب من الاهوال • ما هو اثقل من الجبال
ويسمح فى مقابلة اللمحة اليسيرة بالنفس والمال • **بيت**

ومن طلب الحبيبة كان اسخى • ببذل المال من كعب بن مامه •
ومن طلب العلا لم يهب من • قضى من دون مطلبه حمامه •

وقال الطغرائي

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت • برشقة من نبال الاعين النجل •
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدني • باللمح من خلل الاستار والكلل •

وقال ابن الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك وانني • لاعجز عن حمل القميص واضعف •
ولا الحب من حسن ولا من سماحة • ولكنه شيء به الروح تكلف •

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر •

وكم في الناس من حسن ولكن • عليك لشقوتي وقع اختياري •

وقد اتصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو احسن من محبوبه
ولكن غلبه الهوى وميل النفس وقعاه فى هواه • ومن احسن
ما سمعته فى طلب الاوطار وركوب الاخطار •
ومن

قول ابن خفاجه

لقد جئت دون الحي كل تنوفة • يحوم بها نسر السماء على وكر •
وخضت ظلام الليل يسود فحمه • ودست عرين الليث ينظر عن جمر •
وجئت ديار الحي والليل مطرق • يسم ثوب الافق بالانجم الزهر •
اسم بها برق الحديد وربما • عثرت باطراف المثقفة السمر •
فلم ار الا صعدة فوق لامه • فقلت قضيب قد اطل على نهر •
ولا شمت الا غرة فوق اشقر • فقلت حباب يستدير على خمر •
وسرت وقلب البرق يخفق غيرة • هناك وعين النجم تنظر عن شزر •

قلت انظر الى هذه الابيات التى افرغت فى قالب عجيب • واسلوب
غريب • فبينما صاحبها يصف ادهم الليل • اذ مالت عليه الخيل كل الميل •
وبينا هو كالفحم الاسود • اذا به يتهند على النهود • وبينا
هو يهيم بقدود الملاح • مكان الرماح • اذا به يقول لخدودها
من صد عن نيرانها • فانا ابن القيس لا براح • قد احسن فيها الاشعار
وسار بنظمها العالى • وعدها السبعة السيارة • فنظمه فى النجوم
ودموع المتنبي حالية كالرجوم • ومن شعره فى هذا النمط ودن الدار خل

فی هذا السقط

قوله ايضا

ويسل طرقة الماكية تحته • احد على حكم الشباب يزارا
فخالطت اطراف الاسنة انجما • ودست بهالات البدور ديارا

وقال ايضا

يعللنى منه بموعد رشفه • خيال له يغرى بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم • عليه حباب من اسنة مران

وقال ابن الشام

لقد صبرت على المكروه اسمعه • من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم • لولاك ما كنت ادرى انهم خلقوا

وقول الاخر

يهون علينا فی المعالی نفوسنا • ومن يطلب الحسنا لم يغلها

وقال الهر آخر

يغوص البحر من طلب اللآلي • ومن طلب العلى سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام عنه • لقد اطمعت نفسك بالمحال
تريد تنال المعالی رخيصة • ولا بد دون الشهد من ابر النحال

في نسخة

الباب الثانی والعشرون

فی ذكر طيب ذكری الحبيب

اقول • هذا باب عقدناه لذكر من صال وصال • وذكر محبوبه حين كسرت النصال على النصال • فی كل موقف الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة • ولا سيما اذا اقيمت القسی مقام الحواجب • والتبست الخدود سود الكواعب • واشتبهت الرماح بالقدود • والبيض بحمرة الخدود • هنالك يجعل حبيبه المشار اليه نصب عينيه • لا تلهيه عنه ضرب الحسام • ولا جعله غرضا للسهام • وعلى هذا حكاية الطغرای التی اديناها على عنترة العبسی وزادها فی الوفا بشرط المحبة على كل حبی وانسی • وهو ما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ • ممن خبر وخبر • وتصدی وتصدر • وذلك ان مؤيد الدين الطغرای كاتب الانشاء للملك المسعود لما كانت الوقعة بين الملك واخيه السلطان المحمود • بالقرب من همدان والری وانهزم الملك مسعود • وكان اول من اخذ الطغرای فلما عزم السلطان اخو محذومه على قتله بعد ان قيل له هنا شيئا من جملتها انه ملحد وانه يحب الملك الفلانی من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه

وتميل اليه • فاغزوه عليه الى ان امر بقتله • وان يشد الى شجرة • وان يقف
تجاهه جماعة ادرموه بالسهام ففعل ذلك • واوقف انسانا خلف الشجرة
من غير ان يشعر به الطغراى • وامره ان يسمع ما يقول • وقال لارباب
السهام لا ترموه الا اذا اشرت اليكم فتوقفوا والسهام فى ايديهم
مفرقة لرميه • واخبرنى بعض من حكا لى هذه الحكاية من اهل الادب •
ان اول من فوق اليه السهم المملوك المتهم بحبه • فانشد الطغراى فى تلك
الحالة •

يقول

ولقد اقول لمن يسدد سهمه • نحوى واطراف المنية شرع •
والموت فى لحظات احور طرفه • دونى وقلبى دونه يتقطع •
بالله فتش عن فؤادى هل ترى • فيه لغير هوى الاحبة موضع •
اهون به لو لم يكن فى طيه • عهد الحبيب وسر المستودع •

فامر السلطان باطلاقه • وحل وثاقه • لما راى من ثبات جنانه • وسحر
بيانه • وقد نادى على من تقدمه من العشاق المتصفين بهذا الوصف
كابى عطاء السندى حيث

يقول

ذكرتك والخطى يخطر بيننا • وقد نهلت منى المثقفة السمر •

فوالله ما ادرى وانى لصادق • اداء عرانى من حبابك ام سحر •

وقال عنتر

ولقد ذكرتك والرماح نواهل • منى وبيض الهند تقطر من دمى •
فوددت تقبيل السيوف لانها • برقت كبارق ثغرك المتبسم •

ومما رق قول الطغراى ايضا •

انى اذكركم وقد بلغ الظما • منى فاشرق بالزلال البارد •
فاقول ليت احبتى عاينتهم • قبل الممات ولو بيوم واحد •

وقال آخر

ذكرت سليمى وحر الوغا • كقلبى ساعة فارقتها •
فشبهت سمر القنا قدها • وقد ملن نحوى فعانقتها •

وقال ابن تميم

الا من يبلغ الاحباب انى • وقفت وللظبا حولى صليل •
وانى جلت فى جيش الاعادى • برمحى وهو فى فكرى يجول •

وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم لمع • من حولنا والسمهرية شرع •

وعلى مكافحة العدول ففي الحشا • شوق اليك تضيق عنه الاضلع •
ومن الصبا وهلم جرا شيمتي • حفظ الوداد فكيف عنه ارجع •

قال الشريف البياضي

ولقد ذكرتك والطبيب معبس • والجرح منغمس به المسبار •
وادي ووجهي قد فراه حديد • ويمينه حذرا على يسار •
فشغلتني عما لقيت وانه • لتضيق عنه برحبه الاقطار •

• وقال ابن رشيق قيرواني •

ولقد ذكرتك في السفينة والردى • متوقع بتلاطم الامواج •
والجو منهطل والرياح عواصف • والليل مسود الذوائب داج •
وعلى السواحل للاعادي عسكر • يتوقعون لغارة وهياج •
وعلى اصحاب السفينة ضجة • وانا وذكرك في الذ تناج •

الشهاب محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع • والموت يرقب تحت حصن الرقب •
والحصن في شفق الدروع بحالة • حسنا برقك في رداء مذهب •
سامي السما فمن تطاول نحوه • للسمع مسترقا رماه بكوكب •

والموت يلعب بالنفوس وخاطري • يلهو بطيب ذكرك المستعذب •

صفي الدين الحلي

ولقد ذكرتك والعجاج كانه • مطل الغني وسوء عيش المعسر •
والشوس بين مجدل في جندل • منا وبين معفر في مغفر •
فظننت اني في صباح مسفر • بضياء وجهك او سنا مقمر •
وتعطرت ارض الكفاح كانما • فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر •

وقال ايضا

ولقد ذكرتك والجماجم وقع • تحت السنابك والاكف تطير •
والهام في افق العجاجة حوم • فكانه فوق النسور نسور •
فاعتادني من طيب ذكرك نشوة • وبدت علي بشاشة وسرور •
فظننت اني في مجالس لذتي • والراح تجلى والكؤوس تدور •
وقال آخر ولها حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدمة مذكورة في منازل الاحباب

رباعي

ولقد ذكرتك والرماح تنوشني • عند الالمام وساعدي مغلول •
ولقد ذكرتك والذي انا عنده • والسيف بين دوائي مسلول •

وقال ابو طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه • يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وللناس على هذا البيت كلام قال الشيخ اثير الدين ابو حيان

لقد ذكرتك والنجم الخضيم طفق • اتواجه والورى منه على سفر

في ليلة اسبلت جلباب ظلمتها • وغاب كوكبها في أعين البشر

والما تحت وفوق المزن واكفة • والبرق تستل اسيافا من الشرر

والفلك في وسط الماء يحسبها • عينا وقد اطبقت شفرا على شفر

والروح من حزن راحت وقد وردت • صدري فيا لك من ورد على صدر

وقلت • انا في طريق مصر الى الشام من مقامه

ولقد ذكرتكم برمل روعة • في قلب كل مشرق ومغرب

وبنوا بياضه كالظبا من حولنا • بسوادهم سدوا فسيح السبسب

والقضب تبري هام كل مدجج • من كفاشوش بالحروب مهذب

واسنة الارماح تلمع في الدجى • كوميض برق في الدجى متلهب

وعلى العفاة كل بشر وارتع • نغزى اديم الميت منه بمخلب

والرعد للارماح رعد قاصف • والبحر هيد وكالهزبر الاغلب

والبر يجري في الدماء والبحر بر • بالقريح وكل كلب اجرب

وعلى السواحل غار سعراما • فيها لمن يرجوا النجا من مهرب

وانا باوتار القسي كانني • فيه اعني بالرباب وزينب

واقول ليت احبتي يدرونها • انا فيه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج • بمكة والقلوب لها وجيب

فقلت ونحن في بلد حرام • به لله اخلصت القلوب

اتوب اليك يا رحمن مما • جنيت فقد تكاثرت الذنوب

واما عن هوى ليلى وتركي • زيارتها فاني لا اتوب

وللناس في هذا البيت الاخير كلام وحكي ان ليلى الاخيلية مرت مع زوجها توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذي قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت • علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا • اليها صدا من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال اقسمت عليك لما دنوت منه وسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة فقطا

من جانب القبر طاير كان هناك وذنا فنفر منه الجمل فوقعت من أعلاه
فاندق عنقها وماتت من وقتها • ودفنت إلى جانب توبة وهذا من العجائب
لأنه وفاها بما التزمه بعد الموت • وقد بالغ الآخر حيث

قال

لو حز بالسيف رأسي في محبتها • لمر يهوي سريعا نحوها راسي •
ولو بلي تحت أطباق الثرى جسدي • لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي •
أو يقبض الله روحي صار ذكركم • روحا أعيش به ما دمت في الناس •

وقال آخر

ولقد ذكرتك والظلام معبس • وأنا قعيد في البيوت وحيدي •
والجو يصفر من قعودي في الهوى • ما فيه من حي يكون عتيدي •
والبق والناموس حولي عسكرا • يتقاتلون على سهاد ميمي •
والفار يلعب بالزوايا دايما • وينط كالفقاع فوق لويزني •
والعنكبوت يحول حله خيمة • يصطاد ذبابا نحو ركوبتي •
والأكل خبز مثل ماسي يابس • والشرب من دحين بليدني •
وسماع نغمات طنين بعوضه • وصر صرصره وصقر بومتي •

فوددت تعنيق الفويرة كلما • نطت لأنك مثلها في الخفة
وحسدت أيدي العنكبوت لشبهها • بأصابع لك مثلها في المرقة
وطربت من صوت الصراصر نغمة • إذا أشبهت نغمات صوت أجنبي
وبكيت شوقا لا لأنهم كيف نعمي • تتنعمين بنعمتي في غربتي

الباب السابع والعشرون

في ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والأغزال الرائقة

مما اشتمل على ورد الخدود • ورمان النهود • وغير ذلك

أقول هذا باب عقدناه • لذكر طرف يسير من الغزل والتشبيب • ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه • ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه •
كقول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني •

أيسعدني يا طلعة البدر طالع • ومن شقوتي خط بخديك نازل •
نعم قد تناهى في الجفا ناظراك لا • وعند التناهي يقصر المتطاول •
وما كنت مجنون الهوى قبل أن يرى • لقلبي من صدغيك في الأسر عاقل •
ولا سامني من لحظاتك قاتلي • لما كنت أدري أن قدك ذابل •
ولم لا يصح الوجد فيك وناظري • لنسخة حسن من سناك يقابل •

ولو أن قسًا واصفًا منك وجنه • لأعجزه نعت بها وهو باقل •

نعم هذا الباب من أوسع هذه الأبواب مجالًا وأجراها جريالًا • وأحسنها خطابًا • وأعذبها رضابًا • بتميز سمين الشعر من غثه • وجيده من رثه • ولا يكاد يجد فيه إلا ذاك وذاك • ولا يدركه إلا كثير الدرايه وما أدراك • وقد تقدم أن أغزل بيت قالته العرب • قول بشار

أنا والله أشتهي سحر عينيك • وأخشى مصارع العشاق •

محمد بن العفيف

وعيون أمرضن جسمي • وأضرمن بقلبي لواعج البلبال •

وخدود مثل الرياض نواضر • ما لأيام وردها من زوال •

لم أكن من جناتها علم الله • وإني بحرها اليوم صال •

محمد بن العفيف • وله أيضًا

يحكي الغزال نظرة ولفتة • من ذا رآه مقبلًا ولا افتتن •

أعذب خلق الله لفظًا وفمًا • إن لم يكن أحق بالحسن فمن •

في ثغره وخده وشكله • الماء والخضرة والوجه الحسن •

ولهذه الأبيات حكاية • وقوله أيضًا •

بدا وجهه من فوق أسمر قده • وقد لاح من سمر الذوائب في جنح •

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى • وقد طلعت شمس النهار على رمح •

وقال آخر

له حلي من الشهد من هويته لم • فشابه في الهوى مرارات •

وكيف لا يستطاب ريقته • وثغره سكر سنينات •

الآخر

ومليح قال صفني أنت في القول فصيح • قلت قول باختصار كلما فيك مليح •

المعمار

ومليح قال صفني حسنى ازداد سرورا • كم هوى جفني معنا قلت إلفًا وكسورا •

وقال

حاكمت في شرع الهوى قاتلي • ولي دم طل على خده •

فاتهم الحاكم لحظًا له • تحقق الفتنة من عنده •

ومال للحق لما رأى • قد غرني ماله مع قده •

وقال خطيب سمهود

قال لي من أحب شبه قوامي • وقد اهتز بالجمال دلالا •

قلت غصن على كثيب مهيل • صافحته يد النسيم فمالا •

وقال السراج الوراق

قلت للأهيف الذي فضح الغصن • كلام الوشاة ما ينبغي لك •
قال قول الوشاة عندي ريح • قلت اخشى يا غصن ان يستميلك •

وقال آخر

قال لي أهيف المعاطف صف لي • هيفي قلت يا رشيق القوام •
كلك قد لولا جوارح لحظيك • لغنت عليه ورق الحمام •

وقال النور الاسعردي

قد قنعنا بالخمر والماء والخضر • والأهيف الرشيق القوام •
وتركنا مناصب الناس نهبا • فلماذا يؤذوننا بالكلام
وتركنا مناصب الناس زهدا وقال ابن خفاجة فلماذا يؤذوننا بالكلام
ومهفهف طاوي الحشا • كالغصن يخطر ان خطر •
فاذا رنا واذا انثنى • واذا سعى واذا سفر •

وقال كثير في عزة

الله يعلم لو اردت زيادة • في حب عزة ما وجدت مزيدا •

رهبان مدين والذين عهدتهم • يبكون من حذر العذاب قعودا •
لو يسمعون كما سمعت حديثها • خروا لعزة ركعا وسجودا •

وقال كثير أيضا وهو أحسن ما قيل في حسن الحديث من المخفرات

البيض ود جليسها • إذا ما انقضت أحدوثة لو يعيدها •

وقال ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه • لم يجن قتل المسلم المتحرز •
ان طال لم يملل وان هي أوجزت • ود المحدث انها لم توجز •

وقال ابن أحمديس

لا يمل الحديث منها معادا • كانتشاق الهوى ليس يمل •

وقال آخر

ومليح قلت ما الاسم حبيبي قال مالك • قلت صف لي وجهك الزاهي وصف لين اعتدالك •
قال كالبدر وكالغصن وما اشبه ذلك • وقال العطوي
ذات خدين ناعمين صنيبين • بما فيهما من التفاح •
وثنايا ذو رقة كعقود • من عقار وروضة من اقاح •

وقال البحتري

وبيضا مكسال العوب جرنج • لديد لدى ليل التمام التزامها
كان وميض البرق بني وبينها • اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

وقال ابن ربعه

طيفه باردة الصيف اذا • معمعان القيظ اضحى يتقد
سحنه المشى لحاف للفتى • تحت ليل حين يغشاه الصرد

وقال المتنبى

ادحت ثلاث ذوايب من شعرها • فى ليلة فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السما بوجهها • فارتنى القمرين فى وقت معا

قال ابن الشيوخ السيوفى الاديب

رأت قمر السماء فاذكرتنى • ليالى وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن • رأيت بعينها ورات بعينى
قلت وللناس عليه كلام • ولهم على فهمه زحام • حتى ان بعضهم وضع فيه

كذا

وقال اخر

بروحى وجسمى ذلك العارض الذى • غدا مسكة فوق السوالف سايلا
درى خده انى اجن بحبه • فاظهر لى قبل الجنون سلاسلا

قال سعد الدين محمد

لما ابتدا عارضه فى نمط • قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط • وقال قوم انها اللام فقط

وقال اخر

رايت الهلال على وجهه • من رايت الهلال على وجهه

اخر

برزت فقابل ناظرى من وجهها • مرات حسن بالجمال صقيلى
ابكى فانظر ادمعى فى خدها • تجرى فاحسبها تبكى لى

وقال ابن قلاقس

فوق خديك دليل • ان نهديك تماد
ما اختفى الرمان الا • فبدى الجلنار

قال الحيزوانى

رايت الهلال ووجه الحبيب • فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر ايهما قاتلى • هلال السما ام هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين • وما راعنى من سواد الشعر

لكنت أظن هلال الجبيب • وكنت أظن الحبيب القمر •

وقال محمد السلامي

بدايع الحسن فيه مفترقه • واعين الناس غير متفقه •
سهام الحاظه مفوقة • فكل من رام لحظه رشقه •
قد كتب الحسن فوق وجنته • هذا مليح وحق من خلقه •

وقال ابن رشيق

معتدل القامة والقد • مورد الوجنة والخد •
قل للذي يعجب من حسنه • اقرا عليه سورة الحمد •

وقال ايضا •

شكوت بالحب الى ظالمي • فقال لي مستهزئا ما هو •
قلت غرام ثابت ما لي • اقرا عليه قل هو الله •

وقال شيخ شيوخ حماه

سألته من ريقه شربة • اشفي به من كبدي حره •
فقال اخشى يا شديد الظما • ان تتبع الشربة بالجره •

وقال يحيى الخباز •

طلبت منه قبلة قال لي • اياك ان تطمع في القرب •
البوس ساليش واخشى بان • يستتبع الشاليش بالقلب •

وقال ابن الاسد

اريقا من رضابك ام رحيقا • وشفت فلست من سكري افيقا •
وللصهباء اسماء ولكن • جهلت بان في الاسماء ريقا •
قال من شبه ريقي بالزلال العذب لا •
انما ريقي شهد قلت ذا من فيك احلا •

وقال السراج الوراق

ظبي نرى وجنات في وجهه • وتشرب الخمرة من فيه •

وقال آخر

لما انصفوا اذ لقبوه شاربا • من بعد ما امسى لقلبي آكلا •

وقلت

يا صاح سكري انا من هوى اغيد • قوامه كالغصن ان ماسا •
ساق متى ما لاح لي كاسه • ذكرني شاربه الآسا •

وقلت ايضا مرقصة

فتاة حين زارتني عشاء • رأيت الشمس ليلا وسط داري •
وورد خدودها ما لاح إلا • وأحرق عاشقيه بجلنار •
نصف لي شعرها ليلا بطول • وقل في الخصر قولا باختصار •
تدير لنا مراشفها عقارا • قريب العهد من كأس مدار •
عدمتك يا عذولي فيه قل لي • إذا لاح العذار فما اعتذاري •
كأنك ما شعرت بأن حبي • غدا بعذاره حسن الشعار •
غدوت مكاتبا فيه بخط • قريب الشكل من قلم الغبار •
سقاني من مقبله شرابا • طهورا لم يدنس باعتصار •
وأعقب وصله هجرا وقلى • على حرف من الهجران هار •
إذا ما قادني يوما هواه • مشيت وقطر دمعي كالقطار •
أتطمعني بحفظ العيش دهري • وجرى الدمع فيه على الجوار •

قلت من قصيدة امدح بها مولانا السلطان •

ترادفت التهاني والسرور • وبشرنا بوصلكم بشير •
وبات بقلعة الجبل انشراح • وأفراح وأحباب حضور •
بروج الأفق فيها فرد بدر • وأفق بروجها فيها بدور •

تغازل باللواحظ في دجاها • فما نامت ولا فتر الفتور •
أغار من النسيم بها إذا ما • يصافح كفه فيها الستور •
إذا نشرت ذوائبها بتدا • لميت الحب في الدنيا نشور •
لها ثغر يصون الدر مما • يبيت عليه من خفر خفير •
وفرق بين صفو الصبح لما • يلوح وبينه فرق كبير •

الباب الثامن والعشرون

في ذكر طرف يسير من أخبار المطربين من الرجال وذوات الجمال

وما في معنى ذلك من مواليتهم • ووصف آلاتهم

أقول

هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء • بسماع الغناء من كل محب يتشبب بالشباب • ويغني بالرباب • فهو يطرب بالعود ونده • ويجمع بين الذكر والمؤنث بين الشيء وضده • لا يلهيه غير ملاهيه • لا سيما إذا كان في الغنا • ممن يعرف الصواب • ويقيم الإعراب • ويسمع الألحان • ويعدل في الأوزان • ويصيب موقع الإيقاع • ويعطي النغم حقه من الإشباع • ويخلص مواضع البنراب • ويسوي ما شاكلها من المنفرات • ويحسن الاختلاس • ويملأ الأنفاس •

وغير ذلك مما هو معروف عند ارباب الشان من القيان • ممن جمع
فى ذلك بين الحسن والاحسان • كما قيل

• ما بغيت الا تفرح هم • عن فوادى واقلعت احزان •
• تفضل المسمعين طيبا وحسنا • مثلما يفضل السماع الغنا •

والناس كلهم فى الغنا عبيد معبد • واسحق الموصلى الذين هما
اطبع المتقدمين فى الغنا فيما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ
وفى معبد يقول حبيب •

بيت

• محاسن اصناف المغنين جمة • وما قصبات السبق الا لمعبد

وقال البحترى فى صهيل فرس •

هزج الصهيل كان فى نغماته • نبرات معبد فى الثقيل الاول •

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكه ومات فى ايام الرشيد واخباره
اشهر من ان تذكر وقد ذكرهما صاحب الاغانى وغيره واما
اسحق الموصلى فانه كان من العلم والادب والرواية والتقدم
فى الشعر وساير المحاسن اشهر من ان يوصف وهو الذى صحح اجناس
الغنا وميز طرايقها تمييزا لم يقدر عليه احد من قبله ولا بعده

ولا بعده احد تحقيق البحترى • وتمييز الاصناف التى جعلوها صنفا واحدا • وهى فى
نفسها كذلك • ولكنها تفترق عند متيقن مثله وابن مثله • فمن كلامه حدود
الغنا اربعة النغم والتاليف والايقاع والقسمة • كان قد سال المامون
ان يكون دخوله مع اهل العلم والادب لا مع المغنين واذا اراده للغنا
غناه فاجابه الى ذلك وقال الواثق ما غنانى اسحق قط •
الا ظننت انه قد زيد فى ملكى وان اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يعط احد
مثلها ولو ان العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر ملكى • وجلس
عند ابرهيم بن مصعب للشرب • فسقى الغلمان من حضر • وجاء غلام قبيح الوجه
بقدح الى اسحق • فلم ياخذ منه • فقال ابرهيم الا تشرب

• اصبح نديمك اقداحا تسلسلها • من الشمول واتبعها باقداح •
• من كف ذى مليح الدل ريقته • بعد الهجوع كمسك او كتفاح •
• او تشرب الراح الا من يدى رشا • تقبيل راحته اشهى من الراح •

فدعا ابو صفيه تامة الحسن فى زى غلام عليها اقبية ومنطقة فسقته
حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكلما معها فى داره • ومما لحنه اسحق
وله حكاية • قل لمن صد عاتبا • وناى عنك جانبا • قد بلغت الذى

اردت وان كنت لاعبا • واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا •
وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف
في اخبار اسحق في هذا الموضع • وحكى ابو الفرج • انه اهديت
للرشيد • جارية في غاية الجمال فخلا معها في قصره يوما واصطبح فكان
من حضر من جواريه للعب والخدمة • ما يزيد على الفي جارية في
احسن زي من الثياب • والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر • فعظم ذلك
عليها فارسلت الى علية اخت الرشيد • فارسلت اليها علية لا يغظيك
هذا فوالله لاردنه اليك • وقد عزمت ان اصنع شعرا واصوغ لحنا
• واطرحه الى جواري فابعثي بكل جارية عندك والبسيهن انواع الثياب
والجواهر حتى اللتي علمتهن الصوت مع جواري ففعلت ام جعفر •
ما امرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر • لم يشعر الا وعلية قد
خرجت عليه من قصرها • ومعها ما ينيف على الفي جارية عليهن انواع
غرائب اللباس وكلهن في نغمة واحدة هزج في هذين البيتين •

• منفصل عني وما • قلبي عنه بمنفصل •
• يا قاطعي قل لي لمن • نويت بعدي تصل •

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل ام جعفر ومعه علية
وهي في غاية السرور • وقال لم ار كاليوم سرورا قط • وقال
لمسرور الخادم لا تترك في الخزانة مالا الا نثرته وكان مبلغ ما نثر
في ذلك اليوم سبعة آلاف درهم • ما سمع بمثل ذلك اليوم قط •
وحكى عن القاضي • ابي عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور
جنازة • وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم
عليه في الميل اليه فنزل فاحضر له طعاما وغنت جارية •

ابيات

• طابت بطيب لثاتك الاقداح • وزهى بحمرة خدك التفاح •
• واذا الربيع تبسمت ارواحه • نمت بعرف نسيمك الارواح •
• واذا الحنادس البست ظلماتها • فضياء وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه
ولقد رايته يكبر على الجنازة • وهذه الابيات على ظهر يده ومن
• احسن ما قيل في عواده ابن تميم •

• وفتاة قد ارضت العود حتى • راح بعد الجماح وهو ذليل •

خاف من عزله اذ نه اذ عصاها • فهذا كما تقول يقول •

وقال اخر •

سقا الله ارضا انبتت عود كالدي • ذكت منه اغصان وطابت مغارس •

فغنى عليه الطير والعود اخضر • وغنت عليه البيد والغصن يابس •

وقال ابن قاضي

جات بعود تناغيه ويسعدها • فانظر بدايع ما خصت به البشر •

غنت على عودها الاطيار مفصحة • عصا فلما ذوى غنت به البشر •

وقال ابن حجاج •

هذا ومحسنة بالعود عاشقها • بذلك الطيب في الاحيان مسرور •

اذا تثنت وغنت خلت قامتها • غصن عليه قبيل الصبح شحرور •

وقال آخر

وجارية اذا غنتك يوما • فما لك من فراق الحلم بد •

كأن يسارها في العود برق • ويمناها اذا ضربت به رعد •

وقال اخر •

اشارت باطراف لطاف كانها • انابيب در قمعت بعقيق •

ودارت على الاوتار رخصا كانها • بنان طبيب في مجس عروق •

وقال النور الاسعردي في جنكية •

لبنت شعبان جنك حين تطلقه • يغدو باصناف الحان الورى هاذي •

لا غرو ان صاد البات الرجال لها • اما تراه يحاكي مخلب البازي •

وقال الصلاح الاربلي •

الجنك مركب عقل في تشكله • والرق قلع له الاوتار اطناب •

تجري بريح اشتياق في بحار هوى • يؤم ساحل وصل فيه احباب •

وقال ابن دانيال في دفيه •

ذات لقوام الذي يهتز نقا • لو مر يوما عليه طاير صدحا •

تبدي على الجماد سعصمها • لنقرة ببنان يشبه البلحا •

غناؤها برقيق الغنج تمزجه • فما ينقط الا كل من رشحا •

وقال ابن النديم

والله لو انصف الاقوام انفسهم • اعطوك ما ادخروا منها وما صانوا •

ما انت حين تغني في مجالسهم • الا نسيم الصبا والقوم اغصان •

وقال في مغنية

وغاينه مكملة المعاني • بلطف ما عليه من مزيد •
اذا ما اطربتنا بالمثاني • تثنت بين رمان النهود •
تغار السمر منها حين تبدو • كغصن البان في خصر البرود •
باطراف من الحناء حمر • والحاظ كبيض الهند سود •
سوالفها من الريحان اطرى • يواخيها الشقيق من الخدود •

وقال آخر

بابي اغاني عابت • ابدا بارضاء النفوس •
يشدوا فيرمز بالكوس • لم يوقين بالرؤس •

وقال آخر

ورامي يبعث في دمه • الى قلوب الناس افراحا •
كان اسرافه في بابه • ينفخ في الاموات ارواحا •

وقال ابن قزل في مشبب •

ومطرب قد راينا في انامله • شبابة لسرور النفس اهلها •
كانه عاشق رأت حبيبته • فضمها بيديه ثم قبلها •

وقال ابن قرناص

شنب بجفاه راح يقتلنا • فان تداركنا بالنفح احيانا •
هويت تشبيه من قبل رؤيته • والاذن تعشق قبل العين احيانا •

وقلت انا

رعى الله ارباب السماع فانهم • اراحوا اعتذاري عنهم بالهوى عذري •
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة • جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري •

وما خرسا اذ نطقت ثاينا • يناقض فعلها امرا عجيبا •
منقبة وليس لها اذا دم • توافينا ولم نخش الرقيبا •
فتاه ان خلوت بها وصحبي • رايت لهم معي فيها نصيبا •

الباب التاسع والعشرون
في ذكر من اشتهر من اهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان

اعلم ان هذا باب عقدناه • لذكر عشاق زماننا هذا وهم ممن نعرفهم بسيماهم • فمنهم من اتصف بالانصاف • وسلك طريقة السلف في العفاف • وهذا النوع فيما يظهر اعز من الكبريت الاحمر لم اره ولا رايت من راه • وان وجد اسمه فانه مسماه • فاشهد

بصدق مقالتي والا لدنتي بواحد • هيهات بل قضا اهل هذا
العصر ان يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويملوا العصر •
وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة • فيما حكاه عمر بن
شيبه قال كان الرجل يحب الفتاه فيدور بدارها حولا • يفرح
ان راى من رآها فاذا ظفر بها في مجلس تشاكيا وانشد الاشعار •
واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده • فاذا التقيا لم يشك
حبا ولم ينشد شعرا • وقام اليها كانه على نكاحها امين كما قيل
لم يحظ من دار الدهلين منصرفا • الا وخلخالها قد قارب السقفا •
قال الاصمعي قلت لاعرابيه ما تعدون العشق فيكم قالت
العناق والضم والغمز والمحادثه • ثم قالت يا حضري فكيف
هو عندكم • قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قالت
يا ابن اخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد • وسئل اعرابي عن ذلك
قال هو مص الريقه • ولثم الثغر • والاخذ من اطايب الحديث
بنصيب • فكيف هو عندكم ايها الحضري • فقال العقر الشديد • والجمع
بين الركبة والوريد • وهو يوقظ النيام • ويوجب الآثام •

فقال يا الله ما يفعل العدو فكيف الحبيب • قلت وقد تقدم
ان الملوك ليس كغيرهم من العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به
عشقه الى ترك تدبير ملكه • وهنا ذكر طبقة اخرى دون الملوك •
اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنايعهم وبضايعهم • وطبقة
اخرى يحلون باديانهم وعقولهم عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم
ويحرم عليهم وما سوى هولاء • فان عشقهم عرض من الاعراض • لا
بل مرض من الامراض • اذا وصلوا اليه اسرع انصرافهم عنه • وربما صار
هجرا بل عداوة الى آخر العمر • وهذا هو الغالب على اهل زماننا
وهو افسد انواع الحب اذ يوجد عند الفراغ • ويذهب عند الشغل
ويحدث عند غلبة الشهوه • ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لا محالة •
وامر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء • ويحب بتقليل الوفا ومن كانت
هذه حالته سهل امره • فانطفى التوله جمره • فمن اهل هذا العصر من اقتصر
على فتنة القصر فهام بالحسناء من النساء • ومنهم من خلع في الامرد العذار •
وتهتك للسلو عن وجنته الحمراء النار • ولا العار • ومنهم من
قرن بين القرنين • وجمع في المذكر والمونث بين الضدين فتراه يأتي

على من حضر • ولا يتوقف على صورة من الصور كما قيل

انا الرجل البصير بكل امر • دخلت من التصابي كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبي • ولا يابى مواصلة الكعاب

وقد زاد ديك الجن على هذا حيث يقول

اعشق المرد والكواعب والشيب • وعندي مثل البنين البنات
حد ما يشتهي ويعشق عندي • حيوان تحل فيه حياة

وقال ايضا

انا من قولي مليح او قبيح مستريح • كل من يمشي على وجه الثرى عندي مليح

وقال ايضا

ومعشر عذلوا لما ركبت على • احوى محاسنه تمحو فعلهم
دع يعذلوا ما استطاعوا انني رجل • لو استطعت ركبت الناس كلهم

وقال ابن تميم مضمنا

وعارض قد لاح في عارض • وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طلعت ذقنه • فقلت لا افكر في ذقنه

وقال بعض مشايخ العصر

وقد عنفوني في هواه بقولهم • ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فانني واقع • وحقكم في الوجد فيه الى الذقن

وقال بعض مشايخ العصر

وكامل العارض قبلته • فصدني وادود من قبلتي
وقال كم انهاك عن فعل ذا • وانت تفكر في لحيتي

وقال بعض مشايخ العصر

يهن مولانا حبيب لم يزل • بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه • انبتها الله نباتا حسنا

وقال اخر

يا مادحا للحية سلواننا • عن ودها لما دها ان يحسنا
مذ نبتت فيه نباتا حسنا • قبلتها منه قبولا حسنا

وقال مشايخ العصر

كلفت به شيخا كان مشيبه • على وجنته ياسمين على ورد
اخا العقل يدري ما يراد من الفتى • امنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى • لسود اللحا ناس وناس لـ

فقلت لهم لو كنت اصبو الامرد • صبوت الى هيفاء مياسة القد •
وسود اللحا ابصرت فيهم مشاركا • فما خترت انا بقي بابيضهم وحدي •
وقد كنت من اجناد ابليس هرة • ترقيت حتى صار ابليس من جندي •

وقال آخر عشق عجوزا •

كلفت بها شمطا شابت لِبدها • وللناس فيما يعشقون مذاهب •

وقال ياقوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل وقال فيهم الشاعر •

كتب العذار على صحيفة خده • سطرا يلوح لناظر المتأمل •
بالغت في استخراجه فوجدته • لا راى الا راي اهل الموصل •

ولقد طفت البلاد ما بين جيحون والنيل • فقل ما رايته يخرج عن هذا المذهب فلا ادري لم تخص به اهل الموصل • قيل وليس الامر كما اداه ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل لا يخلوا منه بقعة وانما اهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى اهل الذقون ودعا الى من في عذاره شيب بعضهم بسميه زدزودي وقد رموا بهذا من بين اهل البلاد هم واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما يغطي فليسا ثنا

الالمن ينفقها على عايلته وولداته • قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية • في كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى اليه بهم الهوى من الهلاك القطيع والعقوبة المستمرة • ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق ائمة الفساق • ناكحي الذكران • تاركي النسوان • وكيف اخذهم • وهم في خوضهم يلعبون • وقطع دابرهم وهم في سكرتهم عشقهم يعمهون • وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على امة من الامم اجمعين • وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتأخرين • قال لما تجرؤا على هذه المعصية وتجردوا ونجوا لاخوانهم طريقا وقاموا بها وقعدوا وضجت الملائكة الى اقطار السموات وشكوتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم انه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم • والتقدم بالوعد والوعيد اليهم • ووقعت الحجة عليهم • فعل الله بهم ما اخبر به في كتابه العزيز • فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة الى قوله ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور • وهم السلف لاخوانهم بعدهم •

على الاثر كما قيل

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم • فما قوم لوط منهم ببعيد •

فانهم في الخسف ينتظرونهم • على مورد من نهلة وصديد •

يقولون لا اهلا ولا مرحبا • بكم الم نتقدم ربكم بوعيد •

فقالوا بلى لكنكم قد سننتم • صراطا لنا في العشق غير حميد •

حكى قاضي القضاة بن خلكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما انا وابو عبيدة المسجد • فاذا على الاسطوانة التي يجلس عليها ابو عبيدة مكتوب على نحو سبعة اذرع

صلى الاله على لوط وشيعته • ابا عبيدة قل بالله آمينا •

فانت عندي بلا شك بقيتهم • منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا •

فقال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره • ومحوته بعد ان اثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له قد بقيت الطاء فقال هي ابشع ووقف هذا البيت وكان الذي كتبه ابو نواس قلت وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط فصل في النظر الى وجه الامرد ذكر الحافظ محمد بن ناصر من

من حديث مخالد عن الشعبي قال قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم • وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه السلام • وراء ظهره • وفي الكامل عن ابي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم • ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد • وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم الرجل يلح النظر الى الامرد فاتهموه • وصرح الشيخ النووي محيي الدين في المنهاج • بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة • وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن بن وافد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا اولاد الملوك • وكان ابرهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة المردان حكى عن ابي سعيد الخراز • وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رايت ابليس في منامي وهو يمر علي ناحية فقلت تعالى فقال ايش اعمل بكم وانتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث فاخذت العصى فاضربه فقال انا ما اخاف من عصى انما اخاف من نور القلب

وقال النخعي مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء

وقال فتح الموصلي صحبت ثلثين شيخا من الابدال كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث وحكى ابو عبد الله احمد بن الجلا قال كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميل الصورة فقلت اترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال اونظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم ان النظر الى الامرد يوقع في سكرة العشق كما قال الله تعالى عن عشاق الصور لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر والعشق سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات انشدني بعض مشايخ العصر

يا من غدا بالمرد ذا لوعة • ما انت في حبهم بالمصيب •
في الخرد العين الذي تشتهي • منهم ونقصان بحر الجيب •

وقال آخر

حبك للغلمان ما امكنك النسوان غبن • انما عشق في الظهر اذا اعوز بطن •

على ان في العشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها مما لا يدرك تلافيه وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدي اضر على الرجال من النساء ولا سيما نسوان هذا الزمان من كل شمس حذر تطلع مع قوادها بين قرني شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج من بعد زوجها من الباب الى الطاق اي والله

ابيات

شغل المرد بالدلال واضحى • نسوة الناس شغلهم بالسحاق •
كل حين بحسنه قد تكفى • بعدانا معاشر الفساق •

وحكى عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض مرادي وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها ان تقال في حقها

مغرمة بالسحاق اضحت تبكي عليه بكل عين •
ما تعتني في الهوى الا • يصيفنا سحق في حسين •

وحكى ان رجلا دخل بيتا فوجد امراتين وهما في السحق فجذب التي هي فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حال ورجال و

وقال آخر هذا يريد فيلة ايش تنفعه الزفات

وقال آخر

قل للتي تدعي السحاق الى كم تساحقي • ليس يشفي عليلكي من جميع الخلائق •
غير ذي الاروع الحليق الحوالق •

وقال ابن سنا الملك

وقال ابن سنا الملك

يا هذا لا تستحيي مني • قد انكشف المغطا •
ان كان كسبك قد تاب • فانا يرى قد تمطا •

وقال بعض مشايخ العصر

ايرى اذ ندبته لحاجة تخفض نبي • قام لها بنفسه ما هو الا عصي •

تأخر بغضنا فقلت لا ادرك
ايرى هذا عصي وعصى الله

وقال بعض مشايخ العصر

وكنت اذا رايت وكو عجوز • ابادر بالقيام على الحرام •
فاصبح لا يقوم لبذر تمر • كان النحس قد وكى الوزاره •

حكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان بعد ان اورد قول بعضهم

ولقد قال لي صديقي لما • ان رآني اضرني الافلاس •
قد تكسع بنا العهد فهنا • الا يرجى مثله و يراس •
قلت قد كان ذا ولكن دهري • اهله كلهم لئام خساس •
اين من كان عندهم رفع الاير • على الراحتين تم يباس •
اين من كان عالما بمقادير • الامور الكبار دمات الكاس •

ذكر الامير فخر الدين ان الشيخ راى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب

160

بخط شرف الدين بن العديم فكتب تحتها من خلف مثلك ما مات •

وقال اخر

ويحك يا اير اما تستحيي • تخجلني ما بين جلاسي •
تطلع من طوقي كذا عامدا • تنكس العمة عن راسي •

وقال ابن مطروح

سألت من امرضني في قبلة تشفي الالم • فقال لا لا ابدا قلت له نعم نعم •
فقال غضبا ملتثا الا سماحا وكرم • قال فسرا قلت لا الا على راسي علم •
فاخذها بالرضى مني حلالا وابتسم • فلا تسل عما جرى واستغفر الله ونم •

الباب الثلثون

فيمن اتصف بالعفاف • باحسن الالطاف • وما ينخرط في سلك ذلك من ان ميت العشق شهيد • وان زانيه حميد • افوه •

هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا • واطهرهم ذيلا • واحسنهم سيرة • وانكاهم سريرة • واعفهم مع القدرة • ولا سيما بنو عذرة • الذين هم اشد الناس غراما • واعظمهم هياما فلذلك قلت

العشق والعفة فى بنى عذرة لثيس • وللمقتول منهم عشقا جم غفير •
فان ذكرا حدهم بالعفة فجميل جميل الصفا • صادق الغرامات و
سنورد من اخباره فى هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى • وتحقق
ان التسلى بالمحبوب غرض بعض البلوى • فمن ذلك ما حكاه محمد بن جعفر
الاهوازى قال مرض جميل بمصر مرضه الذى مات فيه فدخل عليه
العباس بن سهل فقال ما تقول فى رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن
ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنه قد نجا
وارجو له الجنة فمن هذا الرجل قال انا قلت ما احسبك سلمت
وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال انى لفى اول يوم من ايام
الآخرة واخر يوم من ايام الدنيا فلا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
يوم القيمة ان كنت وضعت يدى عليها لريبة قط فما قمنا حتى مات •
سنه اثنين وثمانين من الهجرة ومن غريب ما حكاه الزبير فى اخبار جميل
ان بثينه المذكورة من بنى عذرة قبيلة مشهورة بالعشق فى قبائل العرب
واليهم ينسب الهوى العذرى لانهم من اشد ساير الخلق عشقا قال

سعيد بن عقبة لاعرابى ممن انت قال من قوم اذا عشقوا
ماتوا قال عذرى ورب الكعبة قال ومم ذلك قال فى نسائنا صباحة
وفى فتياننا عفة قال رجل لعروة بن الزبير يا هذا بالله اصحيح
ما يقال عنكم انكم ارق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلثين
شابا فى الحى قد خامرهم الموت ما لهم داء الا الحب وقال رجل
من بنى فزارة لرجل من بنى عذرة تعدون موتكم بالحب مزية
وفضيلة وانما ذلك لضعف بنيه وضيق رويه ودق وخود
تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال اما والله لو رايتم النواظر
الدعج • من فوقها الحواجب الزجج • من تحتها المباسم الفلج •
والشفاه السمر • تفتر عن ثنايا الغر • لاتخذها اللات والعزى •

ثم انشد

تبتعن مرمى الوحش حتى رمينى • من النبل الا بالطايشات الخواطف •
ضعايف يقتلن الرجال بلا دم • فيا عجبا للقاتلات الضعايف •
وقيل لبعضهم ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال اخلى
الجماد • واحرم ما وراء الازار • واطهر للحب ما يرضى الرب •

وقيل لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما انت صانع
لو ظفرت بها لا يراكما الا الله قال لا جعلنه اهون الناظرين لا افعل
بها خاليا الا ما افعله بحضرة اهلها حنين طويل • ولحظ بعيد •
واترك ما يكره الرب ويفسد الحب وقيل لآخر ما كنت صانعا
لو ظفرت بمحبوبتك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان في اثمها
ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة واحدة تفنى وتبقى حبابها
انى ان فعلت هذا كنت لئيم • ولم يلدني كريم قلت وممن اتصف
بالعفاف • باحسن الاوصاف • من الخلفاء هرون الرشيد • وذلك انه عشق
بجارية فلما راودها قالت ان اباك الم بي فتركها وشغف بها حتى كاد
يخرج على وجهه فكان ينشد • شعر
اما لي ماء وبي عطش شديد • ولكن لا سبيل الى الورود •
فقال له الجارية او كلما قالت لجارية شيئا تصدق قولها فقال له
الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فما احسن عفة الجارية وامتناع من
الرشيد مع شدة عشقه لها و دخل منصور بن عمار عليه فاستدناه
حتى الزق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا امير المومنين تواضعك •

في شرفك احب الينا من شرفك فقال عظني فقال من عف في جماله • وواسى في ماله
وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار • فبكا الرشيد • وقال زدني •
فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجد الا بنصف الدنيا اكنت تشتريها قال نعم •
قال فلو تعسرت عليك بعد شربها اكنت تشتري خروجها بالنصف قال نعم •
فقال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبوله • وممن اتصف بالعفاف
من ذوي الغرام • الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري • وله في ذلك
حكايات مشهورة • وهذا موضع ايرادها • ونشرع ايرادها • فمن ذلك
قوله لكل شيء زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان اهل العفة من
النظر اليه • وحكي في محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني
انه دخل على امير المومنين فساله عن ابن داود هل رايت منه ما تكره
فقال لا يا امير المومنين • الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي •
ويقول اللهم انت تعلم اني احبه واني اراقبك فيه قال فلما بلغ من
رعايتك له • فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة •
فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي واليت ان لا ينظر
احد الى وجهي قبله • وبادرت اليه • فلما راني مغطا الوجه خاف

عجبني

إن يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة فأ
فأحببت أن يراه أحد قبلك فغشي عليه قال الليث قال ابن بكر كان محمد بن
جامع ينفق على محمد بن داود • وما عرفت فيما مضى من الزمان معشوق ينفق
على عاشقه إلا هو قلت وقد رأيت أنا في هذا الزمان معشوقا ينفق
على عاشقه • ويتقرب إلى قلبه • بأنواع البر هذا مع ما فيه • من الصيانة و حسن
الديانة • فالحمد لله الذي رآنا في زماننا • من تخلق بأخلاق الناس ولهذا العاشق
مع هذا المعشوق غريبة أضربت عنها خوف الإطالة • كان محمد بن داود قد وضع
كتاب الزهرة لأجل محبوبه محمد بن جامع المذكور • وهو مجموع أدب أتى فيه بكل
غريب ونادرة • وشعر رائق وقال في أوله وما ننكر من تغير الزمان وأنت
أحد مغيريه • ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم فيه • ومن عجيب ما تأتي به
الأيام ظالم يتظلم • وغابن يتندم • ومطاع يستطهر • وغالب يستنصر •
من كلامه ما انفككت عن هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت بكتاب الزهرة
وأنا في الكتاب ونظر لي في أكثره   من ألطف ما يحكى عنه أنه التقى
هو وأبو العباس ابن سريج في مجلس أبي الحسن علي بن عيسى الوزير •
فتناظرا في مسألة من الإيلاء فقال له ابن سريج أنت بقولك من كثرت

لحظاته دامت حسراته أحذق ممن يتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود إن قلت ذلك

فإني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي • وأمنع نفسي أن تنال محرما •
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه • يصب على الصخر الأصم تهدما •
وينطق طرفي عن مترجم خاطري • ولولا اختلاسي رده لتكلما •
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم • فلست أرى حبا صحيحا مسلما •

فقال له ابن سريج وتم تفتخر علي ولو شئت • لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته • قد بت أمنعه لذيذ سناته •
ظنا بحسن حديثه وغنائه • وأكرر اللحظات في وجناته •
حتى إذا ما الصبح لاح عموده • ولى بخاتم ربه وبرائه •

وقال محمد أحفظ عليه أيها الوزير ما أقر به من الاجتماع • حتى يقيم
البينة بشاهدي عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمني في هذا
ما يلزمك في قولك • أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما
فضحك الوزير • وقال لقد جمعتما علما وفقها وظرفا ولطفا • من لطيف
ما يحكى عن محمد أيضا ما حكى أبو القاسم الصائغ قال قال لي محمد بن داود •

ما دخلت من جامع المدينة مما يلي باب خراسان منذ عشر سنين قلت ولم
قال لاني دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان
فلما رأياني تفرقا فآليت ان لا ادخل من باب كنت فيه السبب للفرقة بين المتحابين
ودخل على ثعلب فقال له اههنا شيء من صبوتك فانشد

سقى الله اياما لنا ولياليا • لهن باكناف الشباب ملاعب •
اذا العيش غض والزمان بغرة • وشاهد آفات المحبة غايب •

ومن شعره

لكل امرء ضيف يسر بقربه • ومالي سوى الاحزان والهم من ضيف •
يقول خليلي كيف صبرك بعدنا • فقلت وهل صبر فتسأل عن كيف •

وقال ابن السراج في كتابه مصارع العشاق عن ابي عبد الله ابرهيم بن محمد
ابن عرفة النحوي نفطويه قال دخلت على محمد بن داود الاصبهاني في مرضه
الذي مات فيه فقال كيف تجدك قال حب من تعلم اورثني ما ترى قلت
ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه • قال الاستمتاع على وجهين
احدهما النظر الى المباح والثاني اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني
به ابي قال حدثنا سويد ابن سعيد قال حدثنا علي ابن مسهر عن ابي يحيى القتات

فاما النظر المباح فادناني الى ما ترى
واما اللذة المحظورة فمنعني

عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • انه قال من عشق وكتم
وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة بمنه وكرمه ثم انشد بيت

انظر الى السحر يجري في لواحظه • وانظر الى دعج في طرفه الساجي •
وانظر الى شعرات فوق عارضه • كأنهن نمال دب في عاج •

وانشد لنفسه

مالهم انكروا سوادا بخديه • ولم ينكروا سواد العيون •
ان تكن عيب خده بدد الشعر • فعيب العيون شعر الجفون •

فقيل له تنفي القياس في الفقه وتثبته في الشعر فقال عليه الهوى
وملك النفس دعواكيه ومات من ليلته رحمه الله تعالى قلت
وقد اختلف الناس في قوله عليه السلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال
بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال الحصني من احب فكتم ووصل
فعف وهجر فمات وهو شهيد قال آخر كتم اسم محبوبه انه يحبه
وقال الشيخ العلامة الحافظ علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين حديث
هذا اسناده صحيح • وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة تردهما
يعني قوله صلى الله عليه وسلم • من عشق وكتم الحديث ونقل في كتابه المذكور

ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس قلت

ولهذا عد جماعة من الفقها • ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا

الحديث منهم الرافعي وغيره وبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم

اطلق كالشيخ محيي الدين النووي رحمه الله فانه اطلق ولم يشترط شيئا فقال

والميت عشقا • والميتة طلقا يعني من الشهداء هذا مع شدته في الدين

وعدم مساهلته في هذه الاشياء • وما احسن قول ابن الاثير

دمع العاشق ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا ان بينهما

بونا لانهما يختلفان لونا • وقال العلامة ابو الدرداء الباجي •

اذا مات المحب جوى وعشقا • فتلك شهادة يا صاح حقا •

رواه لنا ثقات عن ثقات • عن الحبر ابن عباس مرتقا •

وقال عبد الكريم القشيري •

ان المحب اذا توفي صابرا • كانت منازله مع الشهداء •

ترويه اقوام غدوا في قبرهم • علما وناهيكم بهذا الداء •

• عن حسن زمانه •

ولقد كنا روينا عن سعيد عن قتادة • عن سعيد بن المسيب ان سعد بن عبادة •

قال من مات محبا • كان من اهل الشهادة وقال ابن رواحة الجهمي

لاموا عليك وما دروا • ان الهوى سبب السعادة •

ان كان وصل فالمنى • او كان هجر فالشهادة •

ثم انه انعكس قوله فقال

يا قلب دع عنك الهوى واسترح • ما انت بحامد فيه امرا •

اضعت دنياي لهجرانه • ان لم تصل ضاعت الاخرى •

• وقيل •

خليلي هل خبرتما او سمعتما • بان قتيل الغانيات شهيد •

فقلت كاني حاضر احاطبه

نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى • وعفا الى ان مات فهو شهيد •

فخذ عن مقال انت فيه مذبذب • فذلك ما قد كنت منه تحيد •

سيأتي الذي يرويه ذنب ذوي الهوى • به كل يوم سابق وشهيد •

يطوفون بالاحباب حول بيوتهم • فمنهم قيام حولها وقعود •

يعومون في بحر المدامع بعدما • تميل بهم سفن الهوى وتميد •

ابتكي دون الكرام من عام منهم • وقد جد حولا انك البعيد •

اقول وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود • الفضة النقود • المخبوط الكسود • العالية القصود • شتمل كل باب منها ابيات على وبحر مديد يستقى ثمر عروسها • ويروى المجدب من طروسها •

بعينين نجلاوين لو رقرقتهما • لنوء الثريا لاستهل سحابها •

وما بقى الا مصارع العشاق • واخبار من اصح من المحبين الى الموت بالاشواق

ابيات

ان لم امت في هوى الاجفان والمقل • فيا حيائي من العشاق واخجلي •
ما الحب الموت في عشق الملاح كذا • لا سيما بسيوف الاعين النجل •
يا صاحبي اذا ما مت بينكما • دون التشهيين ورد الخد والقبل •
فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل • قضى صريع القدود الهيف والمقل •

قال بلدينا العفيف التلمساني

للعاشقين باحكام الغرام رضى • فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا •
روحي الفدا لاحبابي الذي نقضوا • عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا •
قف واستمع سادتا اخبار من قتلوا • فمات من حبه لم يبلغ الغرضا •
راى فخب فرام الوصل فامتنعوا • فسام صبرا فاعيا نيله فقضى •

وقصدها

وقال جرير

ان العيون التي في طرفها حور • قتلننا ثم لا يحيين قتلانا •
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به • وهن اضعف خلق الله انسانا •

وقال آخر

ما زال يهوى المقلا قبلي الى ان قبلا • الحمد لله الذي مات قتيلا ولا سلا •

وقال آخر

ترى المحبين صرعى في ديارهم • كفتية الكهف لم يدرون كم لبثوا •
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا • ماتوا وان عاد من يهوونه بعثوا •
والله لو حلف العشاق انهم • صرعى من الحب او موتى لما حنثوا •

وقال آخر

دعا لومي فلومكما بعاد • وقتل العاشقين له معاد •
ولو قتل الهوى اهل البقاء • لماتوا وان ردوا لعادوا •

خاتمة الكتاب

في ذكر من مات من حبه وقدم على ربه

من صغير وكبير • وغني وفقير • على اختلاف ضروبهم • وتباين مطلوبهم •

ولاجل ذكرهم استست قواعد هذا الكتاب ودخلت منه في باب ودخلت منه
باب لا توصل منه الى ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق ما
لا طاقة به من الباب للطاق هنا اشرع في ذكر مصارعهم وعرض
بضايعهم اذ منهم الخاسر والرابح والصالح والطالح فمنهم شقي
وسعيد ومنهم قتيل وشهيد **حكى** ابو الفرج ابن الجوزي
قال ذكر لي شيخنا ابو الحسن علي بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية
حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل
بينهما فلما ناد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب
الاجل فلم الق فلانة في الدنيا واخشى ان اموت على الاسلام فلا
القيها فتنصر ومات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة
فقالت له انا ما لقيت صاحبي في الدنيا واريد ان القاه في الآخرة
وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم ماتت
قلت لم اسمع باغرب من هذه الحكاية ولا اعظم من هذه النكاية
قد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته سور له
باب فابتلي من فراق محبوبته ودينه بدائين ودارت عليه دائرة السوء

في الدارين وكيف لا وقد قيد بكساده في الجب دار البوار واصبح بكفره
واسلامها على شفا جرف هار سارت مشرقة وسرت مغربا شتان
بين مشرق ومغرب **ذكرت** بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الاندي يرثي
حبيبا له نصرانيا واحسن ما شاء حيث **قال**

اخي بوداد لا اخي بديانة ● ورب اخ في الود مثل نسيب
وقالوا اتبكي اليوم من لست صاحبا ● غدا ان هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا اوان تذهبي ● وشدة اعوالي وفرط نحيبي
ومن لي لا ابكي حبيبا فقدته ● اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني غلاما موسوما بالجمال خمارا فعلقه عبد الوهاب
المذكور واشتهر به واقام ربا به في الحانة ثلث سنين ويدخل معه
الكنيسة في الاعياد والآحاد طول هذه المدة حتى حفظ كثيرا
من الانجيل وشرايع اهله فهجره مرة فلم يجد اليه سبيلا وزعم
ان عليه قسما شرعيا ان كلمه الى مدة شهر فلما يئس منه دعا بالفاصد فا
فافتصد في احدى يديه فدعا فاصدا آخر فافتصد في اليد الاخرى
فدخل داره فاغلق باب بيته ونحى الفصادين فما شعر اهله

إلا والدم يدفع من شدة الكباب فاذكروه وقد اشرف على الموت •
نصالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه • ومن شعره فيه
انظر الى الشامة في خد من • الحاظه كالسيف جراحه •
كأنها في حسنها اذ بدت • حبة مسك فوق تفاحه •
ومنهم شهيدان ذكر التميمي في كتاب قراح الارواح عن زيد
النحوي • عن رجل من اصحاب الحديث • قال دخلت ديرا في بعض المنازل •
ذكر لي ان فيه راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فصرت اليه
فوجدته في حجرة • وعليه زي المسلمين • فسألته عن سبب اسلامه •
فحدثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية • من بني تغلب كثيرة
الاموال • وانها هويت غلاما • مسلما فكانت تبذل له الاموال والرغائب
والغلام يأبى عليها • فلما اعيتها الحيلة اعطت رجلا مصورا • مائة
دينار • على ان يصور لها صورة الغلام كهيئته • ففعل ذلك فما زالت
تأتي كل يوم الى تلك الصورة فتلثم • ما يحب منها ثم تجلس بازائها
تبكي فاذا امست قبلتها • وانصرفت فما زالت على ذلك مدة • فتوفي الغلام
فعملت مأتما عليه صارت به مثلة • ثم رجعت الى الصورة فلم تزل

تلثمها • وتقبلها الى ان امست فماتت الى جانبها • فلما اصبحنا وجدناها ميتة
ويدها ممدودة الى الحائط وقد كتبت عليه •
ياموت دونك روحي بعد سيدها • خذها اليك فقد اودت عوافيها •
اسلمت وجهي للرحمن مسلمة • ومت موت حبيب كان يعصيها •
لعلها في جنان الخلد يجمعها • يوم الحساب ويوم البعث باريها •
مات الحبيب وماتت بعده كمدا • محبة لم يزل يشفي محبيها •
قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين • فاحتملوها ودفنوها الى جانبه
واخذوا اموالها • فبت مهموما مغموما بما آل اليه امرها • فرأيتها
في المنام • فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت
اصبحت في راحة مما كابدت • وبت جار فرد واحد صمد •
يمحو الاله ذنوبي كلها وغدا • قلبي خليا من الاحزان والكمد •
لما قدمت على الرحمن مسلمة • وقلت انك لم تولد ولم تلد •
اثابه رحمة مني واسكنني • مع من هويت جنانا آخر الابد •
فعلمت ان الذي صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت و
اسلم معي اهل الدير فكانت رحمها الله هي السبب ٥

ومنهم شهيد وهو ما حكاه الشيخ الامام العلامة علاء الدين مغلطاي اجازة
سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رايت في الكتبيين غير ما
مرة بعد الزلزلة شيخا مغربيا فيه وله يكنى ابا زيد يحمل على ظهره الخضر من
بابي زويلة فكان ياتي الكتبيين فيما بين عمر يستكتب شعرا بقوله ليس موزونا
ولا معنى له ملخصه ان حاكما من حكامهم اخذ لما لا كان والده خلفه وحصل
من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيء كثير جدا فيما يقال وانه جاء مرة
والمحدث في الليل يقرا سيرة البطال فاستمع له فذكر المحدث جماعة
قتلوا في المعركة فقال له ابو زيد يا مولاي كيف ماتوا هولاء قال له
ماتوا في سبيل الله فقال يا مولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله فقال
المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان محسوبة بنو له فحركوه
فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد من شاهده ومنهم
شهيد • ذكر الامام محمد بن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس
هوى فتاة من حيه فلما علمت بحبه هجرته فزال عقله واشرف على التلف •
وصار رحمة للناس فلما بلغها ذلك اتت اليه واخذت بعضادتي الباب
وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

• ولما دنتني في السياق تعطفت • علي وعندي من تعطفها شغل •
اتت وحياض الموت بيني وبينها • وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل •
ثم اغمي عليه ومات ومنهم شهيد ذكر السراج ان العلاء بن عبد الرحمن
الثعلبي كان من اهل الادب والظرف فواصلته جارية من القيان فكان
يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه
فلم يزل على ذلك الى ان ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد
ذلك واسف عليها وعلى من كان من جفائه لها واعراضه عنها
فراها ليلة في منامه وهي تقول • ابيات

• اتبكي بعد قتلك لي عليا • فهلا كان ذا اذ كنت حيا •
• سكبت دموع عينك لي وفاء • ومن قبل الممات نسي التيا •
• فيا قمرا يرى جسمي وروحي • ويقتلني وما ابقى عليا •
• اقل من النياحة والمراثي • فاني لا اراك صنعت شيا •

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكا حتى فاضت نفسه
فمات ومنهم قتيل اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ
المذكور اجازة قال حدثني طغطاي مملوك نايب الكرك الساكن في

ان اخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت
له ولدا واقامت عنده سنتين فحنث فيها يوما فلما بلغها ذلك القت نفسها
من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اصبعها بالتشهد
واستشهد بصهره علاء الدين استادار نايب الكرك وغيره من الساكنين
هناك فقال نعم هي قضية معروفة في تلك الحارة شهدها الرجال
والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون لذلك **ومنهم**
شهيد ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح
الاعور يجلس في مجلس ابي عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة
وصبي يقرأ الم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي وقال
بلى بلى دفعات واغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان
الاجتماع في صحن دار لا ساكن لها فلم يفق الصوفي الى قريب العصر ثم قام
فلما كان بعض ايام سألت عنه فاخبرت انه حضر عند جارية في الكرخ
يقول بالقضيب جهل المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج فتواجد
وصاح ودق صدره الى ان اغمي عليه وسقط فلما انقض المجلس حركوه
فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر

بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والبيت المذكور من ابيات
لعبد الصمد بن المعذل وهي

يا بديع الدل والغنج • لك سلطان على المهج • ان بيتا انت ساكنه • غير محتاج الى السرج

وقال التنوخي رحمه الله والصوفية اذا قالوا وجهل المأمول يغلطون
الى ما لهم فيه من المعنى وكانت قصة هذا الرجل وموته في سنة خمسين
وثلثمائة • واما من مفردات الاخبار **ومنهم** قتيلان قال الجاحظ
طلب المتوكل رجلا لتأديب ابنه فذكروني له فاحضرني بين يديه فلما
رأى قبح صورتي كره النظر الي وصرفني وامر لي بعشرة الاف درهم فاخذتها
وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحق بن ابرهيم الموصلي وهو يريد الانصراف
الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار الى حراقة وكنا
بسر من رأى فركبنا في الحراقة وكانت دجلة في غاية الزيادة والمد
ودعا بالغدا فاكلنا ثم امر بالنبيذ والغنا فناشدته الله ان لا يفعل
فابى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوادة ما رايت
احسن منها صوتا ولا اصدق منها بصنا عن الغنا وطريقة برفيع صوتها
يقول **شعر**

كل يوم قطيعة وعتاب • ينقضي دهرنا ونحن غضاب •
ليت شعري هل خصصت بهذا • دون ذا الخلق ام كذا الاحباب •
ثم سكت وامر الطنبورية فغنت • والرحمة للعاشقين ما ان ارى لهم
معينا • لم يعذلون ويهجرون • ويبعدون فيصبرون • وتراهم مما به
بين البرية خاضعين • يتعذبون فيظهرون • تجلدا للشامتين •
فقالت لها العودية يا فاجرة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا
فضربت بكفها على الستارة فهتكتها فبرزت علينا كالقمر ثم القت بنفسها
في الماء • وكان على راس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال
وبيده مذبة يذب بها فلما راى ما صنعت الجارية القى المذبة من يده • واتى
الموضع الذي القت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماء • فقال

• انت التي غرقتني • بعد القضا لو تعلمينا •
• لا خير بعدك في البقا • والموت ستر العاشقينا •

ثم القى نفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا هما متعانقان ثم
غاصا ثم لم يريا منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله امرهما ثم قال لي يا عم
ليحدثني حديثا يسليني عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرني

حديث يزيد بن عبد الملك • وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به
قصة فيها • ان راى امير المؤمنين ان يخرج لي جاريته فلانة تغنيني ثلاثة
اصوات فعل • فاغتاظ يزيد من ذلك وامر من يخرج اليه ويأتيه براسه
ثم اتبعه رسول آخر يأمره ان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه
قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك • والاتكال على عفوك •
قال فامره بالجلوس حتى لم يبق احد من بني امية حتى خرج • فامر بها فاخرجت
ومعها عودها فقال لها الفتى غني • فقال
افاطم مهلا بعض هذا التدلل • وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي •
قال فغنت فقال له يزيد • قل الثاني فقال لها غني •
تألق البرق نجديا فقلت له • يا ايها البرق اني عنك مشغول •
قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لي برطل من شراب • فامر له برطل
من شراب فلما شربه وثب وصعد اعلا قبة يزيد فرمى بنفسه على دماغه
فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون • اتراه الاحمق ظن اني اخرج
اليه جاريتي • فاردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى اهله
ان كان له اهل • والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله

فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة في وسط الدار دايرية قد اعدت للبط
فجذبت نفسها من ايديهم فقالت
من مات عشقا فليمت هكذا • لا خير في عشق بلا موت •
والقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت • فسري عن محمد ما كان يجد واجزل
صلتي ومنهم قيل حكى بن عبد ربه في العقد عن محمد بن الحجاج
وكان راوية بشار انه قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حماد
قبل ذلك • قال رايت حماري في المنام البارحة فقلت له ويلك ما لك مت •
قال انك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصفهاني فرايت اتانا
عند بابه فعشقتها فمت من عشقها • وانشدني
سيدي جد لي اتانا عند باب الاصفهاني • تيمتني يوم رحنا
بثناياها الحسان • وبغنج ودلال سل جسمي وبراني • ولها خد اسيل
مثل خد الشيقراني • فبها مت ولو عشت اذا طال هواني • فقال له رجل
من القوم يا ابا معاذ ما الشيقراني • قال هو مستحدث من الحديث فاذا لقيت
حمارا فسلوه عنه • قلت وذكر جماعة من اهل التفسير من حديث
عبد الله بن الحبيب الهذلي • عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي منظور وكانت

له صحبة • ان النبي صلى الله عليه وسلم • لما فتح الله خيبر اصاب حمارا اسود فكلم
النبي صلى الله عليه وسلم • فقال له النبي صلى الله عليه وسلم • ما اسمك قال
يزيد ابن شهاب • قد اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم
الا نبي • ولم يبق من الانبياء عليهم السلام غيرك • وانا اتوقع ان
تركبني • وكنت قبلك لرجل من اليهود • فكنت اعثر به عمدا وكان يجيع بطني
ويضرب ظهري • فقال له النبي صلى الله عليه وسلم • قد سميتك يعفورا
اتشتهي الاناث قال لا • وكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في حوايجه
فاذا نزل عنه • بعث به الى حاجته • فياتي الى باب الرجل فيدفعه برأسه
فاذا خرج صاحب الدار عرفه • فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قبض
عليه السلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم • فتردى فيها جزعا على النبي عليه السلام
فصارت قبره • ومنهم قيل قال محمد بن هرون حدثني فيما ذكر ابن السراج
قال اشتريت زوج بط • فذبحت الذكر • وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب
حتى كادت تقتل نفسها • فقلت ارفعوا عنها المكبة • فرفعت وجاءت
فلم تزل تضطرب في دم الذكر • حتى ماتت • وقال عبد الله التيمي في كتاب
اقتراح النفوس • ليس في جميع الطير اوفى من القمري والقمرية • وذلك انه اذا

مات احد الزوجين تفرقت الاخرى بعده ولا يستانس الى غيره ولا تالف دفقا
ولا سكنا ولا يزال باكيا فردا الى ان يموت ومنهم قيل ذكر الكلبي في
تاريخ القدس وسنده في جوامع اسرار المحب والمحبوب قال بينا سحنون يتكلم
في المحبة في المسجد اذ جاء طاير صغير فقرب منه فلم يزل يدنو حتى علا على
يده ثم ضرب بمنقاره في الارض الى ان سال منه الدم ومات ومنهم
شهدا ذكر العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من اهل الادب فنزع
بنا الحديث الى اخبار العشاق وفي الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت
لي ابنة وكانت تهوى شابا ونحن لا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة
وكانت القينة تهوى ابنتي فجلست في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب
والقينة فغنت بيت علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكا فقال لها احسنتي يا سيدتي
اتاذنين لي ان اموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام
وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلي
بما كان من شان الفتى فلما سمعت ابنتي كلامي نهضت الى مجلس لها مبادرة
فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها

فاذا هي ميتة فاخذنا في جهازها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة
ثالثة فسالنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها موت ابنتي
ففعلت كما فعلت فماتت فدفنا الثلثة في يوم واحد ومنهم
شهيدان ذكر الشيرازي في كتاب روضة العشاق انه كان بعمورية
راهب يسمى عبد المسيح اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى
جارية نصرانية بيع الجبن فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به
سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون به فكان يفعل ذلك به كل
يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فابى فاعرضت عليه
التنصر ويتزوجها فابى فسلطت عليه الصغار فالحوا قتله
قال عبد المسيح فادركته لمابه وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة ومات فلما
كانت من الليل رات الجارية الشاب قال فاخذ بيدي وانطلق الى الجنة فلما
اردت ان ادخلها منعت لاجل الكفر قال فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيئا
عظيما ورايت قصرا من الجوهر فقال هذا لي ولك وانا لا ادخله الى
خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره وماتت
في الليلة الخامسة وكان ذلك سبب اسلامي ومنهم قيل ذكر ابو محمد عبد الحق

ان رجلا كان بازاء داره وكان بسببه الحمام فرات به امراة جميلة وهي
تقول اين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها
فلما رات ذلك اظهرت له السرور وقالت نشتهي ان يكون معنا من يطيب عيشنا
فخرج بادرا لياتيها بما سالت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت
فكبر وله بها فكان يمشي في الطريق وهو يقول يا رب قايلة يوما وقد
تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته
من طاق قربان هلا جعلت اذ ظفرت بها حرزا على الدار او قفلا على الباب
فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة
فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يا رب قايلة البيت حتى مات
ومنهم شهيد ذكر ابو القاسم السروطي في كتاب البلى عن ابي فرج الكعو
وغيره انه كان عندهم رجل صوفي يعرف بالقاسم السوال وكانت له عنزات
يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه
الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك قال فبينما هو يوما يرعى عنزاته اذ سمع
صبيا من صبيان الصحراء يغني في جبل بيت فاردد فوادي وخذ ذنادي
ان هواك صيرني شايعا مطيعا فقال لا بل هو جميعا اخرت قلبي وغمض طرفي

طرفي سلبني العقل والهجوعا فراح مني بحاجبيه وبت تحت الهوى صريعا
فاعتراه طرب شديد فقال للصبي واقبل نحوه كيف قلت فلم يقف ورجع
الى قصايدي فقال له حميد الفاخوري حاذق الغني بهذا فتردد اليه ثلثة
ايام يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يصيح فوادي
الى ان مات ومنهم شهيدان ذكر الفضل الضبي عن كامل انه عشق
اسماء بنت عبد الله بن مساور ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن
البالي فشكا ابوه الى ابيها خالد فامر بحمله الى داره ليزوجها منه ولم يعلم
كامل فلما علم قال وان اسما لتعلم بي قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه
فقيل لها مات بسببك قالت والله لاموتن نعرم بمثلها ولقد كتب على ذلك
اي زيارته قادنا فمنعني من ذلك قبح ذكر الزينة ومرضت فلما اشتد
مرضها قالت لا اشفق سايها عليها صوري لي مثله فاني احب ان ازوده
قبل موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها فشهقت فماتت
فطلب ابو الفتاة الى ابيها ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبرهما
بنفسي لم يمتعا بهواهما على الدهر حتى غيبا في المقابر
اقاما على عمر التزاور برهة فما اصبحا قربا بالتزاور

فيا حسن قبر زاد قبرًا يحبه • ويا زورة جاءت قريبا المقادد
ومنهم شهيدان • ذكر مصعب بن الزبير ان ملك بن مصعب العسابى
تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكًا
شجاعًا فاشترطت عليه ان لا يقاتل خشية عليه ان لا يصاب وانه عراجيا
من لحم فما سر القتال فاصابته جراحة فقال وهو معتقل منها بيت
الا ليت شعرى عن غزال تركته • اذا ما اضاة مصرعى كيف يصنع
فلو انني كنت المؤخر بعده • لما برحت نفسي عليه تقطع
ومكث يومًا وليلة ثم مات • فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة
ثم اعتقل لسانها من الكلام وكثر خطابها فقال من يلى امرها زوجوها
لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانما هى من النساء فزوجها بعض
ابناء الملوك فساق اليها الف بعير فلما كانت فى الليلة التى اهديت
اليه فيها قامت على باب القبة • وقالت •
تقول رجال زوجوها لعلها • تقر وترضى بعده بخليل
فاخبرت بالنفس التى ليس بعدها • رجال هم والصدق افضل قيل
وحدثنى اصحابه ان مالكا • جواد بما فى الرحل غير بخيل

وحدثنى اصحابه ان مالكا • صروم كماضى الشفرتين صقيل
فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة مات ومنهم
شهيدان • قال احمد بن محمد العتوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة
فجاءنى ظرفاؤها فقالوا ههنا فتيان تحابا وقد علل احدهما ونحن ان
نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل واعود الصحيح فوجدنا فتى
ملقى على سرير وآخر متكاء عليه يذب عنه وينظر فى وجهه فلما رآنا
فرح لنا عن صاحبه فجلس اصحابى حوله وجلست بازاء الصحيح فكان
العليل اذا قال اوه قال الصحيح اوه فاذا قال العليل اوه من فخذى
قال الصحيح اوه من فخذى فاذا قال اوه من يدى قال اوه من يدى الى ان
قالوا وقد قضى رحمه الله فشدوا اصحابى لثام العليل وشددت لثام الصحيح
وما برحنا حتى دفناهما ومنهم شهيدان قال ابو مسهر
كان وضاح اليمن والمقنع الكندى وابو زبيد الطائى يردون مواسم العرب
متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء
بجمالهم وكان وضاح هو وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان صغيرين
فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقله

وضاح

فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام فجعل يطوف بقصر عبد الوليد بن عبد الملك
في كل يوم ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل يؤانسها
فقال لها يوما هل تعرفين ام البنين قالت انك لتسأل عن سيدتي فقال لها
لابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو اخبرتها قالت نعم فمضت الجارية واخبرت
ام البنين فقالت ويحك اهو حي قال نعم قالت قولي له كن مكانك حتى يأتيك
رسولي ثم انها ادخلته في صندوق عندها فمكث حينا اذا امنت اخرجته فقعد
معها فاذا عبر رقيبا ادخلته الصندوق فاهدي يوما للوليد جوهر فقال
لبعض خدمه خذ هذا الجوهر وامض الى ام البنين قال فدخل الخادم من
غير ان يستأذن ووضاح معها فلمحه ولم تشعر ام البنين فادى الخادم
الرسالة وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت لا ام لك وما تصنع
انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد واخبره بما رأى ووصف له
الصندوق الذي رأى فيه وضاح فقال له كذبت لا ام لك ثم نهض الوليد
مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على
ذلك الصندوق الذي وصفه له الخادم فقال لها يا ام البنين هبي لي صندوقا
من صناديقك هذه قالت يا امير المؤمنين هي لك وانا ايضا فقال لا اريد

هذا الصندوق الذي تحتي فقط فقالت ان لي فيه اشياء من امور النساء قال ما اريد
غيره قالت هو لك فامر به وحمل ودعا بغلامين فحملاه وامر بحفر بئر فحفروا
حتى بلغ الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا
فقد دفناك ودفنا خبرك ودرسنا اثرك وان كان كذبا فما علينا
في دفن صندوق من خشب ثم امر به فالقي في الحفرة وامر بالخادم فالقي
فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال ابو مسهر فكانت ام البنين لا تزال توجد
في ذلك الموضع تبكي الى ان وجدت يوما مكبوبة على وجهها ميتة ذكر
المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبد الملك وفيه نظر
والله اعلم **ومنهم** شهيد ذكر الشيرازي في كتاب روضة القلوب انه رأى
بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها
احبت شابا خياطا وعملت الحيلة في وصاله ولم تقدر عليه فطلبت من سيدها
ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم اراد تزويجها فاستطردته حتى ارسلت
الى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين ابي حامد محمد بن محمد الشهرزوري
فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل
الى البيمارستان واقام مقيدا بالحديد خمسة ايام لا ياكل ولا يشرب حتى مات

في تلك الايام ومنهم شهيد • عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر رضي الله عنه
ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته في خلوة فكلمته فحدثته
نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق
قال يا عم انطلق الى عمر فاقرئه مني السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه
فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة مات فيها رضي الله عنه
ومنهم شهيد • قال احمد بن ابي الحواري فيما ذكره الخطيب بينا انا
في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرايت رجلا
مغشيا عليه فقلت ما بال هذا فقالوا قد سمع اية من كتاب الله تعالى فقلت
وما هي قالوا قوله تعالى الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
نزل من الحق قال احمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الم يأن للهجران ان يتصرما • وللغصن غصن البان ان يتكلما •
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى • الم يأن ان يبكي عليه ويرحما •
كتبت بماء الشوق بين جوانحي • كتابا حكى نقش الوشي المتمما •

ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت ومنهم شهداء • عن صالح
المري قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال عباكم فذهبت

به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا له
فقرأ اذ الاغلال في اعناقهم فشهق الرجل شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا
من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى اخر فاستاذنا عليه فقال تعالوا ادخلوا
ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس في مصلى له فقرأت
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة بدا الدم من منخريه ثم جعل
يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح فذهبت
به حتى ادخلته على ستة انفس كل من يخرج من عنده وهو على هذه الحالة ثم اتيت
به السابع فاستاذنت فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فاذا
شيخ جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عالي ان للخلق
غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره
يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امراته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به
فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة افاقوا وثلثة لحقوا بالله تعالى
واما الشيخ فانه مكث ثلثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما
كان بعد ثلثة ايام عقل ومنهم شهداء • ذكر ابن ابي الدنيا
عن خليد قال كررت ليلة هذه الاية الشريفة كل نفس ذائقة الموت فنادى مناد

تكرر هذه الآية الشريفة كل نفس ذائقة الموت فلقد قتلت بها اربعة نفر
من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا ومنهم شهيد • قال
ابو يحيى اليمني كان يختلف معنا شاب من النساخ • فقال له ابو الحسين الى
مسعر بن كدام • وكان معه فتى حسن الوجه يفتن الناس اذا راوه فاكثر
الناس القول فيه وفي صحبته اياه فمنعه اهله صحبته وكلامه فذهل
عقل ابو الحسين حتى خشي عليه التلف فبلغ ذلك شعرا فقال قولوا
له لا يقربني ولا يأتي مجلسي فاني له كاره فلقيته واخبرته بذلك فتنفس
الصعداء • ثم انشا يقول •

• يا من بدايع حسن صورته • تثني اليه اعنة الحدق •
• لي منك ما للناس كلهم • نظر وتسليم على الطرق •
• لكنهم سعدوا بامنهم • وشقيت حين اراك بالفرق •

ثم صرخ صرخة وشخص بصره فاذا هو ميت رحمه الله ومنهم شهيد •
ذكر السيرجي في كتاب روضة القلوب انه راى بحماه مؤذنا يقال له ابن الدوري
من حمص وكان فاضلا في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به فبلغ
اباه فمنع الصبي من المضي اليه وارسله الى مؤدب آخر كان عدوا له

فاشتد ما به فكتب الى ابيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه
للسلطان • فلما قرا الرقعة اطرق ساعة واحمرت عيناه • ووجهه حتى كاد
يقطر منها الدم • ثم جاشت نفسه وجاء الصبي فخرج الى باب المسجد
فتقيا قيئا اسودا ومضى الى بيته • والدم يخرج من حلقه ساعة
بعد ساعة فجئ له بالطبيب فاخبره ان كبده تقطرت فعالجه
ثلثة ايام فلم ينقطع الدم ومات في الرابع ومنهم قتيل • قال
ابن الجوزي • كان ببغداد سنة ثمانين واربع مائة • غلام يقال له
ابن الدواس يهوى امرأة فماتت • فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق
نفسه فمات ومنهم شهيدان • ذكر العتبي عن الاخفش صاحب
سعيد بن سعد صاحب النحو • قال خرجت في سفر ونزلنا على ماء لطي فبصرت
بخيمة من بعيد فقصدت نحوها • فاذا فيها شاب على فراش كانه الخيال
• فلما ابصرني انشا • يقول ابيات

• الا ما للحبيبة لا تعود • ابخل بالحبيبة ام صدود •
• مرضت فعادني عواد قومي • فما لك لا ترى فيمن يعود •
• فلو كنت المريض ولا تكوني • لعدتكم ولو كثر الوعيد •

مدى فلما اغمى عليه فمات • فوقعت الصيحة في الحي فخرج من آخر الماء جارية
كانها فلقة القمر • فتخطت رقاب الناس حتى وقعت عليه • فقبلته وانشات

عذابي انا عودك يا حبيبي • معاشر فيهم الواشي الحسود •
اداعوا ما علمت من الدواهي • فعابوها وما فيهم رشيد •
فاما ان حللت ببطن ارض • وقصر الناس كلهم اللحود •
فلا بقيت لي الدنيا قواما • لاولهم ولا اثرى جديد •

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فخرج من بعض الاخبية • شيخ فوقف
عليهما وترحم عليهما وقال والله لئن كنت لا جمع بينكما حيين •
لاجمع بينكما ميتين • فدفنهما في قبر واحد احتفر لهما فسالته عنهما
فقال هذه ابنتي وهذا ابن اخي • ومنهم شهيد • قال ذو النون
المصري فيما ذكره ابو عبد الله محمد بن جعفر القنطري في اماليه بينا انا في
ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر واذا هي ناحلة ذابلة فدنوت
منها لاسمع ما تقول فرايتها متصلة الاحزان • فلما عصفت الرياح واضطربت
الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت قالت
يا سيدي اليك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان

في البحار الزاخرات • وبجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات •
انت الذي سجد لك سواد الليل • وبياض النهار • في الفلك الدوار • والبحر الزخار •
والنجم الزهار • وكل شيء عندك بمقدار • لانك العلي الغفار •

ثم انشات تقول

يا مونس الابرار في خلواتهم • يا خير من حطت به النزال •
من ذاق حبك لا يزال متيما • فرح الفؤاد وحشو بلبال •

فقلت لها عسى ان تهدينا من هنا فقالت اليك عني ثم دفعت راسها الى السماء

ابيات فقالت

احبك حبين حب الهوى • وحبا لانك اهل لذاكا •
فاما الذي هو حب الهوى • فحب شغلت به عن سواكا •
واما الذي انت اهل له • فكشفك للحجب حتى اراكا •
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي • ولكن لك الحمد في ذا وذاكا •

ثم شهقت شهقة فاذا هي ميتة فبقيت اتعجب مما رايت منها فاذا انا بنسوة
قد اقبلن عليهن مدارع شعر فقلن لي تقدم فصل عليها فصليت عليها
وهن خلفي ثم احتملنها ومضين • ومنهم شهيد • عن حماد المكي فيما

ذكر المعافا فى كتاب الاندلس قال وضعت للمامون جارية بكلما توصف امراة
من الجمال والكمال فبعث فى شرايها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم
ليلبس درعه خطرت بباله فامر بها فخرجت اليه فلما نظر اليها اعجبت به
قالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله يا سيدى
ثم ذرفت عيونها على خدها كاللؤلؤ وانشات سادعوا دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعا ويستجيب • لعل الله ان يكفيك حربا • ويجمعنا كما تهوى القلوب
فضمها المامون الى صدره وانشا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها • واذ هى تذرى الدمع منها الانامل •
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى • وقتلى بما قالت هناك تحاول •
ثم قال لخادمه مسرور احتفظ بها واكرم محلها واصلح لها كلما تحتاج اليه
من المقاصير والخدم والجوارى الى وقت رجوعى فلولا ما قال الاخطل
قوم اذا حاربوا شدوا مازرهم • دون النساء ولو باتت باطهار •
لكان لى وله شان ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح ما امر به فاعتلت
الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعى المامون فلما بلغها ذلك تنفست
الصعدا وتوفيت وكان مما قال وهى تجود بنفسها ابيات

ان الزمان سقانا من مرارته • بعد الحلاوة انفاسا واروانا •
ابدانا تارة منه فاضحكنا • ثم انثنى تارة منه فابكانا •
انا الى الله فيما لا يزال لنا • من القضاء ومن تلوين دنيانا •
دنيا نراها نرينا من تصرفنا • من لا يدوم مصافاه واحزانا •
ونحن فيها كانا لا نزايلها • العيش احيانا يبكون موتانا •
ومنهم شهيدان • ذكر ابو الحسن العادى ان على بن صالح ذكر له
ان جارية من جوارى القيان تميل اليه وتحبه وتكلف به وكانت موصوفة
بالادب شاعرة فكرم مراسلتها فحضر يوما عند بعض اهل البصرة وكانت
عنده قال فلما طاب عيشنا فى يومنا فلم يلتفت اليها فاطرقت هى
ايضا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة وكتبت على منديل كان معها ثم
تغفلت اهل المجلس والقت المنديل فاخذته فاذا فيه
لعل الذى يبلى بحبك يا فتى • يردك لى يوما الى احسن العهد •
قال لى على فما هو الا ان قرأت الشعر حتى وجدت فى قلبى من امرها
مثل النار فقمت وانصرفت من الفضيحه ثم لم ازل اعمل الحيلة
فى ابتياعها من حيث لا تعلم فتعسر ذلك حتى ملكتها فلم او ترعليها

احد من حرمي ولا اهلي ولم يبق عندي شئ بعدها وتوفيت فانا لا عيش لي
ولا سرور والله ما لبثت بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات اسفا
عليها وكمدا فدفن الى جانبها • فهل اخبرك بما صنع الغرام •
عشيه قوضت تلك الايام • سروا والليل في ثوب حداد •
وقد القي مراسيه الظلام • وقد هتكوا الا كله عن بدور •
نواحل ليس يرجوها التمام • وفي الاحداج ذو لعس لماه •
لنا كاس وريقته مدام • دمي وقلوبنا الاعراض فانظر •
بعينك هل يطيش لها سهام • ومنهم شهدان • ذكر المرزباني
عن ابي الحسين علي الصوفي المعروف برباح • قال حدثني بعض اصدقائي انه
دخل بيمارستانا ببغداد • فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب وعن يمينه
مخدة وفي يمينه مروحة والى جانبه كوز فيه ماء فسلمت عليه فرد السلام احسن رد
فقلت له هل لك حاجة قال نعم اريد قرصين عليها فالوذج قال فمضيت على
وجئته بذلك وجلسته مقابلة حتى اكل ثم قلت له بقي لك حاجة فقال
نعم واظنك لا تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله ان ييسرها قال
تمضي الى نهر الزجاج درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغفله

جالسا على قطيفة

فاطرق فلانا قال لي • سر بالحبيب وقل له • مجنونكم من اجله •
قال فمشيت وسالت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الي عجوز فابلغتها
الرسالة فدخلت فغابت عني ساعة ثم خرجت فقالت • ارجع اليه وقل له
عليكم من علة • فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب • فشهق شهقة ومات وعدت
الى اخبرهم بذلك فوجدت الصراخ في الدار • وقد ماتت الجارية
ومنهم شهيدان ذكر الاصمعي انه راى في البادية رجلا قد دق عظمه
ونحل جسمه ورق جلده فدنوت منه لاسئله عن حاله فما له واخرا
ذكر له شيئا من الشعر لعله يكلمك • فقلت
سبق القضاء بانني لك عاشق • حتى الممات فاين منك مذاهبي •
فشهق شهقة ظننت ان روحه فارقت بدنه ثم انشاء يقول
اخلو بذكرك لا اريد محدثا • وكفى بذكرك نعمة وسرورا •
ابكي فيطربني البكاء وتارة • يابى فيابى ان اجب اسيرا •
واذا اتى سبح يفرق بيننا • اعقبت منه حسرة وزفيرا •
فقلت له اخبرني عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملني والقني
على باب تلك الخيمة ففعلت فانشاء بصوت ضعيف •

الا قل للمليحة لا تعود • انخل ذاك منها ام صدود •
فلو كنت المريضة كنت اسعى • اليك ولم ينهنهني الوعيد •

فاذا بجارية كأنها القمر خرجت والقت نفسها عليه • فاعتنقها فطال
ذلك فسترتهما بثوبي خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة
فرقت بينهما • فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب • و
هذه جميلة ابنة امير المؤمنين • فقال الاصمعي فتركتهما وانصرفت ذكرها
الحافظ احمد بن محمد بن علي الاسوسي في اخباره • ومنهم شهيدان • ذكر
ذكر ابن دريد عن الرقاشي قال • قال عن كريب بن الحجر الاسدي كان له صديق
من الحي • وكان شابا جميلا يعشق ابنة عمه • وكان له محبة • قال فكانت هيبة
عمه تمنعه ان يخطبها اليه فحجبت عنه وكان يأتيني فيشكو اشتياقه اليها فما لبث
ان مرض عمه مرضا شديدا • فكان الفتى يدخل اليه • فيشتفي بالنظر اليها •
ثم يخرج اليه مسرورا الى ان برئ عمه • فقال

ابكي من الخوف ان يبرى فيحجبها • ولست ابكي على عمي من الجزع •
لا مات عمي ولا عوفي من الوجع • وعشت ما عشت بين اليأس والطمع •

فخطبت الجارية فزوجها ابوها فجاءني ليكفني • وقال هذا وداع لا تلاقي بعده

بعده ابدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه • فقلت واين تذهب
فقال اذهب ما وجدت ارضا ونهض فكان آخر العهد به • ولقد التمس
عمه آفاق البلاد • فما وقد عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت
حزنا عليه ومنهم قتيلان ذكر الجاحظ ان محمد بن حميد الطوسي كان
جالسا مع ندمائه وقد اخذ الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستاره

يا قمر القصر متى تطلع • اشقى وغيري بك يستمتع •
ان كان ربي قد قضى كل ذا • منك على رأسي فما اصنع •

قال وعلى رأس محمد غلام كأحسن ما يكون • وبيده قدح فوضع القدح
من يده • وقال تصنعين مثل ذا ثم رمى بنفسه من الدار الى دجلة • فلما
رأت الجارية ذلك • هتكت الستارة ثم رمت بنفسها على اثره • فغرقا
جميعا • قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا كاملا •
ومنهم شهيد • قال مسعود بن بشر الانصاري وكنت صديقا لبني عذرة
فبينا انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب • فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل
ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه • فقلت ما بك • فقال

كأن قطاة علقت بجناحها • على كبدي من شدة الخفقان •

جعلت لعراف اليمامة حكمه • وعراف نجد ان هما شفيانى •

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذى كان فيه ثم خمد فنظرت اليه

فاذا هو قد مات فسألت عنه فقيل هذا عروة بن حزام العدوى

ومنهم شهيد • يروى ان الحكم بن عمرو الغفارى صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم • كان يسير ببعض كور خراسان وهو وال فسمع رجلا

يتغنى شعر تعز بصبر لا وجدك لا ترى • بسام الحمى اخرى الليالى الغوابر •

كان فؤادى من تذكر الحمى • واهل الحمى يهفو به ريش طاير •

فوقف • وقال على بالرجل فجئ به فقال ويحك من انت قال انا رجل

من اهل نجد بن عامر بن صعصعه فقال له هل لك فى الحمى فقال اما لى

الى ذلك من سبيل ولى بتلك البلاد اهل وولد • فقال انى احملك الى

اهلك وولدك فقال لا حاجة فى هذا قال ومن ذلك بد وامر به

ان يحمل • فاضطرب فى ايديهم حتى مات ومنهم شهيد عن الاصمعى •

قال خرجنا نريد بعض احياء العرب فادركنى الليل فاويت

الى جبانة فتوسدت قبرا • فسمعت بالليل قائلا يقول من ذلك القبر •

انعم الله بالجنازة عينا • وبشراك يا سعاد الينا •

وحشة ما لقيت من ظلال القبر • عسى ان ازورك او ان تزورينا •

قال فارقت ليلتى فلما اصبحت دخلت الحى • فاذا انا بجنازة قد اقبلت •

فسألت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها فتعاهدا على

الوفا • فلم تزل باكية عليه • وها هى قد لحقت به • فتبعتهم حتى دفنت

الى جانب القبر الذى بت عنده فاذا هو قبر ابن عمها • فاخبرتهم بما

سمعته • فتعجبوا من ذلك ومنهم شهيد ان • حكى عن الفرزدق

قال ابو غلام • لرجل من بنى نهشل خرجت الى طلبه اريد اليمامة • فلما صرت

على ماء لبنى حنيفه ارتفعت سحابة • فامطرت فعدلت الى بعض ديارهم •

فسألتهم القرى فاجابوا فانخت ناقتى • وجلست تحت بيت لهم من جريد النخل

وفى البيت جويرية سوداء • فخرجت جارية كانها فلقة قمر • فسألت

الجارية السوداء لمن هذه الناقة • فاشارت الى وقالت لضيفكم

هنا فعدلت الى وسلمت وقالت ممن الرجل • قلت من بنى تميم

قالت من ايهم قلت من بنى نهشل قالت فانتم الذى يقول فيكم الفرزدق •

ان الذى سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

قلت نعم فضحكت وقالت ان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول

اخرى الذى سمك السماء مخاشعا • واضل تيك فى الهدير الاوهد •

قالت فاعجبتنى فلما رأت ذلك فى وجهى قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست

قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى • بها اهل المروة والكرامه •

الا فسقى الاله سحاب غيث • بجود سحه بلد اليمامه •

وحيا بالسلام ابا نجيد • واهلا للتحية والسلام •

قال فانسبتها وقلنا اذا تحذرام ذات بعل • فقالت

اذا رقد النيام كان عمرا • لكالقمر المنير المستنير •

وما لى فى التبعل من مراد • ولو ردا التبعل لى اسير •

ثم سكنت كانها تسمع كلاما ثم انشات تقول

يحل لى ابا عمرو بن كعب • كانك قد حملت على السرير •

فان يك هكذا يا عمرو انى • مبكرة عليك الى القبور •

ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسالت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسالت عن عمرو فقيل لى ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة وسالت عنه واذا به قد مات فى ذلك الوقت فى ذلك اليوم

184

قال صاحب منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته هذه الحكاية امرها من كل جميع ما تقدم فان كل من اولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته او اخباره بذلك لان من الحكماء من ذكر ان يدعه فقد الالف وتحقق اليأس بعمر ان القلب واحدة فيتحقق عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع ما دهمه فتغيظ النفس وتذهب الروح واما هذه فلطفت نفسها الى ان وقع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الا ما يرد عليها من ذلك الانين فكان بمنزلة المصباح الذى يضئ للبصير فلما ذهب عن القلب حس بفقده كما يحس البصير بذهاب المصباح اذا طفئ

ومنهم شهيد

قال فى منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته من اخبار المتأخرين فى تحليهم بالعفاف واتصافهم فيه باحسن الاوصاف ما حكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوى انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه واخفى ضناه الى ان عيل صبره ونقب الدم فمه بل صدره وساق على كتمانه ولم يبح غير شانه • فمن قوله •

هنا خيالك فى الجفون يلوح • لو كان فى الجسم المعذب روح •

يا سائلا عما اكابد فى الهوى • هل يشتفى من قلبى التبريح •

عادتني عرض الردى وتركتني • لا عضو لي إلا وفيه قروح •

لله ما فعلت لحاظك من دمي • لو التفت جسمي الردى مترنح •

لو عاينت عيناك قد في من فمي • كبدي ودمعي مع دمي مسفوح •

لرأيت مقتولا ولم تر قاتلا • ويحك أني من فمي مذبوح •

قل للذي علقت منه منيتي • أأباح قتلي يا ظلوم مبيح •

كبدي على صدري جرت وأكى • أغدوا أعذب في الهوى وأروح •

ومنهم شهيد • قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة • وعاقبتها أنه كان مغرى بجارية له تسمى غادرا وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب • فقيل له ما بال أمير المؤمنين • فقال وقع في فكري أني أموت • وأن أخي هرون يلي الخلافة • ويتزوج غادرا • فامضوا فأتوني برأسه • ثم رجع عن ذلك • وأمر بإحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق به فلم يقنع بذلك • وقال لا أرضى حتى تحلف لي بكلما أحلفك به أني إذا مت لا تتزوج بها فرضي بذلك • وحلف له أيمانا عظيمة • ثم قام ودخل إلى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك • فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات • وولي هرون الخلافة • وطلب الجارية

فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع في الأيمان قال قد كفرت عني وعنك • ثم تزوج بها ووقعت من قلبه موقعا عظيما • فافتتن بها أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره • فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي • في حجره إذا انتبهت فزعة مذعورة • فقال لها ما بالك فديتك فقالت رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم فأنشدني

• أخلفت وعدي بعدما • جاورت سكان المقابر •

• ونسيتني وحلفت لي • أيمانك الزور الفواجر •

• ونكحت غادرة أخي • صدقك الذي سماك غادر •

• لا يهنك الإلف الجديد • ولا تدر عنك الدوائر •

• ولحقتني قبل الصباح • وصرت حيث غدوت صائر •

قالت ثم ولى عني وكان الأبيات مكتوبة في قلبي فما نسيت منها كلمة فقال لها هذه أضغاث أحلام من الشيطان • فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين • ثم اضطربت بين يديه • وماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن هرون • وما لقي بعدها •

ومنهم قتيل • أخبرنا العلامة الحافظ علاء الدين مغلطاي بسنده عن أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الأديب • قال كنت أختلف في النحو إلى

محمد بن خطاب في جماعة وكان معنا ابو الحسن بن سعيد الاسلمي قاضي قضاة الاندلس
وكان من اجمل من رأته العيون واحمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد
كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول مستترا في ذلك الى ان فشت اشعاره
وجرت على الالسنة وتنوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض شوارع
قرطبة • والنوامر يغنين • ويقولون • تغزل احمد بن كليب • اسلمني في هواه
اسلم هذا الرشا • غزال له مقلة • يصيب بها من يشا • وشى بيننا حاسد
سيسال عما وشى • ولو شاء ان يرتشي • على الوصل مني ارتشى •
ومعنى يسايرم فيها فلما بلغ هذا المبلغ انقطع • اسلم عن جميع مجالس الطلب •
ولزم بيته • والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه •
سائرا ومقبلا نهاره كله فانقطع اسلم من الجلوس على باب داره • فاذا صلى
المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا • وجلس على باب داره • فعيل صبر احمد •
فتحيل في بعض الليالي • ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم
كذلك بمثل عمائمهم • واخذ باحدى يديه دجاجا • وبالاخرى قفصا فيه بيض وتحين
جلوس اسلم عند اختلاط الظلام • على بابه فتقدم اليه وقبل يده وقال يا مولاي •
تأمر من يقبض هذا فقال له اسلم • ومن انت فقال اجيرك في الضيعة الفلانية

وكان قد عرف اسماء ضياعه والعاملين فيها فامر اسلم غلامه • بقبض ذلك
منه على عادتهم في قبول هدايا العاملين في الضياع عند ورودهم منها •
ثم جعل يسأله عن الضيعة فلما جاوبه انكر الكلام فتأمله • فعرفه فقال
يا اخي والى هنا بلغت بنفسك والى ههنا تتبعني اما كفاك انقطاعي عن
مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على بابي نهارا • حتى قطعت
علي جميع ما لي فيه راحة فقد صرت كأني في سجن • والله لا فارقت بعد
هذه الليلة قعر منزلي ولا جلست بعدها على بابي ليلا ولا نهارا • ثم
قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا • وقال محمد بن الحسن فاتصل بنا الخبر
فقلنا لاحمد بن كليب خسرت دجاجك وبيضك فقال هات لي في كل ليلة
قبلة في يده واخسر اضعاف ذلك • فلما يئس من رؤيته نهكته العلة واضجعه
المرض وقال محمد بن الحسن واخبرني شيخنا ابو عبد الله محمد بن خطاب •
انه عاده فوجده باسوء حال فقلت له الا تتداوى • فقال دوائي معروف
واما الاطباء فلا حيلة لهم فيه البتة فقلت له ما دواؤك قال نظرة من اسلم •
فلو سعيت في ان يزورني لاعظم الله اجرك بذلك • وكان هو ايضا يؤجر
قال فرحمته وتقطعت نفسي له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه • فاذن لي

كليب

وتلقاني بما احب فقلت له حاجة قال وما هي قلت قد علمت حاجتك مع ابن
من ذمام الطلب عندي قال نعم ولكن قد علمت انه برح بي واشهر اسمي واذاني
فقلت كل ذلك مغتفر في مثل الحال الذي هو فيها فنعوده فقال لي والله
لا اقدر على ذلك فلا تكلفني هذا فقلت له لا بد من ذلك فليس عليك في ذلك
شيء وانما هي عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت قم الآن
فقال لي والله افعل ذلك لكن غدا ان شاء الله بلا خلاف قال نعم فانصرفت
الى احمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا
فلما كان من الغد بكرت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد
تحملني على خطة صعبة وما ادري كيف اطيق ذلك فقلت له لا بد ان تفي
بوعدك لي فاخذ رداءه ونهض معي راجلا فلما اتينا منزل احمد وكان يسكن
في آخر درب طويل وتوسطنا الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال يا سيدي
الساعة والله اموت وما اقدر انقل قدمي وما استطيع ان اعرض هذا
على نفسي فقلت لا تفعل بعد ان بلغت المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله
اليه فرجع هاربا فاتبعته فاخذت بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت
قطعة منه بيدي ومضى فلم ادركه فرجعت ودخلت على احمد بن كليب فقال

قال وكان غلامه دخل اليه اذ رآنا من اول الزقاق مبشرا فلما رآني تغير وجهه
واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه اكثر من الترجيع فاستبشعت الحال
وجعلت ارجع فقمت قال فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم
قال اسمع مني واحفظ عني ثم انشأ

اسلم يا راحة العليل • رفقا على الهائم النحيل •
وصلك اشهى الى فؤادي • من رحمة الخالق الجليل •

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لي قد كان فخرجت عنه فوالله ما توسطت
الدهليز حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا قال جاحظ ابو محمد
ولقد ذكرت هذه الحكاية مشهورة عندنا ومحمد بن حسن ثقة ومحمد بن خطاب ثقة
واسلم هذا من بني خلف وكانت فيه وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة
قال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابي عبد الله محمد بن سعيد الخولاني
الكاتب فعرفها وقال لقد اخبرني ثقة انه رأى اسلم هذا في يوم شديد المطر
لا يكاد احد يمشي في طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له قد تحين غفلة
في مثل ذلك النهار • ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور •

هذا كتاب الفصيح • بكل لفظ مليح • وهبته لك طوعا • كما وهبتك روحي •

ومنهم شهيد ● حكى الخالدي في كتاب الديارات باسناد عن ابي بكر
احمد بن محمد الصنوبري ● قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان مجلس
في دكانه كل اديب ● وكان حسن الادب والفهم ● يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه
انا وابو بكر معوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام ● وديار مصر وكان لكاتب
بالرها نصراني من كبار تجارها ● ابن اسمه عيسى ● من احسن الناس وجها واحلاهم ●
قدا واظرفهم منطقا وكان يجالسنا ● ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه
ونميل اليه ● وهو حينئذ صبي في الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا
مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار ● فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه

ابيات

● اجعل فؤادي دواة والمداد دمي ● وهاك فابر عظامي موضع القلم ●
● وصير اللوح وجهي وامحه بيد ● فان ذلك برء لي من السقم ●
● ترى العلم لا يدري بمن كلفي ● وانت اشهر في الصبيان من علم ●
ثم باح بعشق الغلام في الرها جهرا ● فلما كبر وشارف الاحتلام احب الرهبنة
وخاطب اباه وامه في ذلك ● والح عليهما حتى اجاباه ● واخرجاه الى دير زكى بنواحي
الرقة ● وهو في نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا الى راس الدير جملة من المال فيها

فيها فاقام الغلام فيها فضاقت على سعيد الوراق الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه ●
وهجر اخوانه ● ولزم الدير مع الغلام وسعيد في خلال ذلك يعمل فيه الاشعار
فانكر الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه ● وحرموا ان ادخله فلا تمر (عدوه) دنو
ما بخاجه من الديران ادخله ● فاجابهم الى ما سالوه ● فلما راى سعيد
امتناعه منه شق عليه ● وخضع للرهبان ودفق بهم ● فلم يجيبوه ● وقالوا نخ
هذا علينا اثم وعار ● ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير اغلقوا الباب
في وجهه ومنعوه من دخوله ● ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده
وزاد عشقه ● حتى صار الى الجنون ● فخرق ثيابه ● وانصرف الى داره ●
● فضرب جميع ما فيها من الدار في النار ولزم صحراء الدير وهو عريان هائم
ويعمل الاشعار قال ابو بكر الصنوبري ثم عبرت يوما انا والمعرج الشامي ●
من بستان نشنا به ● فرايناه جالسا ● في ظل الدير وهو عريان وقد طال شعره
وتغيرت خلقته ● فسلمنا عليه ● وعذلناه وعنفناه ● فقال دعاني من هذا
الوسواس ● اترايان ذلك الطير الذي على هيكل الدير ● واوما بيده على طاير هناك
فقلنا نعم ● فقال وحقكما يا اخوي ● انا اشده منذ الغداة ان يسقط
● فاحمله رسالة الى عيسى ● ثم التفت وقال يا صنوبري معك الواح قلت نعم

ابيات

بدينك يا حمامة دير زكي • بالانجيل عندك والصليب •
تغني وتحملي مني سلاما • الى قمر على غصن رطيب •
حماه جماعة الرهبان عني • فقلبي ما يقر من الرحيب •
وقالوا رابنا الما م سعد • ولا والله ما انا بالمريب •
وقولي سعدك المسكين يشكو • لهيب جوى احر من اللهيب •
فصله بنظرة لك من بعيد • اذا ما كنت تمنع من قريب •
وان انا مت فاكتب حول قبري • محب مات من هجر الحبيب •
رقيب واحد تنغيص عيش • وكيف بمن له مائتا رقيب •

ثم تركنا وقام يعدو الى باب الدير وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه • وما نال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير • وقالوا ما قتله غير الرهبان • وقال لهم ابن سعد لا بد من ضرب رقبة الغلام و احراقه بالنار • ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله • وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم • وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل المدينة لزيارة اهله صاح به الصبيان يا قاتل

سعيد الوراق • ويبدو عليه بالحجارة يرجموه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادري ما كان منه

ومنهم شهيد • قال ياقوت في تاريخه كان مدرك ابن علي الشيباني • شاعرا اديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد • ويعاشر نصاراه • وكان بدير الروم غلام من اولاد النصارى يقال له عمرو بن يوحنا • وكان من احسن الناس صورة واكملهم خلقا وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الاحداث لا غير • واذا حضره شيخ او صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان • فقم في حفظ الله فيقوم • وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس • فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره فقراها فاذا فيها

مجالس العلم التي • بك حسن جموعها •
الا رثيت لمقلة • غرقت تفيض دموعها •
بيني وبينك حرمة • الله في تضييعها •

فقرا الرقعة ووقف عليها من كان في المجلس وقراوها • فاستحيا عمرو فانقطع عن الحضور • وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دير الروم وجعل يتبع عمرو حيث شاء • وقال فيه شعرا كثيرا •

قال الحريري وقد رايت عمرًا ابيض الراس واللحية ومن شعر مدرك فيه هذه
القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهورة قال الشيخ العلامة ابو الفرج
المعافا ابن زكريا النهرواني في كتابه الجليس والانيس انشدني مدرك بن علي
الشيباني قصيدته في عمرو النصراني ورايت عمرو وقد بقي ابيض اللحية

اقول القصيدة

من عاشق ناءٍ هواه داني • ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران • موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه • غير هوى نمت به عيناه
شوقًا الى رؤية من اشقاه • كأنما عافاه من اضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى • من ادمع منهلة ما ترقا
ناطقة وقد اجادت نطقا • تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي • بادمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكي • كانما قطر السماء يحكي
الى غزال من بني النصارى • عذار خديه سبا العذارى
وغادر الاسد به حيارى • في ريقه للحب به اسارى

190

دير بداد الروم رام قتلي • بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استبداد عقلي • وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به اي هوى لم يصد • يقتل باللحظ ولا يخشى القود
ما ابصر الناس جميعًا بدرًا • ولا راوا شمسًا وغصنًا نضرا
احسن من عمرو فديت عمرا • ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها ناذا ابقيه مقدود • والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود • لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام • فقد سعت في نقضه الاثام
واختلف الصلاة والصيام • وجاد في الدين له الحرام
يا ليتني كنت له صليبا • اكون منه ابدًا قريبا
ابصر حسنًا واشم طيبا • لا واشيًا اخشى ولا رقيبا
بل ليتني كنت له قربانا • الثمه النغر والبنانا
او جاثليقا كنت او مطرانا • كيما ترى الطاعة لي ايمانا
بل ليتني كنت لعمرو مصحفا • يقرأ مني كل يوم احرفا
او قلم يكتب بي ما الفا • من ادب مستحسن قد صنفا

بل ليتني كنت لعمرو عوده • او حله يلبسنا مقدوده •
اوبركه باسمه مأخوده • او بيعة في داره مشهوده •
بل ليتني كنت له زنادا • يديرني في الخصر كيف دارا •
حتى اذا الليل طوى النهارا • صرت له حينئذ ازارا •
قد والذي سقيه لي افناني • وانتزعقلي والتصاكساني •
ظني على البعاد والتداني • حل محل الروح من جثماني •
واكبدي من جرم المصرح • واكبدي من تغهم المفلح •
لا شي مثل الطرف منه ادعج • اذهب للنسك وللتحرج •
اليك اشكوا يا غزال الانس • ما بي من الوحشة قبل الامس •
يا من هلالي وجهه وشمسي • لا تقتل النفس بغير النفس •
جد لي كما جدت بحسن الود • وارع كما ارعى قديم العهد •
واصدد كصدي عن طويل الصد • فليس وجدي بك مثل وجدي •
ها انا في بحر الهوى غريق • سكران من حبك لا افيق •
محترق ما مسني حريق • يرثي لي العدو والصديق •
فليت شعري فيك هل تاتي لي • من سقم بي وجوى طويل •

[illegible]

تبكي

في كل عضو منه سقم وامل • ومقلة دمعي بدمع وبدم •
شوقا الى بدر وشمس وصنم • فيه اليه المشتكى اذا ظلم •
اقول اذ قام بقلبي وقعد • يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد •
اقسم بالله يمين المجتهد • اي امرء اسعدته فقد سعد •
يا عمرو ناشدتك بالمسيح • الا سمعت القول من نصيح •
يخبر عن قلب له جريح • باح بما يلقى من التبريح •
يا عمرو بالحق من اللاهوت • والروح روح القدس والناسوت •
ذاك الذي في مهده المنحوت • عوض بالنطق عن السكوت •
بحق ناسوت ببطن مريم • حل محل الريق منها بالفم •
ثم استحال في قنوم الاقدم • يكلم الناس ولما يفطم •
بحق من بعد الممات قمصا • ثوبا على مقداره ما قصصا •
وكان لله تقيا مخلصا • يشفي ويبري الكمها والابرصا •
بحق محيي صورة الطيور • وباعث الموتى من القبور •
ومن اليه ترجع الامور • يعلم ما في البر والبحور •
بحق من في شامخ الصوامع • من ساجد لربه وراكع

يبكي اذا ما نام كل هاجع • خوفا من الله بديع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا • وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا • مسمعلين يعبدون عيسا
بحق ماري مريم ويونس • بحق سمعون الصفا وجرجس
بحق دانيال بحق يونس • بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوي اذ قام يدعو ربه • مطهرا من كل ذنب قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه • ونال من ربه ما احبه
بحق ما في قلة الميزون • من نافع الادواء وجنون
بحق ما يوثر عن شمعون • من بركات الحوض والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر • وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر • وعيد مرماري الرفيع الذكر
وعيد اشعيا وبالهياكل • والدخن الذكي بكف الحامل
يشفي بها من كل خبل خابل • ومن دخيل السم في المفاصل
بحق سبعين من العباد • قاموا بدين الله في البلاد
فارشدوا الناس الى الرشاد • حتى اهتدى من يكن بالهاد

بحق اثني عشر من الامم • ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح جلاء الظلم • صاروا الى الله ففازوا بالنعم
بحق ما في محكم الانجيل • من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبأ جليل • يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعبد السفينة الناصح • بحق لوقا دوا العلوم الفاصح
بحق يحيا الحكيم الراجح • والشهداء نقلا الصحايح
بحق معمودية الارواح • والمذبح المشهور في النواح
ومن به من لابس الامساح • وعابد باك ومن نواحه
بحق تقريبك في الاحاد • وشربك القهوة كالفصاده
وطول تغنيتك للاكباد • بما بعينيك من الشواد
بحق ما قدس شعيا فيه • بالحمد لله وبالتنزيه
بحق سطود وما يرويه • عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم • وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم • موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران • والجاثليق العالم السرياني

والقس والشماس والديراني ● والبترك الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس في اعلا الجبل ● وماري كوفال حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول ● وبالمسيح المرتضى بما فعل
بحرمة الاسقوفيا والسيرم ● وما حوى مغفر راس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم ● بحق كل بركة ومحرم
بحرمة يوم الذبح والاشراق ● وليلة الميلاد والتلاق
المذهبا لمذهب للنفاق ● والنصح بامستهذب الاخلاق
بكل فراس على فراس ● قدسه القدس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس للناس ● وقدموا الكاس لكل حاس
الا دعيت في رضى اديب ● يا عزة الحب عن الحبيب
قد ذاب من شوقي الى الكذب ● اعلمناه ايسر التعذيب
فانظر امري الى صلاح امري ● محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا في جزيل الشكر ● في نثر الفاظي ونظم شعري

ثم ان مدركا وسوس ونحل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حيان بن محمد بن عيسى فحضرته عايدا مع جماعة

من اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة لكم افما منكم احد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو قال فمضينا جميعا الى عمرو فقلنا له ان كان قتل هذا الرجل ذنبا فان احياءه مروة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال لما يحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو واخذ بيده قال كيف تجدك يا سيدي فنظر اليه ثم اغمي عليه وهو يقول

انا في عافية الا من الشوق اليكا ● ايها العايد ما بي منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا في يديكا ● كيف لا يهلك من شوق بسهمي مقلتيكا

ثم شهق شهقة فارق الدنيا فما برحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى

ومنهم قتيل ● قال علامه ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزي في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب شاهدت امراة من اهل شيرز تزوجت رجلا جنديا عجميا يقال له يوسف وكانت تحبه حبا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه واحدة لحظة وكان اذا مضى الى نوبته في القلعة تتردد وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيكون ما يجري فدخل عليها مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها ولا هش لها فظنت ان ذلك

يست حصل منها فاذا ناعت وجزعت فمكث ساعة عندها لم يرفع طرفه
لها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه لعادتها فانتهرها فلم تشك
ان غضبه لاجلها فرجعت وجعلت في رقبتها حبلا وشدته في السقف
فاختنقت به وماتت ومنهم شهيد قال الوداعي حكى لي الامير الكبير
شهاب الدين عقيل ان شرف العلى هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه
حتى كبس المسجد وتزيا بزي الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه
فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد
في بعض الحلية قيل له شرف العلا في هذه الارض فارسل اليه من يحضره
على هيئته فلما حضر كان السلطان في مجلس الشراب فقال لبعض ندمائه
املأ قدحا وناول شرف العلا فلما راى القدح اخذه بيده وشربه
وانشد في الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر جمعت بالكاس شملي
الله يجمع شملك بحق راسي دعني حتى اقبل نعلك ولم يزل هائما
بحبه في كل مكان حتى دخل في حر كان ومنهم شهيد وهو ما اخبرني
ناصر الدين محمد الابلي قال كان صاحبنا شهاب الدين احمد الحاجبي
يهوى شابا حسنا من اولاد الحسينية وغالب شعره فيه فاتفق ان الشاب

المذكور مرض فمرض الحاجبي لمرضه فدخلنا عليه نعوده فقال اريد ممن يوصل
هذه الدراهم الى فلان يعني محبوبه المذكور فقلنا مات في هذه الساعة
قال ومات مات وجعل يكررها واستحال لونه وتغيرت كيفيته وقال
اخرجوني من هذا المكان واكد علينا فحملنا من جانب بهاء الدين الى قنطرة
السباع فما وصل حتى دخل في النزع ومات من يومه قال واخبرنا
ناصر الدين محمد الطوسي انهم لما وصلوا الى مصلى باب النصر وصلت
جنازة محبوبه المذكور فصلى عليهما معا رحمهما الله تعالى ومن شعره

لم انس ليلة بتنا • والحب قد غاب عنا •
وقد روى عنه لفظ • حتى حسبناه معنا •

وقال في هذا النمط الغريب

لم انس ايام الصبا والهوى • لله ايام النجا والنجاح •
ذلك زمان مر حلو الجنا • ظفرت فيه بحبيب وراح •

وترجمته في ديواني مجتبا الادباء واوردت له فيه اشياء غريبة
من هذا النوع رحمه الله تعالى ومنهم قتيل وهو ما راته عيناي
وسمعته اذناي ووعاه قلبي وذاك اني لما كنت بدمشق سنة ثلث وخمسين
وسبع مائة

اتفق أن شابًا من أهل دمشق جميل الصوره عدا على انسان كان يحبه
فقتله فحمل الى الوالي فلما سأله انكر فعراه ليضربه بالسياط فلما اراد
ضربه تقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالي لا تضربه
فانه ما قتله وانما ما قتله الا انا فاحضر الوالي الشهود وكتب عليه
محضرا باقراره بالقتل واطلق الشاب وكان ايتمش نايب دمشق يومئذ
فلما حكت له القصة واطلع عليها وعلم باطنها توقف في قتله وامر
بحبسه فلم يمض الا ايام قلايل حتى حضر ارغون الكاملي نايب حلب
عوضا عن ايتمش في نيابة دمشق فكان اول شي حكم فيه من الدما قتل
العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه وقد رايته تحت القلعة
وهو مشنوق والناس من حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته و
يتعجبون منها وحكى هذه الحكاية في وقت للقاضي جمال الدين ابن النحاس
فتعجب منها واخبرني عن القاضي زين الدين ابن السفاح واخيه القاضي
شمس الدين فتعجب من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه عن ناصر الدين
محمد بن [illegible] حاجب المنسوب المعروف بالقلندري انه كان يهوى مغنية
زرموزتها معه في كيس حرير اطلس معلق في رقبته تحت ثيابه فاذا حضر

في مجلس انس ولم تتفق حضورها اخرج الزرموزه من الكيس ووضعها قدامه
وجعل يبكي فان لم يتفق له البكاء • انشد • لا امتعت عين محب بما يسرها
ان هي لم تسجم • ثم انه يأمر من يربط رجليه ويضربه عليهما حتى يبكي
انتهى ما اخبرني به القاضي كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية
غريبة وهي ما حكاه المبرد عن القصميدي ان رجلا قدم على كسرى نوشروان
وكان عالما بجميع اجزاء الفلسفة وعلم الموسيقى فعجب الملك من كمال خلاله
المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة الوجد وطول الكمد
بالف فارقه في بلده فلطمه كسرى بالاذن وحمله على التسويف فبيناه على
تلك الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه
وعليه كتابة بالهندية فترجمت لكسرى فاذا هي كلام موزون بالموسيقى يشاكل

من الشعر المعري •

• لا امتعت عين محب بما • يسرها ان هي لم تسجم •
• على حبيب تلفت نفسه • من التباريح ولم يصرم •

فلما قراها لم يملك نفسه خوفا وجزعا • فاسعدته عينه اليسرى ولم تسعد اليمنى
فاقسم لا ينظر بها ما عاش في الدنيا اذ لم تسعده بالبكا على حبيبه •

وهي أقوى حاسبة من اليسرى فكان يسمى الصابر **قلت** ومن غريب ما يحكى
عن ناصر الدين القلكندري المتقدم ذكره انه كان يضع المجرة في يده
الشمال والمجلد من الكتاف على ذنبه ويكتب منه وهو يغني ويضرب برجله
ويكتب في هذه الحالة ما شاء الله تعالى ولا يغلط ولا يلحن • واخبرني
بعض من كتب عليه ان من غريب ما شاهده من حاله انه هوى شابا من اولاد
الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به وهو في عقبيه سنة خمس وثلاثين
وسبعمائة قول الصاحب بن عباد • يا من وهبت له روحي فعذبها
ودمت تخليصها منه ولم اطق • ادرك بقية نفس فيك قد طمعت
قبل الممات فهذا آخر الرمق • **قلت** ولكن هذا آخر ما وقع عليه
الاختيار • وطابت به لابن ابي حجلة حين سقط بمصر او طار • وكيف لا
وقد سقطت منه على الخبير • واين من اخبار من غفر الله لنا ولهم
بالجم الغفير • فشهداؤهم من اعيان المشاهد وقتلاهم ان اختلف
في اسباب موتهم فالداء واحد وفي ذلك الحمد لله كفاية • وهو وان كان
لسان التقصير قصيرا عن مقصود الغاية • على ان في رحلتي نسيم العليل
في زيارة الحرمين • ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمة • والامواج العظيمة لهذه

لهذه البحار المتلاطمة • لاجرم اني لم اذكر من اخبار اهل الحجاز الا ما اشار
اليه هذا الكتاب ببيان بيانه • وبدا من ورقه وقلمه على صفحات
وجهه • وفلتات لسانه • فكم في الرحلة المذكورة من ذكر من مات
على هذه الصورة من اخبار متيم • امتنع من هجوعه • واصبح كسحائب دموعه

قصيدة

تذكر عهد العذيب وما جرى

ارى سمرات الحي برق يسامره • يذكره بالثغر ما هو ذاكره •
تذكر عهد العذيب وما جرى • على حاجر سالت عليه محاجره •
اذا ما بدا البرق اليماني لعينه • فما هو الا وشبه وجائره •
سقى السفح من ذيل المقطم عارض • يقاطره من دمع عيني سواطره •
فكم فيه من صب قضى وعظامه • اوايله لا تنقضي واواخره •
تطاول ليلي في هواه ولو نشا • لقصره من جنة مقاصره •
فيا للهوى العذري ما العذر عندما • يغادر ليلي مثل ليلى غدائره •
صحا ما صحا من زال في الحب عقله • بسكرة حب لا يزال مخامره •
ابرد ما يلقاه يا حار بعد ما • بسيا الى ظبي فاتن الطرف فاتره •

أحاول منه وصله كل ساعة • فيمنعني استاره وستايره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سوى • بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسري جواده • ليحفر في قلب المتيم حافره
فلولاه لما امسى امير ذوي الهوى • ولا انفذت في العاشقين اوامره
ولولا سطا السلطان في مصر ما مشى • مع الذيب ظبي كان قبل يحاذره
هو الناصر السلطان والعادل الذي • لباطنه ما جاز في الملك ظاهره
له في سبيل الله خير ذخيره • وحسن الثنا ابن الملوك ذخايره
وترياقه في الشعر عقار نبله • وسم عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو اهله • فكم امنت في قطرها من يجاوره
جواد غدت نعماه منا قريبة • وان بعدت في السبق عنا ضوامره
فما عابه ان الجنوب خوايب • ولا ضره ان البروق صنوايره
له من بياض الصبح والليل ادهم • واشهب كالبازي ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر • ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر في علاه لاجل ذا • يباهي به فوق السرير سرايره
وتستقبل الآمال كعبة جوده • كما استقبل البيت المعظم زايره

197

فأي نوال ما اصاب سموسه • وما هي ان حققت الا دفاتره
هو البحر الا ان منهل جوده • موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحرا وتنظمي دره • لما عرضت يوما عليه جواهره
اجود فيه المدح كل عشية • وابكار فكري بالثنا تباكره
اذا تاه مدحي في دجى ليل بقسه • عن القصد دلته عليه منائره
عبرت على الشعرى العبور فاومات • الي وقالت انت والله شاعره
فمدحي له مدح المحب حبيبه • اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبي له ما ان يقاس بغيره • لاني ببر الحب فيه وعامره
وقد مات قبلي اول الحب وانقضى •
فلو مت امسى الحب قد مات آخره •

قد انتهى ديوان الصبابة • للشيخ الهمام الفاضل • شهاب الدين احمد بن
ابي حجلة التلمساني • غفر الله له وعفى عنه بمنه وكرمه على يد العبد
الفقير الى رحمة ربه السميع البصير العليم الخبير • امير الدين جمال
غفر الله ولوالديه ولمن دعا بالمغفرة اليه ولجميع المسلمين امين
يا رب العالمين في يوم الآخر من شهر محرم الحرام في سنة احدى وتسعمائة
وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين •